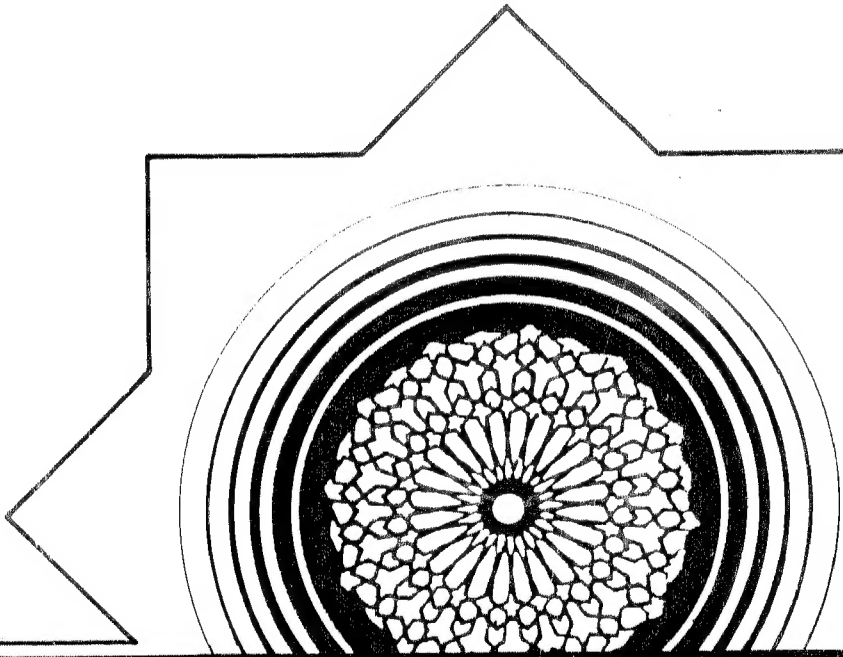


محاضرات في

النصائح

تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصا
وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم



الأستاذ محمد عبد الوكيل

دار الفكر العربي

اهداءات ٢٠٠٣

الدكتور / حافظ يوسف

الإسكندرية

الإمام محمد بن أبي بكر

أهداه من دكتور
حافظ يوسف

محاضرات في النصائح

تبحث في الأديوار التي فوق عليها عقائد الصاي
وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ شارع محمد مصطفى - القاهرة
ص ب ١٣٠ ت ١٣٠٥٢٣ - ٧٦٠١٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية العليمة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، الذى بعث رسله ليكونوا حجة على الناس يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ، والصلاة والسلام على النبى الامى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبى الرحمة الذى بعث على فترة من الرسل ، بعد أن ضلت الافهام ، وحرفت الحقائق وسيطرت الاوهام ، وعلى آله واصحابه الذين كانوا كالنجوم بين العالمين .

أما بعد .. فهذه محاضراتى فى النصرانية أعيد طبعها ، بعد أن الح الكثيرون فى طلب الاعادة ، اذ تعذر على مريدى قراءتها الحصول عليها ، حتى أنها عندما قررت دراستها على طلبة معهد الدراسات الاسلامية لم يجد الدارسون ما يراجعون فيه ، فلم يكن بد من أن يعيد المعهد طبعها ليعين الدارسين ، ولينشر تلك الحقائق ، من غير تهجم على متدين ، ولا مضايقة لغير مسلم ، لأن البحث الذى يتبع فيه التهاج العلمى السليم ، لا يصح أن تضيق به الصدور ، ولا أن تنزوى عنه العقول . واذا كانت فيه ثغرات يرايها النقد المنطقى المستقيم ، ويعالجها البحث العلمى القويم من غير عوج فى القول ، ولا التواء فى القصد .

لقد كتبنا تلك المحاضرات بروح المحقق الذى يجمع الحقائق ، ويعرضها ، وقد تماسك بعضها ببعض ، ليتكون من ذلك مجموعة علمية تهدى ولا تضل . وما كنا نجهد التاريخ لتسيره ، ولكننا خضعنا له ، وهو الذى كان يسيرنا .. وكنا فى ذلك كالقاضى العادل خضع للبيانات التى تكون بين يديه ، وهى التى تحكم فى الحكم الذى نسجله . لا نغير ولا نبذل ، ولا ننحرف بها عن النتائج التى تؤدى اليها مقدماتها . فنسبر حيث يسير بنا الدليل من غير انحراف ولا تجريف .

وما كانت البيانات التى بين أيدينا من مصادر اسلامية ، او من اعداء المسيحية . بل كانت من كتاب المسيحيين أنفسهم التى سجلوها فى

تاريخها ، كتبها المتقدمون ، ورددها المتأخرون ، فهي شهادات من أهلها
استنطقناها ، فنطقت ، واستهدينها ، فهدت ، واسترشدنا بها فأرشدت ،
وما ضنت .

وإذا كان من اخواننا وعشرائنا من تلمل من محاضراتنا . أو تبرم من
مخالفتنا لما يؤمن به ، فإنا — علم الله — ما قصدنا بكلامنا أراجا ولا إيلاما ،
إنما أمانة العلم هي التي جعلتنا لا نقدم لتلاميذنا الذين نلقاهم ، والذين
لا نلقاهم بالخطاب ، بل نلقاهم بالكتاب ، إلا ما نعتقد أنه الحق الناصع ،
وقد وجه البنا نقد من بعض المخلصين من اخواننا المسيحيين في مقالات
مقتبعة نشرتها إحدى المجلات المسيحية ، فما ضاقت صدورنا ، بل ذهبنا
إلى الناقد في داره ، وطلبنا إليه أن يطلعنا على كل الأعداد التي تشتمل على
نقد لنا ، لنصح خطأ وتعنا فيه ، أو لنبدل حكما ما أنصفنا فيه ، عملا
بقوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين
ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم
واحد ، ونحن له مسلمون » .

وأنا لنحسب أنه ليس من بين اخواننا أقباط مصر من ظلموا ، فما كان
لنا إلا أن نتقبل النقد بقبول حسن ، ونتبعه في كل ما وجه إلينا مستطيين
ذلك ، حتى ما كان منه تهجم علينا . فإن المخلص يستمع ، ولو كان في كلام
مخالفه هجوم ، أو تهجم بغير الحق .

وما وجدنا في النقد ما يغير حكما ، ولقد أرسل إلينا بعض ابنائنا
المسيحيين رسائل نقد قدرناها ، فقرأناها ، وكان كتابها يخرجون عن حد
النقد أو الدفاع إلى ما لا يحسن من قول ، فما ضاقت صدورنا ، وحاولنا
أن ننتفع منها ، ولكننا ما وجدنا فيها أيضا ما يبرر لنا تغيير حكم حكمنا به ،
والى هؤلاء وأولئك نعتذر .

ولا يصح أن يتبرم أحد من اخواننا وابنائنا من كلام نسوقه لطلابنا ،
معتقدين أنه الحق الذي لا ريب فيه ، فلو كان أهل كل دين تضيق صدورهم
بالبحث والدرس ، لكان حقا علينا معشر المشتغلين بالدراسات الإسلامية
أن تذهب نفوسنا حشرات مما يكتبه بعض علماء أوروبا عن الإسلام ،
بقترون على حثائمه ولا يدرسونه دراسة موضوعية ، بل يدرسونه دراسة

ذاتية محرفين الكلم عن مواضعه ، وسع ذلك ندرس تلاميهم ، ونضع الصواب منه في موضعه ، ونضع الباطل في مكانه سحيق ، نأخذهم الى المنطق ولا ننحرف معهم عن قصد السبيل .

وأخيرا نقول لآخواننا أننا نؤمن بالمسيح عليه السلام ، ونؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر النبيين « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأنسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

محمد أبو زهرة

٢٧ من ذى القعدة سنة ١٣٨١

١٩ من مارس سنة ١٩٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية الطبعة الثانية

الحمد لله الذى خلق فتدر ، وخلق آدم من طين ، وعيسى ابن مريم من غير أب ليكون حجة على العالمين . فثبت ان الخلق بالارادة لا بالعلية .
مبارك الله أحسن الخالقين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وسائر النبيين ، المبعوثين رحمة للناس أجمعين .

أما بعد ، فقد جاء فى صحيح البخارى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال :

ثلاثة لهم أجران : « رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه . ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلّمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران » .

وبقبس من هذا الروح السمع كتبنا كتاب محاضرات فى النصرانية ، نرجو به مع احقاق الحق الهداية ، لا نهاجم اعتقادا ، ولا نبطل عقيدة ، بل نثير السبيل ونضع المصباح أمام الجادة فيسلّكها من يريد الرشاد ، ومن يرجو السداد ، ولكننا فى عصر فهم الناس فيه الدين منزعا جنسيا ، ولم يفهموه حقا اعتقاديا ، ولا تهذيبا نفسيا ، ولا خلاصا روحيا ، فكان ذلك حاجزا دون أن تصل الهداية الى القلوب ، وأن تشرق النفوس بنور الحق .

وقد كان الناس فى الماضى يوجد من بينهم من يقول « انا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثاريهم مقتدون » أما الآن فالناس جميعا غلقوا على أنفسهم باب النور باعتبارهم الدين جنسا ، والاستمسك به من القومية أو ما يشابهها ، فيكون العار على من خالف ، وان كلوا يعلمون ان فيما يعتقدون ما ليس بمفهوم .

وبسبب هذه النزعة الجنسية فى التدين ظهر نقد لكتابتى هذا من بعض بنى وطنى غير المسلمين ، وكنت (علم الله) مستريحا لظهوره ، فجمعت

النقد ، وشكرت الناقد ، وتفاضيت عن عبارات نالني بها ، لأنها من غلتات القلم ، ولقد أخذت أدرس ذلك النقد حرفا حرفا ، لأصحح به خطأ جرى في الكتاب ، أو سوء تفسير فسرناه ، أو تخريجا بعيدا عن المعنى خرجناه .

ولكني وجدت النقد خاليا من ذلك في جلته ، بل هو مهاجمة لمقصد الكتاب ، يثير اعتبار الدين جنسا ، ويدفعه التعصب الشديد ، ويحاول توهين المكتوب ، حتى أنه في سبيل ذلك يعتبر الكلام المقيد بوصف متناقضا ، والمعلق على شرط متضاربا ، لأن صدر الكلام غير الوصف ، ومقدم القضية الشرطية غير تاليها . وإن كان في النقد ما يفيد أنه أثبت أن بعض أخواننا تألم من عبارات جاءت في كتابنا . فغيرناها أن لم يكن في التغيير ما يمس الجوهر ، ويفسد المعنى .

وقد كنا بسبب التألم نحجم عن إعادة طبع الكتاب ، مع الإلحاف من الكثيرين وبعضهم من أخواننا المسيحيين ، واحجمنا عن ذلك نحو ست سنوات ، ولكن اشتد الطلب من البلاد الشرقية والمصرية ، وزكوا الطلب بأنه لا يليق أن تحول الاعتبار النفسية دون ظهور ثمرات الفكر ، وإن عند أخواننا من سعة الصدر ما يتسع لذلك . وخصوصا أن الكتاب معروف في أمريكا وأوربا والهند . فقد ترجم إلى الانجليزية . ولخصته بعض المجلات الأمريكية تلخيصا كاملا ، وترجم إلى الفرنسية والاردية .

فاذا كانت هذه الأمم المسيحية تطوع بعض المسيحيين فيها بترجمته تسجيلا للأثار العلمية . وإن خالفوها — فإنه من نقص الحرية الفكرية في مصر أن يضيق صدر بعض أبنائها حرجا بإعادة طبع كتاب سجله المسيحيون في لغاتهم .

لهذا أقدمت على إعادة طبع الكتاب بعد طول الإحجام ، راجيا من المولى جلت قدرته الهداية والتوفيق والسداد ، أنه نعم المولى ونعم النصير .

محمد أبو زهرة

٩ من رجب المحرم سنة ١٣٦٨

الموافق ٤ من مايو سنة ١٩٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افتتاحية الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ،
وعلى آله وصحبه وسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى ابن مريم من النبيين
الصديقين ، ومن عباد الله الصالحين وأولى العزم من الرسل .

أما بعد . فقد عهد الى تدريس تاريخ الديانات بقسم الدعوة
والارشاد من كلية أصول الدين فالتقت محاضرات في النصرانية ، هذه
خلاصتها ، وتلك لبابها ، ولقد عنيت ببيانها في أوارها المختلفة متبعاً في
بيان المسيحية الحاضرة سلسلة أسنادها المتصلة . فكان أول السلسلة
مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ، وتنتهى بعصرنا الحاضر ، هذا مبدا السند
وهذا منتهاه ، فالسند اذن ينقطع بين المسيح عليه السلام ، والمجمع الأول
من المجامع المقدسة ، وان انقطاع السند في هذه الفترة الطويلة سببه
الاضطهاد الذى لحق النصرارى فيها ، حتى كانوا يستخفون ويتعبدون في
السر . فلا يعلنون دينهم الذى ارتضوا ، ويفرون به فراراً ان كشف
أمرهم ، وقد ينطقون بكلمة الكفر يتقون بها حد السيف أو نار العذاب ،
وقد اعترف بقطع السند مجادلوهم واختاروا ذلك السبب علة لهذا القطع .

وانا ازاء ذلك العجز أو عدم توافر أسباب العلم ابتدأنا بحثنا في
دينهم بكتبهم التى ألزم المسيحيون بها بعد قرار المجامع بالالزام ، ثم تتبعنا
في البحث سير المجامع . نسير في مسارها ، ونتجه في اتجاهاتها ، ولكننا
لا نكتفى بدراسة قرارات مجمع من المجامع ، بل ندرس البواعث التى
بعثت الى انعقاده ونفصل بعض التفصيل الخلاف الذى سببته ، والذى
جاء المجمع لحسمه ، ثم انتهى الى تشعيبه وتوسيع زاويته .

وان عنايتنا بتفصيل البواعث التى أدت الى انعقاد المجمع الأول ،
وبيان قراراته ، وكيف تكتفى جمهور المسيحيين ، وخاصة رجال الدين تلك
القرارات ، قد أزلت الستار عما أكلته غياهب التاريخ في الفترة التى

كانت بين المسيح وهذا المجمع ، بل ان تلك العناية جعلتنا نخترق حجب الظلام التاريخي لنصل الى ضوء نعشو اليه لنعرف حقيقة دعوة المسيح في عصر الاستخفاء أو عصر الاضطهاد ، ولقد ساعدنا على الاستضاءة بذلك الضوء موازنات تصدينا لها وازنا فيها بين المسيحية الحاضرة وفلسفة الرومان واليونان في تلك الفترة ، وما حاولنا أن نفرض ما استنبطنا على القارئ أو نسبته الى الاستنباط ، بل القينا اليه بالمقدمات ، وتركنا له استخراج نتائجها ، ليشاركنا فيها وصلنا اليه باقتناعه ، ولكيلا نملاً عقله ، وهو خال ، فينقص تقديره للدليل ويضعف وزنه للبرهان .

ولقد كانت عنايتنا متجهة الى بيان العقيدة ، فجلينا ادوارها ، وبيننا ما قام حولها من مناقشات وخلافات . وبيننا كل فرقة ومنبعثها ، والمجمع الذي انبعثت من بعده . وما احصينا فرقتهم عدا ، ولا فصلنا آراء كل فرقة تفصيلا ، بل عنينا بالفرق الكبرى ، وعنينا بتفصيل العقيدة دون سواها .

وعلم الله انى لبست رداء الباحث المنصف ونظرت بالنظر غير المتحيز ، وتخلت عن كل شيء سواه ، لأصل الى الحق وصول المجتهد الحر ، لا المقلد التابع . المأسور بسابق فكره ، والمأخوذ بسابق اعتقاده ، ولكنى انتهيت كما ابتدأت ، مؤمنا بالله الواحد الأحد ، الذي ليس له والد ولا ولد .

وانى لأهدى كتابي هذا الى كل مسيحي طالب للحقيقة يسير في مسالكها لا أبغى به غلبا في جدال ، ولا سبقا في نزال ، ولكن أبغى به الحق المجرد « يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله » .

محمد أبو زهرة

تمهيد

١ - عسير على المرء ان يكتب في رأى يخالف رأيه ، ويتحرى مع هذه الخلفة ان يصور الرأى ، كما يجول بخاطر صاحبه ، وينبعث في نفسه ، فيبين دوافعه وغاياته ، واذا كان ذلك واضحا في رأى مخالف يرتأى ، فكيف تكون الحال اذا كانت المخالفة في عقيدة تعتنق ، وتتغلغل في اعماق النفس ، وتستكن في اطوائها !! ان الطريق حينئذ يكون أوعث ، ومسالكه أضيق ، لذلك كان الطريق غير معبد أمام الباحث الذى يريد ان يكتب في النصرانية كما يعتقد النصارى ، ويصورها أمام القارئ كما يجول بخاطر معتنقيها ، ويفرض من نفسه ناظرا غير متحيز ، يبين العقيدة ، كما هى في نفس أصحابها ، لا كما ينبغى أن تكون ، او كما يعتقد هو ، لأن الباحث خلع نفسه مما تعتنق وتؤمن به . ويجردها تجردا تاما مما قد صار منها بمنزلة الملكات ، وخالط الاحساس والمشاعر ، واستولى على كل مسالك الآراء اليها ، وتصوير المسيحية كما يعتقد أصحابها ليس فقط عسيرا على الكاتب غير المسيحي ، بل انه عسير على الكتاب المسيحيين . انفسهم ، يستوى في ذلك المختصون بالدراسات الدينية وغير المختصين . ولذلك يستعينون في تصويرها ، وادنائها الى العقل بضرب الامثال . والتشبيهات الكثيرة ، لتأنيس غريبها بالقريب المألوف ، والمشاهد المحسوس ولادخالها في العقل من الباب الذى يآلفه ويعرفه . ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

٢ - ولكن البحث العلمى يتقاضى الباحث الحر المتصف ان يدرس المسيحية ان اراد ان يعلنها كما يعتقد أهلها مجردا من نزعاته السابقة على الدراسة ، غير جاعل لعقيدته سلطانا على حكمه ، حتى لا تسيره في دراسته ، وتتحكم في اتجاهاته ، لأن ذلك قد يدفعه لأن يتزيد على القوم ، والتزيد ليس من شيمة العلماء ، أو يدفعه لأن يتناول كلامهم بغير ما يريدون ، وذلك لا يجعل العقل يدرك الأمور كما هى في ذاتها ، بل يدركها كما انعكست في نفسه ، وكما رسمت على قلبه ، وقد يباعد ذلك الأمر في ذاته .

ولذلك سنحاول داعين الله — مبتهلين اليه أن يلهمنا التوفيق — دراسة المسيحية ، مجردين من أنفسنا ناظرا غير متحيز عليها ، لتصورها كما هي ، وكما يعتقد أهلها ، ولنتمكن من أن نكتبها بروح الانصاف ، ولقد نضطر في سبيل ذلك الانصاف ان ننقل عبارات كتبهم المقدسة عندهم وغير المقدسة من غير أن نتصرف بأى تصرف ، حتى ما يتعلق بالاعراب وأساليب البيان ، لكيلا يدفعنا التصرف في التعبير الى تغيير الفكرة ، أو تحريف القول عن مواضعه . وسنجتهد ما استطعنا في تصوير تفكيرهم بضرب الأمثال ، ان لم نجد بدا من ذلك .

ولكن مع عنايتنا الشديدة بتفهم ما عند القوم ، وتعرف غاياته ومراميـ لا نترك النقد العلمى النزيه ، الذى يستمد قواعده من بدائه العقول واحكام المنطق ، وخصوصا ما يتعلق بكتبهم ، لأنه اذا كان الانصاف قد طالبنا: بألا نتزيد على ما عندهم ، أو نحرفه عن مراده ومرماه ، فالانصاف أيضا يطالبنا بألا نهمل العقل ، والا خرج بحثنا عن معناه العلمى التاريخى ، وصار بحثا لاهوتيا صرفا ، وذلك ما لا نريد ، فلا يصح أن يدفعنا حرصنا على انصافهم الى ظلم العلم والحق والعقل .

المسيحية : كما جاء بها المسيح عليه السلام

المسيحية في القرآن :

٣ - قبل أن نخوض في المسيحية كما هي عند المسيحيين نتكلم في المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام ، وأنا اذا تصدينا للمسيحية التي جاء بها المسيح نجد التاريخ لا يسعفنا بها ، اذ بعد العهد ، واضطربت روايات التاريخ بالأحداث التي نزلت بالمسيحيين ، ويجوز أن تكون قد عملت بد المحو والاثبات عملها ، حتى اختلط الحابل بالنابل . وصار من المسير أن نميز الطيب من الخبيث ، والحق من الباطل ، والصحيح من غير الصحيح ، واننا معشر المسلمين لا نعرف مصدرا صحيحا جديرا بالاعتماد والثقة من المسلم غير القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، فهما المصدران المعتمدان للمسلم في هذا ، وما نكتب هذا لنلزم به المسيحيين ، ولا على أنه هو المعتبر عندهم ، ولكن نكتبه ، ليتسقى البحث ، ولنتم السلسلة .

ينص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل ، التوحيد بكل شعبه ، التوحيد في العبادة ، فلا يعبد الا الله ، والتوحيد في التكوين ، فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لا شريك له ، والتوحيد في الذات والصفات فليست ذاته بمركبة ، وهي منزهة عن مشابهة الحوادث سبحانه وتعالى . فالقرآن الكريم يثبت أن عيسى ما دعا الا الى التوحيد الكامل ، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه : « واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اأنت قلت للناس اتخذوني وأمي اليمين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن ان أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتني به ، ان اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد » .

فهذا نص يفيد بصريحه أن عيسى ما دعا الا الى التوحيد ، فغير التوحيد اذن دخل الفصرائية من بعده ، وما كان عيسى الا رسولا لله رب العالمين .

ولقد نزل على السيد المسيح عليه السلام كتاب هو الانجيل ، وهو مصدق للتوراة ، ومحيى لشريعتها ، ومؤيد للصحيح من أحكامها ، وهو مبشر برسول يأتى من بعده اسمه أحد ، وهو مشتمل على هدى ونور وهو عظة للمتقين ، وانه كان على أهل الانجيل أن يحكموا بما أنزل فيه ، ولذلك قال الله تعالى : « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

دعوة المسيح :

ع — ولقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على أساس انه لا توسط بين الخالق والمخلوق ، ولا توسط بين العابد والمعبود ، فالأخبار والرهبان لم تكن لهم الوساطة بين الله والناس ، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه ، من غير حاجة الى توسط كاهن أو قسيس أو غيره ، وليس شخص — مهما تكن منزلته أو قداسته أو تقواه — وسيطا بين العبد والرب في عبادته ، وتعرف أحكام شرعه مما أنزل الله على عيسى من كتاب ، وما أثر عنه من وصايا ، وما اقترنت به بمثته من أقوال ومواعظ .

ودعوة عيسى عليه السلام — كما ورد في بعض الآثار ، وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين — تقوم على الزهادة والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفى لأن تقوم عليه الحياة ، وكان يحث على الايمان باليوم الآخر ، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبنى الانسان في الدنيا ، إذ الدنيا ليست الا طريقا غايته الآخرة ، وابتداء نهايته تلك الحياة الأبدية .

ولماذا كانت دعاية المسيح عليه السلام الى الزهادة في الدنيا ، والابتعاد عن أسباب النزاع والعكوف على الحياة الروحية ؟ الجواب عن ذلك أن اليهود الذين جاء المسيح مبشرا بهذه الديانة بينهم كان يغلب عليهم النزعات المادية ، وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هى غاية بنى الانسان ، بل ان التوراة التى بأيديهم اليوم خلت من ذكر اليوم الآخر ، ونعيمه أو جحيمه ، ومن فرقهم من كان يعتقد أن عقاب الله الذى أوعده به العاصين ، وثوابه الذى وعد به المتقين ، انما زمانه في الدنيا لا في الآخرة ، وقد قال رينان الفيلسوف الفرنسى في كتابه حياة المسيح : « الفلسفة اليهودية كان من مقتضاها السلطة الفعلية في نفس هذا العالم ، فانه يؤخذ من أقوال

شيوخهم ان الصالحين يعيشون في ذاكرة الله والناس الى الأبد ، وهم يقضون حياتهم قريبين من عين الله ، ويكونون معروفين عند الله ، أما الأشرار فلا ، هذا كان جزاء أولئك ، وعقاب هؤلاء ، ويزيد الفريسيون على ذلك أن الصالحين ينشرون في هذه الأرض يوم القيامة ليشتركوا في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ الناس ، ويصبحوا ملوك العالم وقضاة ، وهكذا يتنعمون بانتصارهم ، وانخدال الأشرار أعدائهم ، وعلى ذلك تكون ملكتهم في هذا العالم نفسه « ا ه نجاه المسيح عليه السلام مبشرا بالحياة الآخرة ، وانها الغاية السامية لهذا العالم بين أولئك الذين أنكروها ، ومن لم ينكرها بقوله منهم أنكرها بفعله ، فكانوا في ذلك الإنكار سواء .

مريم والمسيح في القرآن الكريم :

هـ — واذا كانت شخصية المسيح هي اللب في المسيحية الحاضرة ، وأساس الاعتقاد فيها ، وجب أن نبينها كما جاءت في القرآن ، كما سنبينها كما جاءت في المسيحية ، ليستطيع القارئ أن يوازن بين الشخصيتين ، ويعرف أيهما أقرب الى التصور ، والعقل يتقبلها بقبول حسن ، ولنبدأ بآله .

يذكر القرآن الكريم مريم أم عيسى عليه السلام ، فيقص خبر الحمل بها وولادتها وتربيتها في سورة آل عمران . فيقول تعالى كلماته : « اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ، فتقبل منى انك انت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى ، والله اعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم ، وانى اعيذها بك ونزيها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن ، وانبتنا نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما نخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » .

هذه هي الاحوال التى اكتشفت الجمل بالبتول مريم ، وولادتها ، وتربيتها ، ويلاحظ القارئ أن العبادة والنسك اطلأها ، وهى جنين فى بطن أمها الى أن بلغت النساء ، واصطفأها الله لأمر جليل خطير ، فأمها وهى حبل بها نذرت أن يكون ما فى بطنها محررا خالصا لخدمة بيت الله

وسدائته ، والقيام بشئونه ، واستمرت مصيبة على الوفاء بنذرهما ، فلما وضعت ، وكان نذرهما على فرض الذكورة ، كما يبدو من اشارات النصوص القرآنية ، جددت العزم على الوفاء بالنذر ، وقد وجدت ما تسوغه النفس للتحلل من النذر ، فكان ذلك الاصرار عبادة أخرى ، اذ وجدت في النفس داعيات التردد ، والرجوع والتحلل من الوفاء فكان كفها هذه الداعيات والقضاء عليها عبادة أخرى ، ثم انصرفت الفتاة الناشئة منذ طراوة الصبا الى النسك والعبادة ، وقام على تنشئتها وهدايتها وتعليمها نبي من انبياء الله الصديقين الصالحين ، فكفلها زكريا ، ووجهها الى العبادة الصحيحة ، وتنزيه القلب من كل ادران الشر والاثم ، وكان الله سبحانه وتعالى يدر عليها اخلاف الرزق من حيث لا تقدر ولا تحسب ، ومن غير جهد ولا عناء ، حتى اثار ذلك عجب نبي الله كافلها فكان « **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم انى لك هذا ، قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** » .

٦ — ولقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التى تكونت فى ظلها بريئة من دنس الرذيلة — لا يجد الشيطان سبيلا او منفذا ينفذ الى النفس منها — تمهيدا لامر جليل قد اصطفاه الله تعالى له دون العالمين ، ولذا خاطبتها الملائكة وهى الارواح الطاهرة باجتماع الله لها : « **اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** » * يا مريم انتى لربك وامسجدي واركعى مع الراكعين » . ولشد كان ذلك الاصطفاء هو اختيار الله لها لأن تكون اما لمن يولد من غير نطفة آدمية . وكان ذلك لى تكون آية الله مشهورة ، تحمل فيما حف بها من احوال الترائن التى تقطع ريب المرتاب ، والسنة كل افك ، وتنير السبيل أمام المؤمنين اذ أن ولادته من غير أب من أم كانت حياتها للنسك والعبادة . والعكوف على التقوى . وتحت ظل نبي من انبياء الله تعالى لم تزن بريئة قط — يجعل المؤمن يرى من بآية الله الكبرى فى هذا الكون ، ولا يجعل شيئا يقف أمام مريد الهداية من تظنن بالأم أو ريبة فيها ، فحياتها كلها من قبل ومن بعد تنفى هذه الريبة ، وتبعدها عن موطن الشبهة .

الحمل بالمسيح وولادته :

٧ — حملت العنراء البتول مريم بالسيد المسيح عليه السلام ، وهو الأمر الذى اجتباها الله له ، واختارها لأجله ، ولقد فوجئت به ، اذ لم تكن به علية . فبينما هى قد انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، ارسل الله اليها ملكا تمثل لها بشرا سويا « قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا » قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فلما جاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا « . حملت السيدة مريم البتول بعيسى من غير أب ، ثم ولدت . ولم تبين الآثار النبوية مدة الحمل . فلم يرد فى الصّحاح آثار تبين تلك المدة ، ولو كانت مدة الحمل غريبة لذكرت ، فليس لنا اذن الا ان نفرض ان مدة الحمل كانت المدة الغالبة الشائعة بين الناس . وهى مدة تسعة اشهر هلالية .

ولما ولدت وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم ، سواء فى ذلك من يعرف نسكها وعبادتها ، ومن لا يعرف ، لأنها فاجأتهم بأمر غريب ، وهى المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل ، فكثرت المفاجأة داعية الاتهام . لأنه عند المفاجأة تذهب الروية ، ولا يستطيع المرء ان يقابل بين الماضى والحاضر ، وخصوصا ان دليل الاتهام قائم ، وقرينته أمر عادى لا مجال للريب فيه عادة ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحبها من هذه المفاجأة . فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينتقض الاتهام من أصله ، ويأتى على قواعده ويفاجئهم بالبراءة وبرهانها الذى لا يأتيه الريب ، ليعيد الى ذاكرتهم ما عرفوه فى نسكها وعبادتها ، ولذلك نطق الغلام ، وهو قريب عهد بالولادة ، اشارت اليه « قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » قال انى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة مادم حيا * وبرا بوالدى ولم يجعلنى جبارا شقيا * والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

٨ — نطق السيد المسيح فى المهد ، ليكون كلامه اعلاما صريحا ببراءة امه وانه لم يكن الا عبد الله ، ولد من غير أب . ويروى ابن كثير : « عن ابن

عباس أن عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد أن كلمهم طفلا ، حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم أنطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان ، فأكثر اليهود فيه ، وفي أمه من القول ، وكانوا يسمونه ابن البغية ، وذلك قوله تعالى : « **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً** » ، ولم يذكر في الآثار الصحاح عن النبي عليه الصلاة والسلام حال عيسى عليه السلام في مرياه ونشأته ، وكيف كان منه مما يكون أرهاصا بنبوته ، فليس لنا إلا أن نقول أنه قد تربى بها كان يتربى به أمثاله الذين ينشئون على التقى والمعرفة في بنى اسرائيل ، ويغلب على الظن أن يذون قد ظهر منه وهو غلام ، ما يدل على روحانيته ، وما يدعو اليه بعد ذلك من حياة روحية ، وسط قوم سيطرت عليهم المادة ، وغلبت عليهم نزعاتهم ، والاتجاه اليها .

الحكمة في كون المسيح ولد من غير أب :

٩ — لابد من أن نشير هنا قبل أن ننتقل الى بعثته عليه السلام الى السبب الذى من أجله ولد عيسى عليه السلام من غير أب . فانه لابد أن يكون ذلك لحكمة يعلمها الله جلّت قدرته ، وقد أشار اليها سبحانه في قوله تعالت كلماته : « **ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا** » .

وانا نطمس تلك الآية الدالة في ولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، فنجد أنه يبدو أمام أنظارنا أمران جليان : أحدهما . ان ولادة عيسى عليه السلام من غير أب تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى ، وانه الفاعل المختار المريد ، وانه سبحانه لا يتقيد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات التى نرى العالم يسير عليها في نظامه الذى أبدعه الله والذى خلقه ، فالأسباب الجارية لا تقيد ارادة الله ، لأنه خالقها ، وهو مبدعها ومريدها ، فان الأشياء لم تصدر عن الله جلّت قدرته ، كما يصدر الشيء عن علته ، والمنسبب عن سببه ، من غير أن يكون للعلة ارادة في معلولها ، بل كانت بفعله سبحانه وبارادته التى لا يقيدها شيء مها يكن شأنه ، وخلق عيسى من غير أب هو بلا ريب اعلان لهذه الارادة الأزلية . بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية ، وفي عصر ساد نوع من الفلسفة ، أساسها أن خلق الكون كان من مصدره الأول ، كالعلة من معلولها ، فكان عيسى آية

الله على انه سبحانه لا يتقيد بالاسباب الكونية ، وان العالم كله بارادته ، ولم يكن سبحانه بمنزلة العلة من المعلوم : « تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » .

الامر الثانى : ان ولادة المسيح عليه السلام من غير أب اعلان لعالم الروح بين قوم انكروها ، حتى لقد زعموا ان الانسان جسم لا روح فيه ، وانه ليس الا تلك الاعضاء والعناصر التى يتكون منها ، فلقد قيل عن اليهود انهم كانوا لا يعرفون الانسان الا جسما عضويا ، ولا يقرون انه جسم وروح ، فقد قال رينان فى سبب الحقد الذى تغلغل فى النفس اليهودية : « لو كان الشعب الاسرائيلى يعرف التعاليم اليونانية التى كان من مقتضاها اعتبار الانسان عنصرين مستقلين : احدهما الروح ، والآخر الجسد ، وانه تعذبت الروح فى هذه الحياة لانها تستريح فى الحياة الثانية ، لسرى عنه شئ كثير من عذاب النفس ، واضطراب الفكر ، بسبب ذله وخضوعه ، مع ما كان يراه فى نفسه من الامتياز الأدبى والدينى عن الشعوب التى كانت تذله » .

يقرر رينان فى هذا ان اليهود ما كانوا يقولون كاليونان أن الانسان جسم وروح ، ولقد يؤيد هذا ما جاء فى التوراة التى بأيديهم فى تفسير النفس بأنها الدم ، فقد جاء فيها : « لا تأكلوا دم جسم ما ، لان نفس كل جسد هى دمه » ، اذن لم يكن اليهود يعرفون الروح على أنها شئ غير الجسم . فلما جاء عيسى من غير أب . وكان ايجاده بروح من خلق الله ، كما قال تعالى « **والتى احصنت فرجها ، فننفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين** » كان ذلك اليجاد الذى لم يكن العامل فيه سوى ملك من الأرواح تنفخ فى جيب مريم . فكان الانسان من غير بذرة الانسان وجراثيمه . كان ذلك اعلانا لعالم الروح بين قوم أنكروها ، ولم يعرفوها ، فكان هذا قارعة قرعت حسيم ليدركوا الروح ، وكان آية معظمة لمن لم يعرف الانسان الا انه جسم لا روح فيه ، وهذه آية الله فى عيسى وأمه عليهما السلام .

بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته :

١ — بعث عيسى عليه السلام ، ولم يرد فى القرآن الكريم ، ولا فى الآثار الصحاح بيان السن التى بعث عند بلوغها عليه السلام . ولكن ورد فى بعض الآثار انه بعث فى سن الثلاثين ، وهى السن التى تذكر الاناجيل

المعتبرة عند النصارى انه بعث على رأسها ، ويصح لنا أن نفرض انه بعث في هذه السن على هذا الأساس .

بعث عيسى عليه السلام يبشر بالروح ، وهجر الملاذ التي استغرقت النفوس في تلك الأيام ، واستولت علينا ، ويبشر بعالم الآخرة . ولقد أيدته الله بمعجزات ، وأن ولادته نفسها معجزة ، كما جاء في الملائكة والنحل للشهرستاني ، فقد قال رحمه الله في ذلك : « كانت له آيات ظاهرة . وبينات زاهرة ، مثل أحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، ونفوس وجوده ومطرته آية كاملة على صدقه ، وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ، ونطقه من غير تعليم سابق » .

ومعجزاته التي ذكرها القرآن الكريم تتلخص في خمسة أمور ، جاء ذكر أربعة منها في سورة المائدة في قوله تعالى : « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ، اذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة ، والتوراة والإنجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى ، فنفخ فيها ، ف تكون طيرا باذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى » . . . الى قوله تعالى كلماته : « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين * قالوا نريد ان ناكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم ان قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا ، وانت خير الرازقين * قال الله انى منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم ، فانى أعذبه عذابا لا أعذبه احدا من العالمين » .

ويستبين من هذه الآيات الكريمة أربع معجزات :

الأولى : انه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا باذن الله ، أى أن الله سبحانه وتعالى خلق على يديه طيرا من الطين ، فالخالق هو الله سبحانه وتعالى . ولكن جرى الخلق على يد عيسى ، وينفخ من بروحه عليه السلام باذن الله تعالى .

الثانية : احيائه عليه السلام الموتى باذن الله جلّت قدرته ، والمحىء
فى الحقيقة هو الله العلى القدير ، ولكن أجرى الاحياء على يد المسيح عليه
السلام ، ليكون ذلك برهان نبوته ، ودليل رسالته .

الثالثة : ابراؤه عليه السلام الاكمه والابرص ، وهما مرضان تعذر
على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما ، والتمكن من أسباب
الشفاء منهما ، ولكن عيسى بقدره الله شفاهما ، وبرىء المريضان برقيته ،
فكان ذلك دليلا قائما على رسالته عليه السلام .

الرابعة : انزال المائدة من السماء بطلب الحواريين ، لتطمئن
قلوبهم ، وليعلموا أن قد صدقهم .

وهناك خامسة ذكرت فى سورة آل عمران ، وهى انباؤه عليه السلام
بأمور غائبة عن حسه ، ولم يعاينها ، فقد كان ينبىء صحابته وتلاميذه بما
يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم . وقد ذكر الله تعالى فى قوله تعالى حاكيا
عنه « **وَأَنبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** » .

الحكمة من كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع :

١١ — هذه معجزات عيسى عليه السلام ، وهنا يتساءل القارىء :
لماذا كانت معجزاته عليه السلام من ذلك النوع ؟ يجيب عن ذلك ابن كثير
فى كتابه البداية والنهاية بقوله : « كانت معجزة كل نبي فى زمانه بما يناسب
أهل ذلك الزمان فذكروا أن موسى عليه السلام كانت معجزاته مما يناسب
أهل زمانه ، وكانوا سحرة أذكىاء ، فبعث بآيات بهرت الأبصار ، وخضعت
لها الرقاب ، ولما كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما ينتهى اليه .
وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل الذى لا يمكن صدوره الا ممن
أيده الله ، وأجرى الخارق على يديه تصديقا له أسلموا سراعا ، ولم
يتلعبوا : وهكذا عيسى ابن مريم بعث فى زمن طبائعية الحكماء ، فأرسل
بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون اليها ، وانى لحكيم ابراء الاكمه الذى
هو أسوأ حالا من الأعشى والابرص والمجنون ومن به مرض مزمن ، وكيف
يتوصل أحد من الخلق الى أن يقيم الميت من قبره ، وغير هذا مما يعلم كل
أحد انه معجزة دالة على صدق من قامت به ، وعلى قدرة من أرسله :

وهكذا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين بعث في زمن الفصحاء البلقاء ، فأنزل الله عليه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد . فلفظه معجزة تحدى به الانس والجن ان يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة ، وقطع عليهم بأنهم لا يقدرول لا فى الحال ، ولا فى الاستقبال ، فلم يفعلوا ، ولن يفعلوا ، وما ذلك الا لانه كلام الخالق عز وجل ، والله لا يشبهه شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .

ما نراه حكمة صحيحة :

١٢ — من هذا الكلام يستفاد ان معجزة المسيح كانت من نوع ابراء المرضى الذين يتعذر شفاؤهم واحياء الموتى ، لأن القوم كانوا على علم بالطب الطبيعى وكانوا فلاسفة فى ذلك ، فجاءت المعجزة من جنس ما يعرفون ، ليكون عجزهم حجة عليهم ، وعلى غيرهم ممن هم دونهم فى الطب ، ولكن رينان الفيلسوف المؤرخ الفرنسى يقرر أن اليهود ماكانوا على علم بالطب الطبيعى فيقول : « كانت صناعة الطب فى المشرق فى ذلك الزمان كما هى اليوم ، فان اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التى وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ ، وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتاب لأبقراط أبى الطب موضوعه العلة المقدسة يعنى الهستريا ، وفيه وصف هذه العلة ، وذكر دوائها ، الا أن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب ، وكان فى اليهودية فى ذلك الزمان كثيرون من المجانين ، وربما كان ذلك ناشئا من شدة الحساسية الدينية .

فاليهود الذين بعث المسيح بين ظهرائهم لم يكونوا على علم اذن بالطب ، أو الطب الطبيعى على رأى ذلك الفيلسوف المؤرخ .

وقى الحق أن الذى نراه تعليلا مستقيما لكون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لاهل زمانه ، لا لانهم اطباء ، فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والادواء ، بل لأن اهل زمانه كان قد سادهم انكار الروح فى اقوال بعضهم ، وأنعال جميعهم ، فجاء عليه السلام بمعجزة هى فى ذاتها أمر خارق للعادة ،

مصدق لما باتى به الرسول وهى فى الوقت ذاته اعلان صادق للروح ، وبرهان قاطع على وجودها ، فهذا طين مصور على شكل طير ، ثم ينفخ فيه فيكون حيا ، ما ذاك الا لان شيئا غير الجسم وليس من جنسه فاض عليه ، فكانت معه الحياة ، وهذا ممت قد اكله البلى ، واخذت اشلاؤه فى التحلل ، واوشكت ان تفسد رميما ، او صارت . يناديه المسيح عليه السلام ، فاذا هو حى يجيبنداء من ناداه ، وما ذاك الا لان روحا غير الجسم الذى غيره البلى حلت فيه بذلك النداء ، ففاضت عليه بالحياة ، وهكذا . فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته ، وتناسب اخس رسالته ، وهو الدعوة الى تربية الروح ، والايمان بالبعث والنشور ، وان هناك حياة اخرى يجازى فيها المحسن باحسانه والمسيء باسناعه ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وهل ترى ان معجزة احياء الموتى تسمح لنكر الآخرة بالاستمرار فى انكاره او تسمح لجاحد البعث والنشور ان يستمر فى جحوده . وقد اسلفنا لك القول ان اليهود كان يسود تفكيرهم عدم الاعتراف بوجود الآخرة . وعدم الايمان باليوم الآخر . ان لم يكن بالقول بالعمل . فكان احياء الموتى صوتا قويا يحملهم على الايمان حملا . ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون .

تلقى اليهود لدعوته :

١٣ — بعث عيسى عليه السلام بتلك البينات ، وايد رسالته بتلك المعجزات وانها باهرة تخرس الالسنه ، وتقطع الطريق على منكرى رسالته . لو كان الدليل وحده هو الذى يهدى النفوس الضالة ، والقلوب الشاردة ، ولكن القوم الذين بعث فيهم كانوا غلاظ الرقاب ، قساة القلوب فكانت مهمته شاقة ، اذ حاول هدايتهم ، لان منهم من علم الديانة رسوما وتقاليد يتجهون الى الاشكال والمظاهر منها . دون الاتجاه الى لبها وغايتها . حتى لقد كان منهم من يخجم عن عمل الخير فى يوم السبت زاعما انه داخل فى موم النهى عن العمل فيه ، فاذا جاء المسيح داعيا الى ان ينظروا الى اصلاح القلب ، بدل الاخذ بالمظاهر والاشكال فانه لا شك يصدم هؤلاء فيما يأنفون . وفيما وجدوا عليه سابقينهم .

واليهود قوم عكفوا على المادة ، واستغرقتهم ، واستبطلت على أهوائهم ومشاعرهم حتى لقد كان نساكهم وسنة الهياكل عندهم ، وقد

فانهم العمل على كسب المال من أبوابه الذنبوية — يجمعون المال من نذور
الهيكل . والقرايين التى يتقرب بها الناس . ويحرصون على ذلك أشد
الحرص . فكانوا يأخذون القرايين من أشد الناس حاجة وأفقرهم . فجاء
المسيح ونسدد بهذا .

ولقد اتخذ بنو اسرائيل من تدينهم المزعوم بدين موسى والانبياء من
بعده . وزعمهم أن لهم منزلة دينية لا يساميهم فيها أحد — اتخذوا من هذا
ما يصح أن يسمى ارسنقراطية دينية ؟ فزعموا أن لهم المكانة السامية .
ولغيرهم المنزل الدون ، ولو اعتنقوا الديانة اليهودية ، وآمنوا برسالة
موسى . فكانت هناك طائفة يقال لها السامرة ، وكان الاسرائيليون يعاملون
آحادها ، كأنهم المتبوءون . فلما جاء عيسى عليه السلام . وسوى بين
بنى البشر فى دعايته أنكروا عليه ذلك وناصبوه العدا .

ولقد كانوا يجعلون لاحبارهم وعلماء الدين فيهم المنزلة السامية
والمكانة العالية دون الناس . فجاء المسيح وجعل الناس جميعا سواء
أمام ملكوت الله .

مناواة اليهود له :

١٤ — لكل هذا تقدم اليهود لمناواة المسيح . وقليل منهم من اعتنق
دينه وآمن به . وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته ، فلما
اعيتهم الحيلة . وراوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه ، ويلتفتون حوله
مقتنعين بقوله — أخذوا يكيدون له . ويوسوسون للحكام بشأنه ،
ويحرضون الرومان عليه ، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون الى المسائل
الدينية . والخلافات المذهبية بين اليهود ، بل تركوا هذه الامور لهم
يسوونها فيما بينهم ، واليهود يريدون أن يفروا الرومان بعيسى كيفما كان
الثمن . فبثوا حوله العيون يرصدونه ، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة
والحكام . عساهم يجدون كلمة له يتعلقون بها وينقلون بها للحاكم الرومانى ،
فلم يجدوا لأن المسيح ما كان يدعو الا الى اصلاح الجانب النفسى الخلقى
ولم يكن قد اتجه الى اصلاح الحكومة بعد . ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا
عليه ، وانتهى الامر الى أن تمكنوا من حمل الحاكم الرومانى على أن يصدر
الامر بالقبض عليه ، والحكم عليه بالإعدام صليا .

نهاية المسيح في النيبا :

١٥ — وهنا نجد القرآن الكريم يقرر ان الله لم يمكنهم من رقبته ، بل نجاه الله من ايديهم : « فما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » ، وبعض الآثار تقول ان الله القى شبهه على يهوذا ، ويهوذا هنا هو يهوذا الاسخريوطى الذى تقول الاناجيل عنه انه هو الذى دس عليه ، ليرشد القابضين اليه ، اذ كانوا لا يعرفونه ، وقد كان أحد تلاميذه المختارين في زعمهم .

ولقد وافق هذا انجيل برنابا موافقة تامة ، ففيه : « ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع — سمع يسوع دنو جم غفير ، لذلك انسحب الى البيت خائفا ، وكان الاحد عشر نيبا ، فلما رأى الله الخطر على عبده امر جبريل وميخائيل وروفائيل وادريل (١) سفراء ان يأخذوا يسوع من العالم ف جاء الملائكة الاطهار ، واخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التى تسبح الله الى الأبد .. ونخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى اُصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نيبا ، فأتى الله المجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه ، فصار شبيها بيسوع حتى أننا اعتقدنا انه يسوع ، اما هو فبعد ان استيقظ أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا ، واجبنا أنت يا سيدى معلما ، انسينا الآن .. الخ » .

والاناجيل المعتبرة عند المسيحيين لم تختلف في شيء كاختلافهم في قصة الصلب ، فكل رواية بشأنها .

المسيح بعد نجاته :

١٦ — لم يصلب المسيح بنص القرآن ، ولكن شبه على القوم ، لقوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم » وقوله تعالى : « وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه » واذا كان المسيح عليه السلام لم يصلب ، فما هى حاله بعد ذلك ؟ اختلف في هذا الشأن مفسرو القرآن ، فجلهم على ان الله سبحانه وتعالى رفعه بجسمه وروحه اليه ، واخذوا

(١) يريد اسرافيل ، وعزرائيل .

بظاهر قوله تعالى في مقابل القتل ، بل رفعه الله اليه ، وبيع بعض آثار قد وردت في ذلك ، وفريق آخر من المفسرين ، وهم الأقل عددا ، قالوا : انه عاش حتى توفاه الله تعالى كما يتوفى انبياءه ، ورفع روحه اليه كما ترفع ارواح الانبياء والصديقين والشهداء ، واخذوا في ذلك بظاهر قوله تعالى : « انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » ومن ظاهر قوله تعالى : « فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شئ شهيد » ولكل من المختلفين وجهة هو موليا ، ولا نريد أن ندخل في تفصيل حجج الفريقين وترجيح احدهما على الأخرى ، فلذلك موضع ليس هذا مقامه .

١٧ — ويزعم بعض الناس ان المسيح عليه السلام قد هاجر الى الهند ، وانه عاش فيها . حتى استوفى أجله ، ومات هناك ، وله قبر ، ولقد جاء في تفسير المنار ما نصه : « وجد في بلدة سرى نكرا مقبرة فيها مقام عظيم يقال انه مقام نبي جاء بلاد كشمير من زهاء ألف وتسعمائة سنة ، ويسمى يوز آسف ويقال ان اسمه الأصلي عيسى ، وانه نبي من بنى اسرائيل ، وانه ابن ملك ، وان هذه الأقوال مما يتناقله أهل تلك الديار عن سلفهم ، وتذكر في كتبهم ، وان دعاة النصرانية الذين رأوا ذلك المكان لم يسمعهم الا أن قالوا ان ذلك القبر لأحد تلاميذ المسيح أو رسله » هذا ما جاء في تفسير المنار ، وقد ذكر ان نقله عن غلام أحمد القديانى الهندى ، وهو راو يشك في صدقه .

هذا . وان القرآن الكريم لم يبين ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيهة ووفاة عيسى أو رفعه على الخلاف في ذلك ، ولا الى أين ذهب ، وليس عندنا مصدر صحيح يعتمد عليه ، فلنترك المسألة : ونكتفى باعتقادنا باعتقادنا جازما ان المسيح لم يصلب ، ولكن شبه لهم .

موازنة بين المسيح في القرآن الكريم والمسيح في المسيحية الحاضرة :

١٨ — « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون » ما كان الله ان يتخذ من ولد ، سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » . تلك ديانتهم كما جاء بها ، ودعا اليها ، فما الذى عرض لها من بعده ، وما الذى أدخل عليها بعد ان رفع الى ربه ؟ . . أول ما أدخل على هذه الديانة

هو ما يتعلق بشخص المسيح عليه السلام ، ولنسارع في بيان اعتقادهم في المسيح بايجاز ، ثم بعد ذلك نبين الأحوال التاريخية التي مرت بتاريخ المسيحيين ، محاولين ما استطعنا أن نبين مصادر هذه الاعتقادات التي تدل على المسيح ، ثم بقوانينهم الكنسية .

يعتقد المسيحيون أن الله سبحانه وتعالى أوصى آدم بالأكل من الشجرة ، فأكَل منها باغواء إبليس ، فاستحق هو وذريته العذاب ، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده جسد كلمته ، وهى ابنه الأزلى تجسدا ظاهرا ، ورضى بموته على الصليب ، وهو غير مستحق لذلك ، لكى يكون ذلك فداء الخطيئة الأولى ، ولم يكن فى استطاعة أحد أن يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله وابن الإنسان معا ، وكان ذلك الابن ، وهذا الفداء هو المسيح عيسى ولد مريم العذراء .

أرسل الله اليها ملاكه جبريل ، وبشرها بأن المسيح مخلص الدنيا برزء منها ، وأن الروح القدس يحل فيها ، فتلد الكلمة الأزلية ، وتصير والدة الإله . وقد ولد ببيت لحم ، إذ كان قد ذهب اليها يوسف النجار خطيب مريم الذى لم يتركها بعد أن حملت : لرؤيا رآها فى منامه تمنعه من ذلك ، لأن بيت لحم بلده ، فذهب اليها ومعه مريم ليقيم اسمها فى الاحياء العام الذى أمر به الرومان .

ولد المسيح فى خان قد نزل فيه يوسف ومريم ، ولقترهما لم يجدا مأوى لهما فى الخان سوى مكان الدواب . ولقد تمطته واضجعتة فى مذود البقر .

وفى ليلة ميلاده ظهر ملاك لجماعة من الرعاة كانوا يحرسون قطعانهم فى الحقول المجاورة لبيت لحم ، فأرأوا بفتة جمهورة من الملائكة مسبحين قائلين « المجد لله فى الاعالى ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة » فترك الرعاة التلحان ، وذهبوا الى المكان الذى دلهم عليه الملائكة ، فأرأوا الطفل فى المذود ، وهنأوه وهم يمجدون الله ، ويسبحونه على كل ما سمعوا ورأوا . كما قيل لهم .

وقد خزن المسيح لما مرت ثمانية أيام من وقت ولادته ، وسمى يسوع . أن المخلص فى زعمهم كما سماه الملاك عند التبشير به .

ولقد حدث بعد ولادته بأيام أن وفد الى أورشليم جماعة من حكماء
المجوس وعلمائهم ، قالوا انه لاح لهم في السماء نجم عرفوا من مرآه بما
أوتوا من علمهم وما عندهم من آثار ونبوات انه نجم مولود جديد هو ملك
اليهود المنبأ به فعزموا على الرحيل اليه ، ليسجدوا له ، وحملوا معهم
هدايا من الذهب واللبان والمر . وكانوا في مسيرهم يسيرون والنجم الذي
رأوه يهديهم الى الطريق هم ومن معهم من خدم . حتى جاءوا الى المدينة ،
وسألوا عن مكان الملك المولود ، فلما علم هيرودس ملك اليهود بأمرهم
دعاهم اليه ، واستطلع طلعمهم ، وتعرف أمرهم فقصوا عليه قصصهم وما
ابتعثهم الى الضرب في الأرض . والمجىء الى أورشليم ، فسرى الى نفسه
الخوف على ملكه من هذا الوليد ، ثم دعا اليه كهنة اليهود وكتبتهم ،
وسألهم أين يولد المسيح . فقالوا : في بيت لحم اليهودية حسب النبوءات .
فقال للمجوس . اذهبوا الى بيت لحم ، ومتى وجدتم الصبي فأخبروني
لأسجد له ، قال ذلك ، وأخفى في نفسه أمرا لم يبده ، فذهبوا والنجم
يتقدمهم ، ووجدوا الصبي يسوع وأمه ، فسجدوا له ، وقدموا هداياهم .
وفي هذا الوقت ظهر ملاك الرب في الحلم ليويسف ، وقال له قم وخذ الصبي
وأمه ، واهرب الى مصر ، لأن هيرودس يطلب الصبي ليقتله ، ففعل كما
أمر ، وخرجت الأسرة المقدسة الى مصر وسافر المجوس الى بلادهم من غير
أن يعرجوا على هيرودس لأنهم نهوا عن العودة اليه بوحي أوحى اليهم في
حلم ، فأخذه الفيظ ، واندفع فأمر بقتل جميع أطفال بيت لحم والبلاد التي
تجاوزه ممن لا تتجاوز سنه سنتين . زاعما أن يسوع لابد أن يكون أحدهم .

رحلت الأسرة المقدسة الى مصر ونزلوا حيث يوجد الدبر المحرق ، كما
يمتقدون ، وبعد أن قاموا بضعة أشهر واعتزموا الرحيل ، لأن ملك الرب
ظهر ليويسف في الحلم ، وقال له : قم وخذ الصبي وأمه وعد الى اليهودية ،
لأن هيرودس الذي كان يطلب نفس الصبي قد مات ، فقاموا واتجهوا الى
فلسطين ، ومروا في طريقهم بالمطرية ، واستظلوا بشجرة هناك تسمى
شجرة العذراء . وفي بعض الآثار أنه لما دخلت مريم وابنها ويوسف
أرض مصر ، انكفأت أصنامها وتحطمت ، وكان ذلك اتما لما لنبوأة أشعيا
القائلة ، « هو ذا الرب راكب على سحابة وقادم الى مصر ، فترتجف أوثان
مصر من وجهه . ويذوب قلب مصر داخلها » سفر أشعيا — ١٩ : ١ .

ولما عادوا الى فلسطين اقاموا في الناصرة . ولما بلغ يسوع الثلاثين
من عمره عمد في نهر الاردن ، عمده يوحنا المعمدان ، ثم صام اربعين يوما ،
ولما شرع في التبشير ظهر له الشيطان يجربه . وقال له : اعطيك هذه الدنيا
ان خرت وسجدت لى : فاجابه يسوع وقال : اذهب يا شيطان . ثم
تركه ابليس ، واذا ملائكة قد جاءت وصارت تخدمه ، وبعد هذه التجربة
صار في طريق التبشير . فلزمه حوار يوه الاثنا عشر ، واختار معهم سبعين
ارسلهم مثنى مثنى الى قرى اليهود والجليل للتبشير . ثم اقام ثلاث سنوات
يبشر ، ويأتى بالمعجزات المثبتة لالهيته في زعمهم ، يشفى المريض ويفتح
اعين العميان ، ويخرج الأرواح النجسة .. وينهر الرياح اذا ثارت ،
والبحر اذا اضطخب بالأذى ، وقذف بالزبد ، فيهدآن .

ولما رأى اليهود أن الأمر يكاد يفلت من أيديهم تشاوروا لكي
يصطادوه ، وتآمروا عليه ، وشكوه ظلما ، وكذبوا عليه ، ثم امسكوا به
واسلموه الى بيلاطس حاكم فلسطين من قبل الرومان . فقضى عليه بالموت
صلبا ، فصلب في زعمهم ودفن . وبعد ان مكث في القبر ثلاثة أيام قام في
الفصح ، ومكث اربعين يوما ارتفع بعدها الى السماء أمام تلاميذه الذين
عينهم لنشر ديانته ، اذ قال لهم : « اذهبوا الى العالم ، وكرزوا بالانجيل
للخليقة كلها ، وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس » .

المسيحية بعد المسيح

ما نزل بالمسيحيين من اضطهاد :

١٩ — هذا هو المسيح كما جاء في كتبهم وتعاليمهم ، ولا نريد أن نخوض في بيان خلافتهم حوله ، ولا بيان اختلافهم في تفسير هذه العقيدة ، ولا في تفصيل مجملها قبل أن نبين ما نزل بالمسيحيين بعد المسيح ، ولكننا سارعنا الى بيان اعتقادهم الذى استقروا عليه في المسيح ليوازن القارىء بين ما جاء في القرآن الكريم ، وما جاء في أنجيلهم وتعاليمهم .

ونعود بعد ذلك الى ما يوجبه البحث العلمى ، وهو تتبع العقيدة في نموها ، وفي استقامتها أو انحرافها بعد صاحبها ، وتجهيدا لذلك نبين ما نزل بالمسيحيين بعده ، لكى يستبين القارىء مقدار قوة السند بين الديانة وصاحبها مع هذه الأحداث ، وليعرف الفلسفة التى عاصرت المسيحية . ومقدار اتصالها .

اتفقت المصادر شرقية وغربية ، دينية وغير دينية : على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلاليا وكوارث ، جعلتهم يستخفون بديانتهم ، ويفرون بها أحيانا ويصمدون للمضطهدين مستشهدين أحيانا أخرى ، وهم في كلتا الحالتين لا شوكة لهم ، ولا قوة تحييمهم ، وتحبى ديانتهم وكتبهم ، وأنه في وسط هذه الاضطهادات يذكرون انه دونت أنجيلهم الأربعة التى يؤمنون بها ، ودونت رسائلهم !!

وأول اضطهاد نزل بالمسيحيين كان في عهد المسيح ، وانتهى بالخاتمة التى بينهاها ، ولقد نزلت من بعده الشدائد بالمسيحيين بما يتفق مع هذا الابتداء . فلقد جاء قيصران بعد طيباروس الذى عاصر المسيح ، كانا شديدين على تلاميذه ، وقتلا منهم قتلا ذريعا ، وفي زمن ثانيهما دون متى أنجيله بالعبرية . وترجمه يوحنا صاحب الانجيل الى اليونانية ، على رواية ابن البطريق كما سنتبين ، ولم يكن الاضطهاد في عهد هذين القيصرين من الرومان فقط ، بل كان من اليهود أيضا ، وإذا هم أمكن ، وتشقبتهم عن

العقيدة ادخل . لأنهم من الشعب ومخالطوهم ومعاشرهم ، فهم بداخلهم اعرف .

وأشد ما نزل من أذى كان في عهد نيرون (سنة ٦٤ م) وتراجان سنة ١٠٦ م وديسيون (٢٤٩ — ٢٥١ م) ودقلديانوس (سنة ٢٨٠ م) ، فنيرون هاج الشرح عليهم ، وأنزل البلاء والعذاب بهم . واتهمهم بأنهم الذين أحرقوا روما ، فأخذهم بجريرتها . وكانت السنوات الأربع الأخيرة عذابا اليما لهم . فقد تفنن هو وأتباعه في هذا العذاب ، حتى لقد كانوا يضعون بعضهم في جلود الحيوانات ويطرحونهم للكلاب فتنهشهم ، وصلبوا بعضهم ، والبسوا بعضهم ثيابا مطلية بالقار ، وجعلوهم مشاعل يستضاء بها ، وكان هو نفسه يسير في ضوء تلك المشاعل الانسانية .

وفي عصر نيرون هذا دون أنجيل مرقس سنة ٦١ على رواية ، وكان بهصر وقد كتبه عنه بطرس وهو برومة وكتب أيضا لوقا أنجيله في عهد هذا القيصر ، وفي ابتداء هذا الانجيل ينص على أنه يرأسل به تاوفيلس ، ليؤكد له صحة الكلام ، وتاوفيلس هذا رجل من عظماء الروم وأشرافهم ، وفي عصر هذا القيصر أو بعده دون يوحنا أنجيله .

وفي عهد تراجان نزلت بهم آلام ، لأنهم قد جرت عادتهم بالصلاة في الخفاء وهربا من الاضطهاد ، وقد أدر تراجان بمنع الاجتماعات السرية ، فأنزل بهم الذل والعذاب لذلك ، ولأنهم مسيحيون لا يدينون بدين القيصر .

جاء في كتاب تاريخ الحضارة « لقد كتب بلين — وكان واليا في آسيا — الى الامبراطور تراجان كتابا يدل على الطريقة التي كان بها المسيحيون ، قال : « جريت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية وهو أنى أسألهم اذا كانوا مسيحيين فاذا أقرروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثا مهددا بالقتل ، فان أصروا أنفذت عقوبة الاعدام فيهم ، مقتنعا بأن غلظهم الشنيع ، وعنادهم الشديد ، يستحقان هذه العقوبة ، وقد وجهت التهمة الى كثيرين بكتب لم تذيل بأسماء أصحابها ، فأنكروا أنهم نصارى ، وكرزوا الصلاة على الأرباب الذين ذكرت أسماؤهم أمامهم ، وقدموا الخمر والبخور لتمثال أتيت به عمدا مع تماثيل الأرباب ، بل أنهم شتموا المسيح ، ويقال ان من الصعب اكراه النصارى الحقيقيين ، ومنهم من اعترفوا بأنهم نصارى ،

ولكنهم كانوا يثبتون بأن جريمتهم في انهم اجتمعوا في بعض الايام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على انه رب ، وعلى انشاد الاناشيد اكراما له ، وتعاهدوا بينهم لا على ارتكاب جرم ، بل على الا يسرقوا ، ولا يقتلوا ، ولا يزنوا ، وان يوفوا بعهدهم ، ورأيت من الضروري لمعرفة الحقيقة أن اعذب امرأتين ذكروا أنهما خادمتا الكنيسة ، بيد أنى لم أقف على شيء سوى خرافة سخيفة مبالغ فيها .

وهذا الكتاب كاشف كل الكشف عما كان يحدث للنصارى في عهد ذلك القيصر من اضطهاد وتعذيب ، وتنقيب عن القلب وخبيثة النفس .

ولم ينقطع الاضطهاد بعد موت تراجان ، بل استمر ، وان أخذت الرأفة بعض القياصرة ، خلف من بعده خلف ينزلون عذابا مرا يزيل أثر كل رحمة سابقة كانت نسبية حتى جاء ديسيوس فأنزل بهم من البلاء ما تقشعر من هوله الأبدان ، ولترك القلم لبطريق الاسكندرية ، يصف بعض ما عاين من ديسيوس بعد أن ذاق بعض الرحمة من سابقه ، فهو يقول : « لم نكد نتنفس الصعداء ، حتى خلق بنا الخوف ، وحفنا الخطر ، عندهما بدل ذلك الملك الذى كان أرق جانبا ، وأقل شرا من غيره ، وجاء مكانه ملك آخر ، ربما لا يجلس على كرسى المملكة حتى يوجه أنظاره نحونا فيعمل على اضطهادنا . وقد تحقق حدسنا ، عندما أصدر أمرا شديدا للولاية ، فعم الخوف الجميع ، وفر بعضهم ، وقد أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة ، مهما يكن ذكاؤه ، وكل مسيحي يرشد عنه يؤتى به على عجل ويقدم الى هيكل الأوثان ، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم ، وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة . بعد أن يجتهدوا في حمله بالترهيب ... ومن ضعاف الايمان من أنكر مسيحيته . واقتدى به البعض ، ومنهم من تمسك بأذيال الفرار ، أو من زج به في غيابات السجون » .

وهكذا يقص ذلك القسيس ما نزل بهم مما انتهى به الأمر الى قراره هو ، وقد كتب يعتذر (١) عن ذلك الى بعض من أبلوا بلاء حسنا ، ولم يلوذوا بالفرار .

(١) راجع في هذا الكتاب تاريخ الأمة القبطية الجزء الأول ص ١٠٤ ،

ولم يكن البلاء مقصورا على مصر ، بل كان يتتبع المسيحيين في الدولة الرومانية حيثما ثقفوا ، واینما كانوا .

ولى بعد ديسیوس من اوقع البلاء وائزله بالمسيحيين ، ولكن كان اشد هؤلاء وابلفهم اذى وانكاهم بطشاً — دقلديانوس الذى جاء اليهم ، بعد ان خف العذاب عنهم قليلا ، وقد رجوا فيه خيرا ، وأملوا منه ان يكون عوناً ، لان مدير خاصته مسيحي ، ولكنه كان اشد من غيره على المسيحيين ، وخصوصا المصريين ، وذلك لان المصريين راوا امما تحلت من حكم الرومان ، ونكروا اغلاله ، فاقعدوا بهم ، ونزعوا الى السير في طريق الحرية والاستقلال ، وساروا فيه ، وعقدوا الامرة لواحد منهم ، فجاء دقلديانوس الى مصر ، وائزل بها البلاء ، وازال استقلالها ، واعاد فتحها ، وكانت كثرتها في ذلك الابان مسيحية ، وقد امر بهدم الكنائس ، واحراق الكتب ، واصدر امرا بالقبض على الاساقفة والرعاة ، وزجهم في غيابات السجن ، وقهر المسيحيين وحملهم على انكار دينهم ، وقد استشهد في هذا الوقت عدد كبير من الاقباط تجاوزت عدتهم اربعين ومائة ألف ، وعدهم بعض المؤرخين ثلاثمائة ألف ، وكثرة ما استشهد من شهداء وما نزل من بلاء كانت ولاية دقلديانوس حادثا ذا خطر في شأن مصر فجعلوه مبدأ تقويهم ، وذلك في سنة ٢٨٤ ميلادية .

وقد استمر البلاء ينزل من قياصرة الروم حتى جاء عهد قسطنطين ، بينا وبركة على المسيحيين ، لا على المسيحية كما سنبين .

اثر الاضطهادات في الديانة :

٢٠ — هذه هي الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها وفي تكريمها ولیدها وفي تدرجها ، وفي عصر تدوينها ورواية كتبها ، وهي مع اسباب أخرى جعلت بعض العلماء يبحثون عن قيمة هذه الكتب ، وجعلت بعض علماء المسيحيين أنفسهم يعتنرون عن بعض الاضطراب في الاناجيل بانبا دونت في عصور اضطهاد المسيحية الاولى ، بل ان مناظرهم يقررون بأن تلك الاضطهادات كانت سببا في فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة . يقول الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه اظهار الحق : « طلبنا مرارا من علمائهم النحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين

في محفل المناظرة التي كانت بينى وبينهم ، فقال : ان سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين الى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة ، وتفحصنا كتب الاسناد لهم ، فما رأينا فيها شيئا غير الظن ، يقولون بالظن ، ويتهمسون ببعض القرائن . وقد قلت ان الظن في هذا البسبب لا يغنى شيئا ، فما داموا لم يأتوا بنليل شاف ، وسند متصل بمجرى المنع يكفيننا . وايراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا . وفي الحق ان تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به في شئونهم الدينية — وخاصة ما كان متصلا ببيان الشريعة يقومون به سرا لا جهرا ، وفي خفية من العيون المتربصة ، والأعداء المترقبين ، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن الى ما يحكى عما يحدث فيها ، فيتظن في كل ما يروى عنها ، ولا مانع من ان يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، وينقل عن أشخاصهم ما لم يقولوه ، ويتسامع الجمهور أمورا ما حدثت في تلك الاجتماعات ، ولا قالها حاضروها ، فاذا جرى الشك والريب فيما دون من كتب المسيحية التي فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد ، والتي كتبت في ظلمة السرية ، يكون قد وقع حيث وجدت دواعيه ، وقامت شواهد .

الفلسفة الرومانية والمسيحية :

٢١ — ولقد كان من المسيحيين من يفرون بدينهم ، ومنهم من يظهر الوثنية ويبطن المسيحية ، ومنهم من دخل النصرانية وفي رأسه تعاليم الوثنية لم تخلع منه ولم تزيله ، وأن زایلها بعقله المدرك لعقله الباطن ما زال مستقرا لها ومكنا تكمن فيه ، وأهلؤاء لا شك اثر تفكيرهم في المسيحية التي لم يكن لها قوة تحميها ولا شكية تعقل النفوس الى حظيرتها .

وأن التاريخ يروى لنا أنه في القرن الثاني ، والثالث ، والرابع الميلادى قد دخل الرومان والمصريون أفواجا أفواجا في المسيحية . فمن حق العلم أن نحكى ما كان يسيطر على هذه الأمم من أفكار ، وما كان يسود تفكيرها من منازع عقلية ودينية ، ولا نعتد في ذلك الا على ما اثبتته تاريخ العلم والفلسفة ، وما أجمع عليه المؤرخون .

يحكى التاريخ أن مدينة الرومان لم تكن متناسبة تناسقا اجتماعيا ، فلم يكن توزيع الثروة فيها توزيعا يتحقق معه العدل الاجتماعى ، فبينما (م ٣ — محاضرات في النصرانية)

ترى ترفا ورخاء لمن اناحت عليهم الدولة بالفىء والغنائم والأسلاب من الفتوح الرومانية ، ترى الوف الوف من الناس قد حرموا ما يتبلغون به فى حياتهم ، فاستولى عليهم الاحساس بالظلم ، والسخط على الحياة ، والتأمل بها ، والناس لا يشقون لآلامهم وحرمانهم بمقدار ما يشقون لسعادة غيرهم التى امتنعت عليهم ، وكذلك كانت آلام سواد الرومان ، ولولا الايمان بحياة مستقبلية ، يستمتعون فيها بما حرموا منه فى هذه الحياة ، لضاقت الصدور بما يجلجل فى القلوب ، ولانفجرت فى ثورة اجتماعية ، لكن توجهت هذه النفوس الى الايمان بعالم علوى ، واعترف الانسان بعجزه التام عن معرفة نفسه واسعادها ، اذا اعتمد على تفكيره فقط ، لذلك رجعوا الى الدين .

وفى هذا الوقت أراد الفلاسفة أن يحلوا فلسفتهم محل الاديان ، اذ أخذت التماثيل والأوثان تفقد قوة تأثيرها ، ولم يعد لها سلطان فى تصريف سلوك الانسان ، وفقدت معابدها ما كان لها من روعة وقوة ، فاعتور النفس الرومانية حينئذ عاملان ، كلاهما فيه قوة وبأس ، فشعورهم بالبأساء والآلام يجعلهم فى حاجة الى عزاء من الدين ، وسلوى باليوم الآخر ، ولما الى حياة روحية ، والفلسفة — بما لها من سلطان العقل — لما وجدت الأوثان تسقط قيمتها أرادت أن تحل محلها ، حينئذ التحمت الفلسفة بالشعور الدينى ، أو التقت الفلسفة والدين ، ولم يكن التقاؤهما عداوة وخصاما ، بل كان محبة وسلاما ، فكانت تلك الحال داعية اتصال بينهما ، لا داعية افتراق .

قال فندلبند فى ذلك : « ان الفلسفة استخدمت نظريات علوم اليونان لتهديب الآراء الدينية ، وترتيبها ولتقدم بالشعور الدينى اللجوج فكرة فى العالم تقنعه . فأوجدت نظما دينية من قبيل ما وراء المادة تتفق مع الاديان المتضادة اتفاقا يختلف قلة وكثرة » .

هذه كلمة ذلك الفيلسوف نقلها عنه صاحب كتاب المبادئ الفلسفية ، فما هذه الاديان المتضادة التى الفت بينها الفلسفة ، وجعلت من نفقاتها المختلفة نملة واحدة مؤتلفة ؟

ان التاريخ يقص علينا أن الأديان التي كانت في بلاد الرومان ثلاثة : الوثنية الرومانية ، واليهودية ، والمسيحية الناشئة ، فهل عملت الفلسفة على ايجاد ديانة تجمع بين المسيحية واليهودية ، وفيها وثنية ؟ وهل المسيحية التي تؤمن بالتوراة التي عند اليهود على اختلاف هين ، وتؤمن بالتثليث والوهية المسيح وتقديس الصليب ، هي النظام الدينى الجامع بين الأديان الثلاثة !! لنترك ذلك الآن . وقد وضعنا أمام القارىء المسيح الذى يرى به الطريق .

الافلاطونية الحديثة واثرها فى النصرانية :

٢٢ — ولنتجاوز رومة الرومان ولنعبر البحر الأبيض ، ولننيم شواطئه الجنوبية ، فهناك تجد مدينة الاسكندرية ومدرستها ، وفلسفتها التى كانت تشع على العالم كله بنور العلم ، وقد آوى اليها فلاسفة اليونان ، وتابعوا الفلسفة اليونانية ، والتي تراها تتجه اتجاهها واضحا الى النواحي الدينية ، والبحث فى منشئ الكون .

كان شيخ هذه المدرسة امنيوس المتوفى سنة ٢٤٢ ، اعتنق فى صدر حياته الديانة المسيحية . ثم ارتد عنها الى وثنية اليونان الأقدمين ، وجاء من بعده تلميذه افلوطين المتوفى سنة ٢٧٠ وقد تعلم فى مدرسة الاسكندرية أولا ، ثم رحل الى فارس والهند ، وهناك استقى ينباع الصوفية الهندية وأطلع على تعاليم بوذا وديانته ، وبراهمة الهند وديانتهم . وعرف آراء البوذيين فى بوذا ، والبراهمة فى كرشنة ، وقد عاد بعد ذلك الى الاسكندرية ، وأخذ يلقى بأرائه على تلاميذه ، وجلبها يتجه الى تعرفه ما وراء الطبيعة ، ومنشئ الكون .

ويلخص اعتقاده فى منشئ الكون فى ثلاثة أمور :

(أولها) أن الكون قد صدر عن منشئ أزلى دائم لا تدركه الأبصار ، ولا تحده الأفكار ، ولا تصل الى معرفة كنهه الأفهام .

(ثانيها) أن جميع الأرواح شعب لروح واحد وتتصل بالمشئى الأول بواسطة العقل .

(ثالثها) أن العالم فى تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة ، وهو تحت سلطانها ، فאלه منشئ الأشياء وهو مصدر كل شئ ، واليه معاده لا يتصف

بوصف من اوصاف الحوادث . فليس بجوهر ولا عرض ، وليس فكرا
كفكرنا . . ولا ارادة كرادتنا ولا وصف له ، الا انه واجب الوجود ،
يتصف بكل كمال يليق به ، يفيض على كل الاشياء بنعمة الوجود ،
ولا يحتاج هو الى موجود ، واول شيء صدر عن هذا المنشيء في نظر
أفلوطين هو العقل المصدر عنه كانه يتولد منه ، ولهذا العقل قوة الانتاج ،
ولكن ليس كمن تولد عنه ، ومن العقل تنبثق الروح التى هى وحدة الأرواح ،
وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء .

٢٣ — هذه هى فلسفة المعاصرين لنشأة الديانة المسيحية عندما
اريد تحويلها ، وترى ان فلسفة الرومان ترمى الى ايجاد الفة بين الوثنية
واليهودية ومسيحية المسيح عليه السلام ، كما ترى أن فلسفة الاسكندرية
ترجع العالم فى تكوينه وتدبره الى ثلاثة عناصر او الى ثالوث مقدس هو
المنشيء الاول ، والعقل الذى تولد منه كما يتولد الولد من أبيه ، والروح
الذى يتصل بكل حى ومنه الحياة . فلذا عبرنا عن المنشيء الاول بالآب ،
وعن العقل المتولد عنه بالابن ، وعن الروح بروح القدس ، كما هو ثالوث
النصارى الذى أخذ ببعضه مجمع نيقية ، وبكله المجامع التى جاءت من
بعده ، لما خرجنا فى التسبية عن الصواب ، وما كان فيها أى تسامح ،
فذلك الثالوث فى معناه هو ثالوث النصارى ، واذا لم يختلف المسمى ،
فلماذا يختلف الاسم ؟ .

وهنا يرد على النفس سؤال : أيهما أستقر ، وأيهما كان ينبوع ؟
هل أخذت الأفلاطونية الحديثة من النصرانية ، أم النصرانية الحاضرة هى التى
أخذت عن الفلسفة ؟ ان الجواب عن هذا يقتضى تعرف السابق منهما ،
فالسابق بلا ريب أستاذ اللاحق ، والزمن هو الذى يحكم ويفصل ، وسنجد
فيما يلى من البحث أن مجمع نيقية هو الذى سار فى تقرير هذا الثالوث ،
ووضع الأساس لمن بعده ، أو بعبارة أدق قرر الهوية الابن ، وأن جوهره
هو جوهر الآب ، وقد جاء فى قراره « ان الجامعة المقدسة ، والكنيسة
الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وأنه
لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء ، أو من يقول أن الابن وجد

من مادة أو جوهر غير جوهر الآب ، ونزل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول أنه قابل للتغيير (١) .

(١) اطلع زميلنا المرحوم الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى الأساذ بكلية أصول الدين سابقا على هذا الاستنباط التاريخي فقال : أنه يوافق ما استنبطه بعض المستشرقين ، ثم ترجمه ، وتفضل فأرسل إلينا نص الترجمة وهامى ذى ، نشرها مع بحثنا شاكرين له رحمه الله فضل تعاونه :

التثليث ليس من المسيحية بل من الفلسفة الإغريقية

١ — كانت المشكلة الفلسفية التي واجهت أولا الإغريق هي : « ما مبدأ كل شيء ؟ » وباجتهاد الفلسفة في الإجابة عن هذا السؤال أجابة محدودة ومقنعة شيئا فشيئا كان لنا تلك المذاهب الفلسفية التي تتابعت في تاريخ الفلسفة الإغريقية . هذه فلسفة بدات طبيعية مع الفلاسفة الأيونيين ، ثم أخذت فكرة التوحيد في الظهور على أيدي سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ، بحيث رأى هؤلاء أن المبدأ الذى صدر عنه العالم هو الله الواحد الذى لم يتغير ، على غموض في تعيين هذه الصفات ونحوها مما يصح أن يتصف بها .

ولكن بمقدار تبين هذه المعارف والمعلومات عن الله كانت تكبر الصعوبة الأساسية التي اصطدمت بها المذاهب التي سبقت سقراط : كيف تصدر الأشياء عن مبدئها ؟ كيف يمكن أن يخرج الكثير — أى العالم — من الواحد ، والمتغير من الذى لا يتغير ؟ وأنه كلما قرب المبدأ الأول من الوحدة الحق بصيرورته روحيا ، ومن عدم التغير الحق بصيرورته كاملا ، تتسع الهوة التي يفصله عن العالم وكثرته وتصير أكبر عمقا ، كما يصعب عسيرا فهم كيف يبرز الله العالم للوجود ويحركه .

٢ — إذا كان الله واحدا وحدة مطلقة كيف يمكن أن يخلق الكثرة المختلفة دون أن يقبل في ذاته كثرة بأى وجه من الوجوه ؟ وإذا كان كماله المطلق يقتضى عدم التغير ، كيف تفهم أنه في وقت ما أوجد العالم دون أن يلحقه تغير ، مع أنه انتقل من حالة عدم العمل الى حالة العمل ؟ هنا تظهر عبقرية العقل الآرى ! الواحد البريء من التغير لا يمكن أن يصدر عنه العالم المتكثر المتغير مباشرة ، يجب إذن أن تتوسط بينهما وسائط أولية متدرجة حسب نظام ميتافيزيقى .

٣ — كان أفلاطون أول من أدرك تلك المشكلة وأول من أدرك هذا الحل الذى وجب على العقل الإغريق فيما بعد — بعد انصاحه طويلا — أن يجتمع نهائيا عليه ، أعنى عقيدة ثلاثة أقانيم أو عقيدة التثليث — ص ٧٠ — ٧١ :

٤ — هذا المذهب أو هذه العقيدة التي تمثلها عقل أفلاطون ، وإن أدركها إدراكا فيه نوع غموض ، ليس الا عقيدة التثليث المشهورة =

وهذا المجمع كان في سنة ٣٢٥ بعد الميلاد ، والمنسيحيون قبله كانوا على اختلاف كبير جدا ، ويكفى للدلالة على هذا الاختلاف أن الذين حضروا المجمع نيف وأربعون بعد الألفين ، وهم على آراء مختلفة ، ولم يجمع أعضاء هذا المجمع على نقطة واحدة ، أما عقيدتهم في الابن وقولهم أنه تولد عن المنشيء من غير زمن بينهما كما يقول الفلاسفة ، وأنه من جوهر أبيه ، كما يقولون لم تسد إلا بعد ذلك المجمع ، وسيأتى لذلك فضل بيان أن شاء الله تعالى ، وعلى ذلك يكون تثليث المسيحية كحقيقة مقررة متأخرا عن افلوطين لأن افلوطين توفي سنة ٢٧٠ بعد الميلاد كما علمت ، والتثليث

= ومن السهل ادراك الغرض منها : الاحتفاظ لله بالكمال المطلق والبراءة من التغير ، جعله يضع بينه وبين العالم وسيطين يعتبران دونه خارجين عنه ، وعلى نحو ما داخلين فيه ، أى تتضمنهما ذاته — صادرين عنه ، دونه في الكمال ، ويجعلانه ممكنا أن يصدر عن الله العالم الكبير المتغير . أول هذين الوسيطين العقل ، وثانيهما الروح الالهية — ص ٧٣ — ٧٤ .

ه — وهكذا كان التزاوج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الاغريقية لم ينتج فلسفة فقط ، بل أنتج معها ديناً أيضاً ، أعنى المسيحية التي تشربت كثيرا من الآراء والأفكار الفلسفية عن اليونان . ذلك أن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذي كانت فيه الافلاطونية الحديثة (بريد فلسفة افلاطون التي كانت المعين الأصلية للفلسفة الافلاطونية الحديثة) ولذا نجد بينهما (أى اللاهوت المسيحي والافلاطونية الحديثة) مشابهات كبيرة ، وإن اختلفا أحيانا في بعض التفاصيل ، فانهما يرتكزان على عقيدة التثليث ، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما — ص ٩٣ .

٦ — أول هذه الأقانيم هو مصدر كل كمال ، والذي يحوى في وحدته كل الكمالات ، وهو الذي دعاه المسيحيون الآب . والثانى أو الابن هو الكلمة . والثالث هو دائما الروح القدس — ص ٩٢ — ٩٤ .

وعلى أنه يجب أن يلاحظ (وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحي عن الافلاطونية الحديثة) أن الأقانيم الثلاثة ليست في نظر هذا المذهب متساوية في الجوهر والرتبة . بينها هي متساوية عند المسيحية . فالابن الذي يتولد من الآب لا يمكن أن يكون أدنى منه كمالا . والا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل . وهذا حط من رتبته . وكذلك الروح القدس مساو للآب والابن — ص ٤٩ .

كل هذه لنقول من كتاب : « مقدمة (أو المدخل لدراسة) الفلسفة الاسلامية » تأليف المستشرق المعروف ليون جوتيه طبع باريس عام ١٩٢٣ .

لم يتكامل الا فى آخر القرن الرابع ، والمتقدم استاذ المتأخر كما يرجع العقل
وكما يوجب الظن الذى لا يعد من الاثم .

ولقد ترى ذلك الظن عند بعض علماء أوربا ، حتى شك بعضهم
فى حياة المسيح وقتلوا انه شخص خرافى لم يوجد ، أراد بعض فلاسفة
الانلاطونية الحديثة أن يفرضوه ، ليجعلوا من آرائهم ديانة يعتنقها العامة ،
وتسود الكافة ، وقد تم لهم ما أرادوا ، ولكننا نحن المسلمين لا نقر ذلك
كله ، لما فيه من انكار وجود المسيح الذى نؤمن به ، ونزل بخبره الوحي
الامين وان كنا نصدق ليه .

مصادر المسيحية بعد عيسى

٢٤ - الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والاناجيل ،
ورسائل الرسل ، وتسمى التوراة (أسفارها الموسوية وغيرها) كتب
العهد القديم ، وتسمى الاناجيل ، ورسائل الرسل كتب العهد الجديد ،
نمن العهد القديم يعرفون أخبار العالم في عصوره الأولى ، وأجياله
القديمة ، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية ، وتاريخ نشأتهم ،
وحكوماتهم وحوادثهم ، والنبوات السابقة منذ هبوط الانسان على هذه
الارض ، والبشارات بالنبيين اللاحقين ، وبالمسيح ، وفيها يجدون أدعية
متوارثة تعين على اداء العبادات ، والقيام بالطقوس الدينية كزامير
داود ، ولنترك الكلام في التوراة وأسفارها فلذلك موضعه من الخراسنة
للديانة اليهودية ، بيد أنه يجب أن يلاحظ أن بعض الأسفار المعتمدة عند
اليهود مرفوضة عند المسيحيين ، لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها .

الاناجيل :

٢٥ - اما كتب العهد الجديد فهي التى تعطينا فى هذا البحث ،
ويبيننا أن نجلى أمرها ، ونعرف حقيقتها ، وأولها الاناجيل .
والاناجيل المعتمدة عندهم أربعة : انجيل متى ، وانجيل مرقس ،
وانجيل لوقا ، وانجيل يوحنا .

ومكان الاناجيل فى النصرانية مكان القطب والمهاد ، وإذا كانت
شخصية المسيح وما حاطوها به من أفكار هى شعار المسيحية ، فإن هذه
الاناجيل هى المشتلة على أخبار تلك الشخصية ، من وقت الحبل الى
وقت صلبه فى اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال ، ثم رفعه بعد
أربعين ليلة ، وهى بهذا تشتمل على عقيدة الوهية المسيح فى زعمهم ،
والصلب والفداء ، أى أنها تشتمل على لب المسيحية فى نظرهم بعد المسيح
ومعناها .

وهذه الاناجيل الأربعة هى التى تعترف بها الكنائس ، وتقرها الفرق
المسيحية وتأخذ بها ، ولكن التاريخ يروى لنا أنه كانت فى العصور الفابرة
اناجيل أخرى ، قد أخذت بها فرق قديمة ، وراجت عندها ، ولم تعتنق
كل فرقة الا انجيلها ، فعند كل من أصحاب مرقيون ، وأصحاب ديسان

إنجيل يخالف بعضه هذه الأنجيل ، ولأصحاب ماني أنجيل يخالف هذه الأربعة ، وهو الصحيح في زعمهم ، وهناك أنجيل يقال له أنجيل السبعين ينسب الى تلامس ، والنصارى ينكرونه ، وهناك أنجيل اشتهر باسم التذكرة ، وأنجيل سرن تهس ، ولقد كثرت الأنجيل كثرة عظيمة ، واجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم ارادت الكنيسة في آخر القرن الثانى الميلادى ، أو أوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأنجيل الصادقة — فى اعتقادها — فاختارت هذه الأنجيل الأربعة من الأنجيل الراجحة إبان ذلك . .

ولقد يذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير الى وجود أنجيل ماني ومرقس ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثالث . وأول من ذكر هذه الأنجيل الأربعة أرينيوس فى سنة ٢٠٩ . ثم جاء من بعده كليمنس اسکندريانوس فى سنة ٢١٦ ، وأظهر أن هذه الأنجيل الأربعة واجبة التسليم ، ولم تكف الكنيسة باختيار هذه الأنجيل الأربعة ، بل ارادت الناس على قبولها لاعتقادها صحتها ، ورفض غيرها ، وتم لها ما ارادت فصارت هذه الأنجيل هى المتعبرة دون سواها .

ولقد كنا نود ونحن ندرس المسيحية وأنوارها فى التاريخ أن نعرف هذه الأنجيل التى أهملت ، وما كانت تشتمل عليه . مما كان سببا فى رفضها ، وحمل الناس على تركها ، وخصوصا أنها كانت رائجـة . وبأخذ بها طوائف من المسيحيين ويتدينون هذه الديانة على مقتضاها ، فإن الاطلاع عليها يمكننا من معرفة اعتقاد الناس فى المسيح ، وكيف كان ، خصوصا بين أولئك الذين قاربوا عصره ، وأدركوا زمانه ، ولقوا تلاميذه ، ونهلوا من مناهلهم ، وأدّ ضمن التاريخ بحفظ نسـخ منها ، فتدكنا نود أن نطلعنا الكنيسة على ما اشتملت عليه مما يخالفها ، وما كان من سبب رفضها ، وترينا حجة الرفض ، لتكون دليلا منيرا لها على أنها بهذا أثابت ديانة المسيح ولم تغيرها ، ولكن ضمن التاريخ علينا ، فطوى تلك الأنجيل ، وضنت الكنيسة مغطوت تلك البيانات ، فلم يبق لنا الا أن نكتفى من الدراسة بما بين أيدينا ، لنعل فيه غناء أن أنعمنا الفطر وأمعنا فى الاستنباط ، وجعلنا لقضية العقل سلطانا ، ومن بدهياته برهانا .

الإنجيل لم يملها المسيح ولم تنزل عليه :

٢٦ — وهذه الإنجيل الأربعة لم يملها المسيح ، ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى اليه، ولكنها كتبت من بعده — كما رأيت — وتشتمل على أخبار يحيى (يوحنا المعمدان) والمسيح ، وما كان منه ، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب ، وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة، ولا تحدث من سواه من البشر ، وما كان يحدث له من أحداث ، وما كان يجرى بينه وبين اليهود ، وما كان يلقيه من أقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ ، وفيها قليل من الشرائع التى تتعلق بالزواج والطلاق ، ثم أخبار المؤامرة عليه ، واتهامه والقبض عليه ، ومحاكمته ، سواء أكانت تلك المحاكمة أمام اليهود ، أم أمام الرومان ، ثم فيها الحكم عليه بالموت صلبا، وصلبه بالفعل فيما يعتقدون ، وفيها أيضا قيامته من قبره ، ومكوته أربعين يوما ، ثم رفعه الى السماء . وفى الجملة هى تشتمل على أخبار المسيح وصلواته . وأقواله وعجائبه ، من بدايته الى نهايته فى هذا العالم . وهذا — كما قلنا — لب المسيحية ومعناها ، لأن فيها النواة الأولى لالوهية المسيح ، وعقيدة النصارى فيه ، ولنتكلم على كل انجيل من هذه الإنجيل بكلمة تبين تاريخ تدوينه ، وتعرف بمؤلفه ، ومكانته من المسيح .

انجيل متى :

٢٧ — وقد كتبه متى، وهو أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر، ويسميهن المسيحيون رسلا ، وقد كان قبل اتصاله بالمسيح من جبة الضرائب، وكانوا يسمون فى ذلك العهد عشارين ، ولقد كان جابيا للرومان فى كفر ناحصوم من أعمال الجليل بفلسطين ، وكان اليهود ينظرون للجباية-نظر ازدراء ، لأنها تحصل صاحبها على الظلم ، أو على الأقل تحمله على العنف ، والعمل فيها معين للدولة الرومانية المغتصبة التى تحكم البلاد بغير رضا أهلها ، ولكن السيد المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه كما جاء فى انجيله . ففى الاصحاح التاسع منه : « وفيما يسوع يجتاز من هناك رأى انسانا جالسا عند مكان الجباية ، واسمه متى ، فقال له : اتبعنى ، فقام وتبعه ، وبينما هو منكئ فى البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا ، واتكئوا مع يسوع وتلاميذه .

فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل مع العشارين والخطاة ؟ فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ، بل المرضى ، فاذهبوا وتعلموا ما هو ، انى أريد رحمة لا ذبيحة ، لانى لم آت لادعو أبرارا ، بل خطاة الى التوبة » .

ولما صعد المسيح الى ربه جال متى للتبشير بالمسيحية في بلاد كثيرة . ومات في سنة ٧٠ ببلاد الحبشة على اثر ضرب مبرح انزله به أحد أعوان ملك الحبشة . وفي رواية أخرى أنه لدعن برمح في سنة ٦٢ بالحبشة . بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيا للمسيحية مبشرا بها ، فموطن دعايته كما يروى مؤرخو المسيحية هو الحبشة .

انجيل متى كتب بالعبرية ولم يعرف الا باليونانية وجعل المترجم :

٢٨ — وقد اتفق جمهورهم على أنه كتب انجيله بالعبرية أو السريانية ، كما اتفقوا على أن أقدم نسخة عرفت شائعة رائجة كانت باليونانية ، ولكن موضع الخلاف في تاريخ تدوينه ، ومن الذى ترجمه الى اليونانية ، فمن المتفق عليه عند أكثرهم أن متى كتب انجيله بالعبرانية . وذلك لانه كتبه لليهود ببشر بالمسيحية بينهم ، وليقرأه مؤمنوهم بها ، قال جيروم : « ان متى كتب الانجيل باللسان العبرى في أرض يهودية للمؤمنين من اليهود » وقال غيره : « أن متى كتب الانجيل باللسان العبرى . وهو الذى انفرد باستعمال هذا في تحرير العهد الجديد » .

وإذا انتقلنا الى تاريخ تدوين هذا الانجيل وترجمته نرى ميدان الخلاف . فسيحا ، فنجد ابن البطريق يذكر أنه دون في عهد قلوذيوس قيصر الرومان من غير أن يعين السنة التى كتب فيها .

ويذكر أن الذى ترجمه يوحنا ، فيقول في ذلك : « في عصر قلوذيوس كتب متاوس (متى) انجيله بالعبرانية في بيت المقدس . وفسره من العبرانية الى اليونانية يوحنا صاحب الانجيل » .

وهنا نجد لم يعين السنة التى كتب فيها الانجيل ، بل عين الملك الذى كتب في عهده ، وهذا الملك لم يكن هو الذى عاصر المسيح ، ولا الذى يليه . بل الذى عاصر المسيح وصلب — على زعمهم — في عهده طيباريوس .

عولى من بعده غابريوس ، وملك أربع سنين وثلاثة أشهر ، ثم جاء من بعده
قلوديوس وملك أربع عشرة سنة ، فيحتل تدوين هذا الانجيل أن يكون
في آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح ، ويحتل أن يكون في أول أو آخر
العشرة الخامسة أو أوائل السادسة . فكلام ابن البطريق يحتل كل هذا ،
وقال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه عن الفرنسية : « ان متى كتب
شارته في اورشليم في سنة ٣٩ للمسيح على ما ذهب اليه القديس
ايرنيموس ، والسبب في ذلك على ماذهب اليه القديس ابيفانيوس أنه كتبه
اما اجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح ، او اجابة لأمر الرسل ، ولم يكتب
انجيله باليونانية بل بالعبرانية على زعم اوسيبوس في تاريخه ، وقد وافق
أسيبيوس القديس ابرنيموس ، اذ أن بانتيوس قد ذهب ليكرز بالايمان
المسيحي في الهند ، فوجد انجيلا لمتى الرسول مكتوبا بالعبرانية ، فجاء به
الى الاسكندرية ، وبقي محفوظا في مكتبة قيصرية الى ايامه ، لكن هذه
النسخة العبرانية قد فقدت ، وبعد فقدتها ظهرت ترجمتها في اليونانية » ١ هـ .
وفي هذا يعين الكاتب تاريخ السنة الذي دون فيها الانجيل ، ولكن لا يعين
المترجم . بل يذكر انه غير معروف ، بينما نرى ابن البطريق يعين أنه يوحنا
صاحب الانجيل المسمى باسمه .

ويقول بالنسبة لتاريخ التدوين صاحب كتاب (مرشد الطالبين
الى الكتاب المقدس الثمين) : « أن متى بموجب اعتقاد جمهور المسيحيين
كتب انجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا ، ومرقس ولوقا كتبا انجيلهما قبل
خراب اورشليم . ولكن لا يمكن الجزم في أية سنة كتب كل منهم بعد صعود
المخلص ، لانه ليس عندنا نص الهى على ذلك » .

وقال صاحب ذخيرة الالباب : « ان القديس متى كتب انجيله في السنة
٤١ للمسيح باللغة المتعارفة يومئذ في فلسطين ، وهى العبرانية
أو السريوكلدانية . ثم ما عتم هذا الانجيل أن ترجم الى اليونانية . ثم تطلب
استعمال الترجمة على الأصل الذى لعبت به أيدي النساخ الايونيين
ومسخته بحيث أضحى ذلك الأصل خاملا ، بل فقيدا ، وذلك منذ القرن
الحادى عشر » .

وقال الدكتور بوسمت في قاموس الكتاب المقدس ، مخالفا جمهور
المتقدمين في انه كتب بالعبرانية أو السريانية : « ان هناك من يقول أنه كتب

باليونانية ، ثم يرجح انه الف باليونانية مخالفا بذلك اجماع مؤرخيهم .
ثم يقول بالنسبة لتاريخ تدوينه : « ولا بد أن يكون هذا الانجيل قد كتب
قبل خراب اورشليم » ويظن البعض « أن الانجيل الحالي كتب ما بين سنة ٦٠
وسنة ٦٥ » . والحق أن باب الاختلاف في شأن التاريخ لا يمكن سده ،
ولا يمكن ترجيح رواية ، ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالاتباع ، وذلك يقول
هورن : « ألف الانجيل الأول سنة ٣٧ أو سنة ٣٨ أو سنة ٤١ أو سنة ٤٣ .
أو سنة ٤٨ أو سنة ٦١ أو سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ من الميلاد » .
ونقول نحن : « يجوز غير ذلك ، والجمهور على انه كتب بغير اليونانية »
ولكن لم يعرف غيرها ، ولم يعترف جمهرة المؤرخين من يكون المترجم .
وفي أي عصر ترجم ، وقد علمت أن ابن البطريق يذكر أن يوحنا هو الذي
ترجمه الى اليونانية ، ولكن لا نجد أحدا من المؤرخين أيده ، بل أن الكثيرين
منهم يقولون : « انه لم يعرف المترجم » .

اثر جهل تاريخ التدوين والمترجم :

٢٩ — لاشك أن جهل تاريخ التدوين ، وجهل النسخة الأصلية
التي كانت بالعبرية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره ، وعلم بالدين
واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم اليها ، كل هذا يؤدي الى تعدد حلقات
في البحث العلمي ، ولئن تسامح الباحث في تاريخ التدوين ، وتاريخ الترجمة
وملايساتها ، ليمتنع العلم من الاسترسال في التسامح ، حتى لا يرى
أن المسلسلة تكون كاملة اذا لم يعرف الاصل الذي ترجم ، فلقد وددنا
أن نعرف ذلك الاصل ، لنعرف أكانت الترجمة طبق الاصل ، أم فيها
انحراف ، ولنعرف أفهم المترجم مراعى العبارات ومعانيها ، سواء أكانت
هذه المعاني تفهم بظاهر القول أو بإشارات ، أم بلحن القول وتوحيحاته ،
أم بروح المؤلف وغرضه ، ومرواه الكلى من الكلام . ولكن عز علينا العلم
بالاصل ، ولقد كنا نتعزى عن ذلك لو عرفنا المترجم ، وأنه ثبت ثقة أمين
في النقل ، عالم لايتزيد على العلماء ، فقيه في المسيحية حجة فيها ، عارف
للغتين فاهم لهما ، مجيد في التعبير بهما ، فعندئذ كنا نقول : ثقة روى عن
ثقة بترجمته ، ونسد الخلة بتلك الرواية ، ونرأب الثلمة بتلك النظرة ، ولكن
قد امتنع هذا أيضا ، فتال جمهرة علمائهم : أن المترجم لم يعرف ، غبقت
الثلمة من غير ما يراها .

انجيل مرقس :

٣٠ — يقول المؤرخون ان اسمه يوحنا ويلقب بمرقس ، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح ، واختصهم بالزلفى اليه ، واصله من اليهود ، وكانت أسرته بأورشليم في وقت ظهور السيد المسيح ، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته ، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس في اعتقادهم من بعد رفعه ، وألهموا بالتبشير بالمسيحية ، كما ألهموا مبادئها . ويقول صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية : « وقد أجمعت تقاليد الطوائف المسيحية على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته ، وأنه في هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه ، وفي إحدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ » . وجاء في سفر الأعمال : « أن الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون في بيته » ولقد لازم مرقس خاله برنابا (وهو من الرسل) وبولس الرسول في رحلتها إلى أنطاكية وتبشيرها بالمسيحية فيها ، ثم تركهما بعد ذلك ، وعاد إلى أورشليم ، ثم التقى مرة أخرى بخاله ، واصطحبه إلى قبرص ، ثم افترقا ، فذهب إلى شمال افريقية . ودخل مصر في منتصف القرن الاول ، فاقام بها وأخذ يدعو إلى المسيحية التي كانت أخبارها قد سبقتة إليها ، وقد وجد في مصر أرضا خصبة لقبول دعوته ، فدخل فيها عدد كبير من المصريين ، وكان يسافر من مصر أحيانا إلى رومة وأحيانا إلى شمال افريقية ، ولكن مصر كانت المستقر الأمين له ، فاستمر بها إلى أن ائتمر به الوثنيون ، فقتلوه بعد أن سجنوه وعذبوه ، وكان ذلك سنة ٦٢ من الميلاد ، وقد جاء في كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار أن مرقس كان ينكر الوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحوارى ، وقد جاء في ذلك الكتاب عن مرقس : « صنف أنجيله بطلب من أهالى رومية ، وكان ينكر الوهية المسيح » .

اللغة التي كتب بها انجيل مرقس وتاريخ تدوينه والاختلاف فيه
وفي الكتاب :

٣١ — وقد كتب هذا الانجيل باللغة اليونانية ، ولم نر أحدا من كتاب المسيحيين ناقض ذلك ، وقد ذكر الدكتور بوست في كتابه (قاموس الكتاب المقدس) أنه كتب الانجيل باليونانية ، وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية ، وأخذ من ذلك أنه كتب في رومة . ويجوز مثله في تاريخ ابن البلسريق ،

منه : « وفي عصر تارون قيصر كتب بطرس رئيس الحواريين انجيل مرقس عن مرقس في مدينة رومية ، ونسبه الى مرقس » .

ونوجه نظر القارئ الى مقالته ابن البطريق من ان الذي كتب الانجيل هو بطرس عن مرقس ، ونسبه اليه ، فكان بطرس راوى مرقس . مع ان الاول رئيس الحواريين — كما يقول ابن البطريق — والثاني من تلاميذه ، كما جاء في كتاب مروج الاخبار في تراجم الابرار . واذا كان ذلك الانجيل خلاصة علمه بالمسيحية ، فاذا رواه عنه استاذة ، فقد روى هذا عن مرقس ما القاه عليه وعلمه ، وان ذلك لغريب ، ولقد ذكر هذا الامر صاحب مرشد الطالبين : « قد زعم ان انجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١ لنفع الامم الذين كان ينصرهم بخمته » . وقد ذكر الامر بلفظ الزعم ، كانه لا يصدقه ، وانه لا يراه مقبولا ، كما نراه غريبا ، ولكن هكذا يذكر الرواة . وبجوار هؤلاء الذين يقولون او يزعمون ان انجيل مرقس كتب بتدبير من بطرس ، وبولس ، فقد قرر الكاتب القديم ارينيوس : « ان مرقس كتب انجيله بعد موت بطرس وبولس » .

وفي الحق ان ذلك الاختلاف ، وان كان زمنا في ظاهره ، هو في معناه ولبه ، اختلاف في شخص المحرر لهذا الانجيل . فابن البطريق ، وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر ان الذي كتبه هو بطرس عن مرقس ، ونسبه اليه ، وارينيوس يقرر ان الذي كتبه هو مرقس من غير تدبير بطرس ، لانه كتبه بعد موته . فمن الكاتب اذن ؟ ليس بين ايدينا مانرجح به احدى الروايتين على الاخرى ! . ولنتجاوز هذا الى تاريخ كتابة ذلك الانجيل ، فنجدهم ايضا قد اختلفوا في زمان تأليفه . وقد قال في ذلك هورن : « ألف الانجيل الثاني سنة ٥٦ وما بعدها الى سنة ٦٥ والأغلب انه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ » ، ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين : انه كتب سنة ٦١ .

انجيل لوقا :

٣٢ — يقولون : ان لوقا ولد في انطاكية ، ودرس الطب ، ونجح في ممارسته . ولم يكن من اصل يهودي ، ولقد رافق بولس في أسفاره وأعماله ،

وجاء في رسائل بولس ما يشير الى هذه الرقعة ، وتلك الملازمة .
نفى الاصحاب الزابع من رسالته الى كولوسى يقول : « ويسلم عليكم لوقا ،
الطبيب الحبيب » ، وفي الاصحاب الرابع من رسالته الثانية الى اهل
تيموتاوس يقول : « لوقا وحده معى » ، وفي رسالته الى اهل فليمون يقول :
« مرقس وارسترخس وديماس ولوقا العاملون معى » . من هذا كله يفهم
ان لوقا هذا هو الانطاكى ، الطبيب ، ومثل هذا جاء في تاريخ ابن البطريق ،
ويستنبط القس ابراهيم سعيد من كون لوقا طبيباً معانى كثيرة تسمو
بانجيله ، فيقول : « وكان لوقا طبيباً ، وهذه المهنة لها قيمتها الخاصة .
لانها تلقى على حياة لوقا نورا ساطعاً ، فترينا اياه الرجل العلمى العلمى
المدقق المحقق ، الرقيق الأسلوب ، الجميل الديباجة ، لان الرومان
لم يسمحوا في وقتهم لأحد أن يتعاطى مهنة الطب ، الا لمن جاز امتحانات
عثة على جانب عظيم من الصعوبة والدقة والخطورة » ، ثم يبين :
« ان كونه طبيباً قد سرد ولادة المسيح من غير أب سزدا طبيعياً هائلاً
من غير محاولة التدليل على جوازه ، يؤخذ منه ان ذلك ليس ضد العلم ،
وان كان فوق متناول العالم ، وليس ضد الطبيعة ، وانه فوق مجرى
الطبيعة » . وبرجح — كما قال كثيرون — انه ولد بانطاكية ، ولكن
الدكتور بوست يقرر انه لم يكن انطاكياً ، ويبين ان الذين يقولون انه انطاكى
وهو ذلك . او ظنوه من اشتباهه بلوكيوس ، فيقول : ظن بعضهم انه
(لوقا) مولود في انطاكية الا ان ذلك ناتج من اشتباهه بلوكيوس . وزعم
بوست انه كان رومانياً نشأ بايطاليا . ومهنة الطب التى نسب اليها ليست
ايضاً موضع اتفاق ، لأن بين المؤرخين المسيحيين من يقررون انه كان مصوراً .

ومن هذا يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقينى بمولد وصناعة
كاتب هذا الانجيل ، فمن قائل انه انطاكى ولد بانطاكية ، ومن قائل انه
رومانى ولد بايطاليا ، ومن قائل انه كان طبيباً ، ومن قائل انه كان مصوراً ،
وكلهم يتقنون على انه من تلاميذ بولس ورفقائه ، ولم يكن من تلاميذ المسيح ،
ولا من تلاميذ حوارييه . ولبولس هذا شأن خطير في المسيحية كما سنبين .

من كتب لهم انجيل لوقا ، ولغته ، واختلافهم حوله :

ويختلفون أيضاً في القوم الذين كتب لهم أولاً هذا الانجيل . فالقس
ابراهيم سعيد يقول : « أنه كتب لليونان ، وانجيل متى كتب لليهود . وانجيل

مرقس يقول كتب للرومان ، وانجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة .
وانا نجد انجيل لوقا يبتدىء بهذه الجملة : « اذا كان كثيرون قد اخذوا
بتأليف قصة في الامور المتيقنة عندنا . كما سلمها اليها الذين كانوا منذ البدء
معانين ، رأيت ايضا ، اذ قد تتبعت كل شيء من الاول بتدقيق ان اكتب
على التوالي اليك ايها المسكين ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي
علمت به » . وثاوفيلس هذا يقول عنه ابن البطريق انه من عظماء الروم ،
فيقول في ذلك : « وكتب لوقا انجيله الى رجل شريف من علماء الروم يقال
له ثاوفيللا . وكتب اليه ايضا الابركسيس الذي هو اخبار التلاميذ »
وهي الرسالة المسماة أعمال الرسل ، وهناك من يقول ان ثاوفيلس هذا
كان مصريا ، لا يونانيا ، فهو قد كتب للمصريين لا لليونانيين .

ويقول الدكتور بوست في تاريخه : « قد كتب هذا الانجيل قبل خراب
اورشليم وقبل الاعمال ، ويرجح انه كتب في قيصرية في فلسطين مدة اسر
بولس سنة ٥٨ — ٦٠ من الميلاد غير ان البعض يظنون انه كتب قبل ذلك » .
ومن هذا يفهم ان بوست يرجح انه ألفه ويولس حي في الاسر ، ولكن يحقق
العلامة لارون انه حرر انجيله بعد ان حرر مرقس انجيله ، وذلك بعد
موت بطرس ، وبولس . والواقع ان باب الخلاف في تاريخ تدوين هذا
الانجيل اوسع من ذلك ، ففسد قال هورن : ألف الانجيل الثالث سنة ٥٣
أو سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ .

ولا نترك هذا الانجيل من غير ان نقول ان الباحثين قد اختلفوا
في شخصية كاتبه وفي صناعته ، وفي القوم الذين كتب لهم ، وفي تاريخ
تأليفه ، ولم يتفقوا الا على انه ليس من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ تلاميذه .
والا على انه كتب باليونانية .

انجيل يوحنا :

٣٣ — لهذا الانجيل خطر وشان اكثر من غيره في نظر الباحث ،
لانه الانجيل الذي تضمنت فقراته فكريا صريحا لألوهية المسيح ، وهذه
الالوهية يعتبر هو نص اثباتها وزكن الاستدلال فيها . ولذلك كان لابد
من العناية به ، اذ كان التثليث هو شعار المسيحية ، وهو موضع مخالفتها
لدلائل التوحيد ، وأساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات .
(م ٤ — محاضرات في النصرانية)

ويقول جمهور النصارى : ان كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحوارى ابن زبدي الصياد الذى كان يحبه السيد المسيح ، حتى انه استودعه والدته وهو فوق الصليب ، كما يعتقدون ، وقد نفى في أيام الاضطهاد الاولى ، ثم عاد الى انفسس ، ولبت ييشر فيها ، حتى توفى شيخا هراما .

هذه خلاصة ما جاء بكتاب مرشد الطالبين ، ولكن بجوار هؤلاء من محققى المسيحيين من انكر ان يكون كاتب هذا الانجيل هو يوحنا الحوارى ، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت الى الاول بصلة روحية ، وان ذلك الانكار لم يكن من ثمرات هذه الاجيال ، بل ابتداء فى القرن الثانى الميلادى ، فان العلماء بانسيحية فى القرن الثانى الميلادى انكروا نسبة هذا الانجيل الى يوحنا الحوارى ، وكان بين ظهرائهم ارينيوس تلميذ بوليكراب تلميذ يوحنا الحوارى ، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك حتما تلميذه بوليكراب ، ولأعلم هذا تلميذه ارينيوس ، ولأعلن هذا تلك النسبة عندما شاع انكارها . ولقد قال استاذين فى العصور المتأخرة : « ان كافة انجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ، ولقد كانت فرقة الوجين فى القرن الثانى تنكر هذا الانجيل وجميع ما اسند الى يوحنا ، ولقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه : « اما انجيل يوحنا فانه لا مزية ولا شك كتاب مزور اراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض . وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المرور فى متن الكتاب انه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فاختت الكنيسة هذه الجملة على علانها ، وجزمت بان الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصا ، مع ان صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت اليه ، وانا لفراف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ، ولو بأوهى رابطة ، ذلك الرجل الفيلسوف الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى — بالحوارى يوحنا الصياد الجليل ، فان أعمالهم تضيع عليهم سدى لخطيئهم على غير هدى » .

هذا قول بعض الباحثين من كتابهم : « ومن البدهى ان يعد المتعصبون ذلك القول خروجاً على وجه المسيحية ، ولذلك قال احد هؤلاء المتعصبين ،

وهو الدكتور بوست زادا على هؤلاء : وقد انكر بعض الكفار قانونية هذا الاتجيل ، لكرهتهم تعلية الزوحى ، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح ، غير أن الشهادة بصحته كافية ، فإن بطرس يشير الى آية منه (٢ بط ١ : ١٤ قال يو ٢١ ، ١٨ ، واغناطيوس وبوليكرس يقتطفان من روحه ونحوه . وكذلك الرسالة الى ديو كزيتس وباسيلوس وجوستينس الشهيد وتانياس ، وهذه الشواهد يرجع بنا زمانها الى منتصف القرن الثانى ، وبناء على هذه الشهادات ، وعلى نفس كتابه الذى يوافق ما نعلمه من سيرة يوحنا نحكم بأنه من قلمه ، والا فكاتبه من المكر والغش على جانب عظيم ، وهذا الأمر يعسر تصديقه ، لأن الذى يقصد أن يغش العالم لا يكون روحيا ، ولا يتصل الى علم وعمق الأفكار والصلوات الموجود فيه ، وإذا قابلناه بمؤلفات الآباء رأينا بينه وبينها بونا عظيما ، حتى نضطر للحكم بأنه لم يكن منهم من كان قادرا على تأليف كذا ، بل لم يكن بين التلاميذ من يقدر عليه الا يوحنا ، ويوحنا ذاته لا يستطيع تأليفه بدون الهام من ربه .

وإذا نظرنا الى هذا القول نظرة فاحصة كاشفة نفسه قسمين ، قسم يعلن به الكاتب شدة إيمانه وتعصبه لما يشتمل عليه هذا الكتاب وتقديسه . وهو القسم الذى ذكره فى عجز قوله ، وهو انه لا يستطيع أحد من الآباء ، بل لا يستطيعه أحد من الحواريين ، بل لا يستطيعه الكاتب نفسه الا بالهام من ربه ، ويلحق بهذا الجزء ما سبقه مما يماثله ، فإن من الخطأ أن يعد ذلك برهنة واحتجاجا ، فإنه ليس فيه أية محاولة لها ، أما القسم الثانى فهو ما يصح أن يعتبر محاولة للاستدلال وهو ما ذكر فى صدر قوله ، فإنه يقرر الاتفاق بين نص جاء فيه ، ونص جاء فى رسالة بطرس الثانية ، فهو يقول : أن الفترة الرابعة عشرة من الاصحاح الأول ونصها مع الفترة التى قبلها : « ١٣ — ولكن احسبه حقا ما دبت فى هذا المسكن أن انهضكم بالتذكرة — ١٤ — عالما أن خلع مسكى قريب ، كما أعلن ربنا يسوع المسيح أيضا » موافقة للفترة الثامنة عشرة من الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل يوحنا ونصها : « الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تنطق ذلك ، وتمشى حيث تشاء ، ولكن متى شئت فأتك تهد يدك ، وآخر يمنطك ، ويحملك حيث لا تشاء » .

ونحن لا نجد موافقة بين الفترتين لا في اللفظ ولا في المعنى ، واستولى علينا العجب من ادماء الموافقة ، ولا جامع بينهما ، فظننا ان هناك خطأ فيما كتبه الدكتور بوست ، وقلنا لعله يريد الرسالة الاولى لا الرسالة الثانية ، مرجعنا الى الفترة الرابعة عشرة من الاصحاح الاول من الرسالة الاولى ، فوجدنا نصها هي وما قبلها هكذا : « لذلك منقطوا احتفاء ذهنكم ساحين فالتقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتى بها اليكم عند استعلان يسوع المسيح كأولاد الطاعة ، ولا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم » . وهنا نجد بعضا من الموافقة في اللفظ ، والموافقة في المعنى ، فرجعنا أنه اراد هذه الرسالة ، وسبق قلته فدون الثانية بدل الاولى ، وعلى ذلك نناقش القول على أساسها ، وأساس المناقشة ما نعرفه من أن المتأخر ان وافق قوله من سبقه يكون قوله شهادة للسابق ، ولا يكون قول السابق شهادة له ، وأيها سبق تدوينا رسالة بطرس أم انجيل يوحنا ، وقد اتفق مؤرخو النصرانية على أن بطرس قتلته نيرون ، ويقول في ذلك ابن البطريق : « واخذ نارون قيصر لبطرس فصلبه منكسا وقتله ، لأن بطرس قال له : ان أردت أن تصلبني فاصلبني منكسا لئلا اتشبه بسيدي المسيح ، فانه صلب قائما » .. وعاش بطرس بعد السيد المسيح اثنتي عشرة سنة ، فكان بطرس قتل بعد ميلاد المسيح بنحو ٦٥ ، لأن المسيح صلب في اعتقادهم ، وله ثلاث وثلاثون سنة ، يضاف اليها اثنتان وثلاثون سنة عاشها بعده بطرس . ومن المؤكد ان انجيل يوحنا كتب بعد ذلك ، فقد كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ على ما أمتد الدكتور بوست ، فاذا وجدنا اتفاقا بين ما كتب في هذا الانجيل ، وما جاء في رسالة بطرس يجب أن يكون كاتب هذا الانجيل شاهدا لبطرس ، لا ان بطرس شاهد له ، وشهادة انجيل يوحنا لا قيمة لها لانها شهادة انجيل في نظر من انكروه مجهول غير معروف يحتاج الى دليل ، فلا حجة في هذا الأمر ، وعلى ذلك يكون الأمر في غيره من الشهادات ، وسنبين عند مناقشة كتبهم كثيرا من أوجه النقد فيها .

تاريخ تدوين هذا الانجيل وسبب تدوينه :

٣٤ — ولقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الانجيل اختلفا بينا . فالدكتور بوست يرجح انه كتب سنة ٩٥ أو سنة ٩٨ وقيل سنة ٩٦ ، ويقول هورن في تاريخ تدوين ذلك الانجيل : ألف الانجيل الرابع سنة ٦٨

أر سنة ٦٩ أوسنة ٧٠ أوسنة ٨٩ أوسنة ٩٨ من الميلاد » اذن فليس هناك تاريخ محرر لتدوين هذا الانجيل ، كما انه ليس هناك بيان قد خلص من الشك بحقيقة كتابته ، وقد عابت ما في ذلك .

ولقد قالوا انه كتب لفرض خاص . وهو ان بعض الناس قد سادت عندهم فكرة ان المسيح ليس اليها ، وان كثيرين من فرق الشرق كانت تقر تلك الحقيقة ، فطلب الى يوحنا ان يكتب انجيلاً يتضمن بيان هذه الألوهية ، فكتب هذا الانجيل ، وقد قاله جرجس زوين اللبناي فيما ترجمه : « ان شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس الا انساناً . وانه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم اساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه ان يكتب عن المسيح ، وينادي بانجيل مما لم يكتبه الانجيليون الآخرون ، وان يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح » قال يوسف الدبس الخوري في مقدمة تنسيده : (من تحفة الجبل) ان يوحنا صنف انجيله في آخر حياته بطلب من اساقفة كنائس آسيا وغيرها ، والسبب انه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح ، فطلبوا منه اثباته وذكر ما أهله متى ومرقس ، ولوقا في انجيلهم ، وقال صاحب مرشد الطالبين : انه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التي فيها كتب يوحنا انجيله ، فان بعضهم يزعم انه كتبه في سنة ٦٥ قبل خراب اورشليم ، وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الاقدمين يرون بكتابته في سنة ٩٨ ، وذلك بعد رجوعه من المنفى ، فالمقصود بكتابته ابقاء بعض مباهرات المسيح الضرورية ذات التروى مما لم يذكره باقي الانجيليين . وانهاء لبعض هرطقات مفسدة ، أشهرها معلمون كنية في شأن ناسوت المسيح وموته ، وخاصة ترسيخ النصرى الاوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديتهم ومخلصهم ، وقد قيل ان يوحنا لم يؤلف انجيله الا بعد صلاة عامة قلبية مع التبعية لأجل ان يوحيه الروح القدس بذلك .

ما يستنبط من سبب كتابته :

٣٥ — من هذه النقول يستفاد ان كتاب النصرى يجمعون اويكادون على ان الانجيل المنسوب الى يوحنا كتب لاثبات الوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها ، لعدم وجود نص في الاناجيل الثلاثة يعينها . وهنا لايسع القارىء تلك النقول الا ان يستنبط امرين : (أحدهما) صريح وهو ان الانجيل

الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على الوهية المسيح ، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الانجيل الرابع على الأقل ، وهذه حقيقة يجب تسجيلها ، وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على الوهية المسيح ، (وثانيهما) أن الاساقفة اعتنقوا الوهية المسيح قبل وجود الانجيل الذى يدل عليها ، ويصرح بها ، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ، ويدفعوا هرطقتهم فى زعمهم لم يجدوا مناصا من أن يلتمسوا دليلا ناطقا يثبت ذلك ، فأتجهوا الى يوحنا ، فكتب كما يقولون انجيله الذى يشتل على الحجة ، وبرهان القضية ، والبيئة فيها على زعمهم ، وهذا ينبىء عن أن الاعتقاد بالوهية المسيح سابق لوجود نص فى الكتب عليه ، والا لما اضطروا اضطرابا الى انجيل جديد طلبوه افتقروه ، فلما لم يجدوا طلبوا من يوحنا أن يكتبه . ولكن الواقع أن رسائل الرسل التى كتبت فى قولهم قبل هذا الانجيل ، فيها ما ينبىء عن الوهية المسيح ، ويعطنها ، فلم تكن فيها حجة لا تجعلهم فى حاجة ماسة الى انجيل جديد ، وفيها غناء من البيان يفنيهم عن سواء أم لعل تلك الرسائل المشتبهة على هذه الالهية كُتبت بعد هذا الانجيل ليؤيدوه بها ، وليثبت ما أتى به ، ويرسخ فى نفوس المسيحيين ، ثم نسبت الى السابقين .

هذا تشبيه مجمل اضطربنا سياق البحث لبيانه قبل اوانه ، وفى غير مكانه ، وله فى البحث موضع ، يفنى فيه الاجمال عن التفصيل .

هذه الاناجيل لم تنزل على عيسى عليه السلام :

٣٦ — هذه هى الاناجيل التى ذكرناها كما كتب النصارى ، لا كما يعتقد غيرهم ، وسنلقى عليها نظرة علمية بعد الكلام فى بقية الكتب ، ولكن يجدر بنا هنا أن ننبه الى أن هذه الاناجيل ليست نازلة على عيسى عليه السلام فى نظرهم ، وليست منسوبة له . ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه ، ومن ينتمى اليهم ، وهى تشتل على أخبار المسيح وقصصه ، ومحاوراته ، وخطبه ، وابتهالاته ونهايته فى الدنيا كما يعتقدون هم .

انجيل عيسى :

ولكن هل هناك انجيل غيرها يعد انجيل عيسى ؟ وهل فى كتابات الباحثين من النصارى ما يدل على ثبوت هذا الانجيل ، وان كنا لا نجد ؟

نجد في هذه الانجيل عبارات تذكر كلمة انجيل أو بشارة (وهي ترجمة لكلمة انجيل باليونانية) مضافة أحيانا الى المسيح على انه ابن الله ، وأحيانا الى الله ، وأحيانا الى ملكوت الله ، فنرى مثلا في انجيل متى في الاصحاح الرابع منه ما نصه : « وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ، ويكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض ، وكل ضعف في الشعب » ، وبشارة الملكوت هي ترجمة كلمة انجيل باليونانية ، ونرى في انجيل مرقس في الاصحاح الأول منه : « وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » وجاء في رسالة بولس الى أهل رومية في الاصحاح الأول منها : « أولا أشكر الهى يسوع المسيح من جهة جبينكم ، ان ايمانكم ينادى به في كل العالم ، فان الله الذى أعبدته بروحى في انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع أذكركم . . . » ويجيء في رسالته الاولى الى أهل كورنثوس . . . في اصحاحها التاسع : « بصرت الضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء ، صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما ، وهذا انا افعله لأجل الانجيل ، لأكون شريكا فيه » نفى هذا كله نجد كلمة انجيل او كلمة بشارة (وهي ترجمة كلمة انجيل باليونانية) مضافة الى ملكوت الله ، كما في انجيل متى ومرقس ، وانجيل الابن كما في رسالة بولس الى أهل رومية ، وكلمة الانجيل من غير اضافة كما في انجيل مرقس ، ورسالة بولس الى أهل كورنثوس الاولى ، ولا شك ان الانجيل المذكور في كل هذا ليس واحدا من هذه الاناجيل لانها لا تضاف الا الى اصحابها باتفاق النصارى ، ولأن المسيح قد وعظ بهذا الانجيل ، كما جاء في عبارة متى التى نقلناها ، ولم يكن واحد من هذه الاناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق ، وليس من المعقول أن يعظ بأقواله تلاميذه ، وهم بعد لا يزالون في دور التعلم ، ولأن هذا الانجيل قد ذكر في هذه الاناجيل على انه كان قائما في عهد ميسى ، ولانه ذكر من غير نسبة كما في انجيل مرقس ورسالة بولس الاولى الى أهل كورنثوس ، وليس واحدا من هذه الاربعة تنصرف اليه كلمة انجيل من غير نسبته الى صاحبه ، ولانه ذكر في رسالة بولس الى أهل رومية منسوباً الى المسيح الابن . وليس واحد من هذه الاناجيل يستحق هذا الاسم . لهذا كله نقول : ليس هذا الانجيل واحدا منها كما تقضى بذلك طبيعة السياق ، وكما يقضى بذلك

العقل ، واذا كان الأمر كذلك ، فهل لنا أن نفهم أن هناك أنجيلا أصيلا نزل على عيسى وركز به على حد تعبيرهم ووعظ . ويعتبر الأصل لهذه الديانة؟

أقوال علماء النصرانية في انجيل عيسى :

ولقد يهد لذلك الرأي ، ويرشحه - اننا وجدنا من مؤرخي المسيحية الاحرار الذين لم يقيدهم في بحثهم الا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بأنه كانت في القرن الاول رسالة تعتبر أصلا لهذه الاناجيل فيما جاء به المسيح ، و خلاصة احواله ، وهذا ترجمة ما قاله نارتن في كتاب له : « قال أكهارن في كتابه : انه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان احوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال انها هي الانجيل الاصلى ، والغالب أن هذا الانجيل كان للريدين الذين كانوا لم يسمعوا اقوال المسيح بأذانهم ، ولم يروا احواله بأعينهم . وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الاحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » .

اذن هؤلاء الاحرار يقررون انه كان هناك انجيل يعد من المسيحية بمنزلة القلب ، ولكنه غير موجود ، فهل لنا أن نقول أن ذلك الانجيل هو المشار اليه في اقوال متى ، ومرقس ، وبولس السابقة ، وهو الذى نزل على عيسى ، أهو انجيله وانجيل الله ؟ ليت ، وهل ينفع شيئا ليت ، ليت هذا الانجيل كان قائما ، وحرصت الكنيسة على بقائه . وقامت بحياطته ، ليكون فيصلا بين المختلفين ، وحكما بين الفرق والمفرقين ، ويكون قسطاس المجمع القديمة والحديثة التى حكمت حين الانشقاق ، ويكون مصدرا علميا لمن يكتب في المسيحية الاولى . ويتبعها في مدارجها في احقاب الزمن ، وملابسات التاريخ .

انجيل برنابا :

٣٧ - لقد كتبنا خلاصة ما بينه المسيحيون في اناجيلهم الاربعة ، واستنبطنا من نصوصها ما يدل على وجود انجيل أصيل ، هي منه الفرع من الأصل ، على أن في ذلك كلاما قد طسويناه الى موضعه من القول ، وقد أيدنا في استنباطنا بعض الاحرار المسيحيين ، واستنبطوا قريننا بما استنبطنا ، وقيل أن نغادر الكلام في الاناجيل الى الكلام في الرسائل يجدر بنا أن نتكلم في انجيل جديد قد كشف عنه البحث العلمى ، وقد همل

من الامارات ما يدل على أنه في نشأته يمتد الى أبعد أعماق التاريخ المسيحى ، وأبعد أغواره ، وهو يشبه الانجيل القائمة في أنه قصة المسيح من ولادته الى اتهامه . ويحكى محاوراته ، ومناقشاته وخطبه ، ولكن الكنيسة لم تعترف به وأنكرته ، فليس معتبرا عند المسيحيين مصدرا دينيا ، ولكنه يتداول بين علماء الامم الاوربية ، وقد انجھوا اليه بالبحث والعناية ، والإهتمام ، ولم يمنعهم من ذلك انكار الكنيسة له . ذلك الانجيل هو انجيل برنابا ، ومن الحق علينا أن ندرسه ، ونعرف رأى المسيحيين فيه ، ومايؤدى اليه النظر العلمى من غير اغتيات عليهم ولا تهجم ، ومن غير أن نقحم أنفسنا فيما ليس لنا من املاء عقيدة على القوم في دينهم .

برنابا :

٣٨ — جاء ذكر برنابا في رسالة اعمال الرسل التى ينسب تدوينها الى لوقا . فقد جاء في الاصحاح الرابع من تلك الرسالة : « ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ : وهو لاوى قبرصى الجنس ، اذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ، ووضعها عند أرجل الرسل » ، وجاء في الاصحاح التاسع عند الكلام من ايمان شاول — وهذا هو الذى اشتهر بعدئذ باسم بولس الرسول — ان برنابا هو الذى شهد له بالايمان ، وهو نص ما جاء فيه : « ولما جاء شاول الى اورشليم حاول أن يلتصق بالتيلايد . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ ، فآخذه برنابا وأحضره الى الرسل . وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق . وأنه كلمه ، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع » ولقد ذكر ذلك السفر ايضا انه كانت ترسله الكنيسة للوعظ والهداية ، وفي الاصحاح الحادى عشر : « فسمع الخبر عنهم في آذن الكنيسة التى في اورشليم . فأرسلوا برنابا لكى يجتاز الى أنطاكية ، الذى لما أتى ، ورأى نعمة الله فرح ووعظ أن يثبتوا في الرب بعزم القلب . لانه كان رجلا صالحا ، وممتلئا من الروح القدس والايمان ، فانضم الى الرب جمع غفير ثم خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول ، ولما وجده جاء به الى أنطاكية . . . » ، ويزعمون أن الروح القدس خاطبه واختصه بالخطاب هو ويولس (شاول) من بين الانبياء والمعلمين ، ثم جاء في الاصحاح الثالث عشر من رسالة اعمال : « وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون : برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ،

ولوكيوس القسريوانى ، ومنابن الذى تربى مع هيرودس رئيس الربع ،
وشاول ،

وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس : افرزوا لى
برنابا وشاول للعمل الذى دعوتها اليه ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا
عليهما الايدى ثم اطلقوها ، فهذان ، اذ ارسلنا من الروح القدس انحذرا
الى سلوكية ، ومن هناك سافرا فى البحر الى قبرص . ولما سارا فى سلاميس
ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود . وكان معهما يوحنا خادما « وقد استمر
برنابا وبولس مصاحبين فى التبشير بالديانة المسيحية فى قبرص . وحدثت
على ايديهما المعجزات ، حتى زعم الناس انها الهان . وجاء فيه عن بيان
وقع الخبر عليهما : فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزقا ثيابهما ،
واندبعا الى الجيع صارخين وقائلين . « ايها الرجال لماذا تفعلون هذا ؟
نحن بشر تحت آلام مثلكم . نبشركم ان ترجعوا من هذه الاباطيل الى الاله
الحى الذى خلق السماء والارض والبحر وكل ما فيها ، الذى فى الاجيال
الماضية ترك جميع الأمم ، مع انه لم يترك نفسه بلا شاهد » .

ومن هذا كله يتبين ان رسالة الاعمال تشهد ان برنابا كان من الرسل
فى اعتقادهم ، الذين اخلصوا للدعوة الى المسيحية ، حتى باع كل مايملك ؟
والقى بثمنه بين ايدي الرسل يتصرفون به فى سبيل نشر الدعوة ، وينفقونه
فى حاجات الجيع . وانه هو الذى شهد لبولس بالايمان ، وان الكنيسة
ارسلتها مبشرين بالمسيحية فى قبرص بعد ان ارسلت برنابا . وحسنده
الى انطاكية ، وان برنابا كان رجلا صالحا ممثلا من الروح ، وان الروح
القدس خصه بعناية من بين الرسل والعلمين كما يعتقدون .

وينص بولس فى رسالته الى اهل كولووسى فى اصحاحها الرابع
على ان مرقس صاحب الانجيل ابن اخت برنابا ، فيقول : « يسلم عليكم
ارسترخس المأسور معي ، ومرقس ابن اخت برنابا الذى اخذتم لاجله
ان آتى اليكم لتقبلوه » .

ولقد كان مرقس هذا يصاحب خاله وبولس فى سفرهما للدعاية
والوعظ . ولقد افترقا بسبب ارادة برنابا ان يصحبهما ابن اخته فى الطواف
فى المدن التى سبقت اليها الدعاية ، ومخالفة بولس لذلك ، ولذلك جاء

في رسالة الأعمال في اصحابها الخامس عشر ما نصه : « ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا : لئرجع ونعتقد اخواننا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب ، كيف هم ؟ فأشار برنابا أن يأخذ معهما أيضا يوحنا الذي يدعى مرقس ، وأما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بيفيلية ، ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما ، فحصل بينهما مشاجرة ، حتى فارق أحدهما الآخر ، وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر الى قبرص ، وأما بولس فاختار سيلا ، وخرج مستودعا من الاخوة الى نعمة الله . »

ولقد اشرنا الى الصلة بين برنابا ومرقس صاحب الانجيل عند الكلام في انجيل مرقس ، ونقلنا من كتب المسيحيين ما يدل على أن مرقس هذا ، وهو حجة عندهم باتفاق ، كان ينكر الهوية المسيح ، هو وأستاذه بطرس ، وقد نقلنا عن مروج الأخبار في تراجم الأبرار ما يدل على ذلك .

هل برنابا من الحواريين الاثني عشر :

٣٩ — هذا هو برنابا . قديس من قديسي المسيحيين باتفاقهم ، ورسول من رسلهم ، وركن من الأركان التي قامت عليها الدعاية للمسيحية الأولى ، وقد وجد انجيل باسمه يدل على أنه كان من الحواريين الذين اختصهم المسيح بالزلفى اليه ، والتقرب منه ، وملازمته في سرائه وضرائه ، ولكن كتب المسيحيين غير هذا الانجيل لاتعمده من هؤلاء الحواريين وان كانت تعده من الرسل الذين يبلغون مكانة الحواريين في هذا الدين بعد المسيح ، ومهما يكن من شيء في هذا الأمر ، وهو كونه من الحواريين أو ليس منهم ، فإن برنابا حجة عند المسيحيين ، وهو من الملهمين في اعتقادهم ، فإن صحت نسبة هذا الانجيل اليه كان مايشمله حجة عليهم ، يدعوهم الى أن يوازنوا بين ما جاء فيه وما جاء في غيره من كتبهم ، ويؤخذ بما هو أقرب الى التصور والتصديق ، وأصح سنداً ، وأقرب بالمسيحية الأولى رحماً .

فلندرس الآن أقدم نسخة عرفت في العصر الحديث .

اتفق المؤرخون على أن أقدم نسخة عثروا عليها لهذا الانجيل ، نسخة مكتوبة باللغة الايطالية ، عثر عليها كريمز أحد مستشاري ملك بروسيا ، وذلك في سنة ١٧٠٩ وقد انتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار

في سنة ١٧٣٨ الى البلاط الملكي بفيينا . وكانت تلك النسخة هي الاصل لكل نسخ هذا الانجيل في اللغات التي ترجم اليها .

ولكن في اوائل القرن الثامن عشر، أى في زمن مقارب لظهور النسخة الايطالية وجدت نسخة اسبانية ترجمها المستشرق سايل الى اللغة الانجليزية ، ولكن لم يعلم من تلك النسخة وترجمتها الا شذرات أشار اليها الدكتور هوايت في إحدى الخطب، وقد قيل أن الذى ترجم النسخة الاسبانية الى تلك اللغة مسلم نقلها من الايطالية الى الأسبانية .

ولقد رجح المحققون أن النسخة الايطالية هي الاصل للنسخة الاسبانية ، وذلك أنها قد قدمت بمقدمة تذكر أن الذى كشف النصاب عن النسخة الايطالية التي كانت اصلا للنسخة الاسبانية راهب لاتيى اسمه فرامينو وانه يقص قصصها ، فيقول : « انه عثر على رسائل لايريانوس وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول . ويسند تنديده الى انجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع الى البحث عن انجيل برنابا . وقد وصل إلى مبتغاه لما صار أحد المقربين الى البابا سكيس الخامس . فانه عثر على ذلك الانجيل في مكتبة هذا البابا ، فأخفاه بين أurdانه ، وطالعه ، فاعتنق الاسلام » ويظهر أن تلك النسخة هي نفس النسخة التي عثر عليها سنة ١٧٠٩ .

ويقول في ذلك الدكتور سعادة مترجم الانجيل الى العربية: « اذا تحررت التاريخ وجدت أن زمن البابا سكيس المذكور نحو مغيب القرن السادس عشر . وقد علمت مما مر بك بيانه أن نوع الورق الذى سطر فيه انها هو ورق ايطالى يمكن تعيين أصله من الآثار المائية التى فيه ، والتى يمكن اتخاذها دليلا صادقا على تاريخ النسخة الايطالية والتاريخ الذى يحدسه العلماء » من كل ما تقدم بيانه يتراوح بين منتصف القرن الخامس عشر ، والسادس عشر ، وعليه فمن الممكن أن تكون النسخة الايطالية هي عينها التى اختلسها فرامينو من مكتبة البابا على ما مرت الإشارة اليه » .

الكلام في صحة تسمية هذا الانجيل :

٤٠ — أقدم نسخة معروفة أذن هي النسخة الايطالية التى عثر عليها في فجر القرن الثامن عشر ، ولكن وجودها يمتد الى منتصف القرن

الخامس عشر أو أول القرن السادس عشر ، وقد وجدت في جو مسيحي .
خالص ، فلا مظنة لأن تكون مدخولة عليهم .

فأول من عثر عليها في خزانة كتبه رئيس ديني خطير . وكاشفها
راهب ، ولما تداولتها الأيدي انتقلت الى مستشار مسيحي من مستشاري
ملك بروسيا ، ثم آلت الى البلاط الملكي بفيينا فلا مظنة لأن تكون مدخولة
عليهم ، وهى منسوبة لقديس من القديسين هو برنابا ولم يعرف بهذا الاسم
سواه ، له مثل مكانته الدينية . ولقد كان وجود انجيل له أمرا معروفا
بين العلماء بهذا الدين . فهذا فرامينو يقول انه اطلع على رسالة لاريانوس
يستنكر ما كتب بولس مستشهدا على استنكاره بانجيل برنابا .

ويذكر التاريخ ان هناك أنجيل كثيرة حرمت قراعتها الكنيسة — كما
أشرنا من قبل ، ويقول الدكتور سعادة : « يذكر التاريخ أمرا أصدره البابا
جلاسيوس الاول الذي جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ ميلادية
يعدد فيه أسماء الكتب المنهية من مطالعتها ، وفي عدادها كتاب يسمى انجيل
برنابا ، ويذهب بعض العلماء المدققين الى أن أمر البابا جلاسيوس القوم
عنه إنما هو برمته تزوير » .

ولكن التاريخ اصبح وأصدق من قول هؤلاء العلماء ، وان كانوا
محققين ، فاقوال العلماء والمؤرخين تترى في تحريم قراءة أنجيل كثيرة .
فاذا فعل ذلك البابا جلاسيوس فقد سار على سنة أسلافه ، وجرى على
سننه من بعده أخلاف ، واذا صح ذلك الأمر — كما يشهد التاريخ ،
وكما تنبئ عنه المقدمات والنتائج ، فان انجيل برنابا كان معروفا متداولاً
قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من قرنين .

وزعم الدكتور سعادة بأنه لو كان معروفاً في ذلك الابان لعرفه النبي
صلى الله عليه وسلم واحتج به ، أو أخذ منه — زعم باطل — لأن النبي
صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يبق في البلاد التي سادتها
المسيحية أماداً تمكنه من المعرفة والاطلاع ، ولأن مضي قرنين من الزمان
بعد التحريم يجعل التحريم ينتج اثره ، فيخفى ما كان ذاخراً ، ويدفن ما كان
معلوماً مشهوراً فمئات من السفين تكتئ لطمس الموجود ، وتعفية آثار
الفتى .

وان المسيحيين يجدون فيما يشتمل عليه ذلك الانجيل اخبارا دقيقة من التوراة حتى لقد يقول الدكتور مسعدة : « انك اذا عملت النظر في هذا الانجيل وجدت لكاتبه الماما عجيبا باسفار العهد القديم لاتكاد تجد لها مثيلا بين طوائف النصراني الا في افراد قليلين من الاخصائيين الذين جعلوا حياتهم وثقا على الدين ، كالمفسرين ، حتى انه ليندر أن يكون بين هؤلاء ايضا من له المام بالتوراة يقرب من المام كاتب انجيل برنابا » .

ترجيح صدق النسبة في هذا الانجيل :

٤١ — هذه بينات شاهدة — وان لم تبلغ اليقين والجزم — بان نسبة هذا الانجيل الى برنابا نسبة يرجح أن تكون صحيحة، لانه وجدت نسخته الاولى في جو مسيحي خالص ، وكان معروفا قبل ذلك بقرون أن لبرنابا انجيلا، وهو يدل على أن كاتبه على المام تام بالتوراة التي لا يعرفها الرجل المسيحي غير الاختصاصي في علوم الدين ، بل يندر من يعرفها من المختصين ، وان برنابا كان من الدعاة الاولين الذين عملوا في الدعوة عملا لا يقل عن عمل بولس ، كما تذكر رسالة اعمال الرسل، فلا بد أن تكون له رسالة أو انجيل .

هذه بينات تشهد بان الانجيل الذي كشف وعرف صحيح النسبة ، ليس للمسلمين يد فيه، وأن من ينحله للمسلمين كمن يحمل في يده شيئا يظن في حيلة اتهاما له . فيسند ملكيته الى غيره نفيًا للثمة عن نفسه . فهل يقبل منه ذلك النفي من غير حجة ولا دليل سوى أن فيه اتهاما له ؟ وهل يقرر القضاء ذلك النفي ؟ .

قد يقول قائل : ان هذه البينات كلها مرجحة وليست يقينية ، ونحن نقول ان أكثر مسائل التاريخ ترجيح ، وليست يقينية جازمة ، فإذا كانت نسبة انجيل برنابا اليهظنية تقبل الاحتمال مانا نأخذ بذلك الظن، لانه المأخذ في أكثر مسائل التاريخ ، والاحتمال الذي لا ينشأ عن دليل لا يلتفت اليه ، بجوار الاحتمال الناشئ عن دليل ، ووجود ذلك الانجيل بلفظة مسيحية وبين ظهراني المسيحيين ، وفي مكاتبهم الخاصة دليل على أن المسلمين ليست لهم يد فيه، ولذلك رجح جمهور المحققين انه ليس لهم يد في انشاءه .

ولكن زعم بعضهم أن أصله عربى ، وهو زعم ليس له دليل ، وعلى مدعى ذلك الأصل أن يبرزه ، ويبين تاريخ تدوينه ، ومقدار نسبته .

ولكن الدكتور سعادة يزعم أن أصله: عربى بدليل أنه وجد على النسخة الايطالية تعليقات عربية، وأنه صرح فى التبشير باسم النبى، مع أن المعهود فى البشارات الرمز لا النص .

ونحن نرد الاول بأن وجود تعليقات عربية يدل فقط على أن بعض من ثرا هذه النسخة يعرف العربية على ضعف فيها لأنه مستقيم التعبير أحيانا قليلة ، وسقيم العبارة فى أحيان كثيرة ، ومن الغريب أن يتخذ من التعليقات العربية دلالة على أصله الاسلامى ، ولا يتخذ من صلبه الايطالى دليلا على أصله المسيحى .

أما كون التبشير بالنبى صلى الله عليه وسلم صريحا فيه وليس بتلميح فنحن لا نسلم بأن كل التبشيرات فى الكتب الدينية تلميح . نعم بعضها رمز وتلميح ، ولكن معنى ذلك نفى الصريح ، وعلى فرض أن كل تبشير تلميح لا تصريح ، فالنص الايطالى الذى بين أيدينا ترجمة لا نص ، وعسى أن يكون المترجم فهم المعنى ، فلم يسعفه فى لفته التلميح، فنطبق بالتصريح كما يفعل المسيحيون فى كثير مما ترجموا من كتب أصلها عبرى .

ومن المؤكد أن ذلك الانجيل لم يكن معروفا عند المسلمين فى غابره وحاضرهم، لأن المناظرات بينهم وبين المسيحيين كانت قائمة فى كل العصور، ولم يعرف أن أحدا احتج على مناظره المسيحى بهذا الانجيل . مع أنه فيه الحجة الدامغة التى تغلج المسلم على المسيحى ، فمدعوى وجود نسخة عربية كانت هى الأصل للنسخة الايطالية ، فوق أنها لا دليل عليها مطلقا ، ولو بطريق الوهم هى تناقض أخبار التاريخ الاسلامى مناقضة تامة ، والا احتج المجادل عن الاسلام بها . ففيها اقوى دليل ، والتاريخ لم يحفظ ذلك ، وهذى سجلاته ليستنبطوها . ولينعروا دخالها ، فلن يجدوا شيئا يمكن دعواهم ويثبت قضيتهم .

قيمة أنجيل برنابا من حيث ما اشتمل عليه :

٤٢ — وأنجيل برنابا هذا يمتاز بقوة التصوير ، وسمو التفكير ، والحكمة الواسعة ، والدقة البارعة ، والعبارة المحكمة ، والمتقن المنسجم ، حتى انه لو لم يكن كتاب دين لكان في الأدب والحكمة من الدرجة الأولى ، لسو العبارة وبراعة التصوير .

ولماذا انكره المسيحيون مع ان قوة النسبة فيه لا تقل عن قوة النسبة في كتبهم الأربعة كما ذكرنا ، ان لم تكن أقوى ؟ الجواب عن ذلك ان المسيحيين رفضوه لأنه خالف أنجيلهم ورسائلهم في مسائل جوهرية في العقيدة .

ولقد كنا نظن ان ظهور ذلك الانجيل كان يحمل الكنيسة على التفكير من جديد في مصادر الدين ، لتعرف أى الكتب اقرب نسباً بالمسيحية الأولى ، اذلك الانجيل بما خالف ، ام الرسائل والانجيل التى توارثتها ؟ ولكنهم سارعوا الى الرفض والانكار . كما سبق اسلافهم الى انكاره من قبل .

مخالفة أنجيل برنابا لما عليه المسيحيون :

والانور التى خالف ذلك الانجيل فيها ما عليه المسيحيون الآن تتلخص في اربعة امور :

اولها : انه لم يعتبر المسيح ابن الله ، ولم يعتبره لها ، وقد ذكر ذلك في مقدمته فقال : « أيها الأعزاء ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم ، والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر . داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً ، مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عداوتهم أيضاً بولس الذى لا تكلم عنه الا مع الاسى وهو السبب الذى لاجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته » .

ويقول في آخر الفصل الثالث والتسعين : « أجاب الكاهن ان اليهودية قد اضطربت لايمانك وتعليمك حتى أنهم يجاهرون بأنك انت الله ، ما اضطربت بسبب الشعب الى ان أتى الى هنا مع الوالى الرومانى . والملك هيرودس فرجوا من كل قلبنا ان ترضى بازالة الفتنة التى ثارت بسببك ، لان مريمتا يقول انك الله . وآخر يقول انك ابن الله ، ويقول فريق أنك نبى . أجاب

يسوع : « وأنت يا رئيس الكهنة . لماذا لم تخدم الفتنة ، وهل جننت أنت أيضا ، وهل أمست النبوات ، وشريعة الله نسيا منسيا ، أيتها اليهودية الشقية التى ضللها الشيطان » ولما قال يسوع هذا عاد فقال : « انى أشهد أمام السماء ، وأشهد كل ساكن على الأرض انى برىء من كل ما قال الناس عنى من انى أعظم من بشر ، لانى بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العام » .

ويقول فى الفصل السبعين : « أجاب يسوع : وما قولكم أنتم فى ؟ أجاب بطرس : انك المسيح ابن الله . فغضب حينئذ يسوع . وانتهره بغضب قائلا : اذهب . وانصرف عنى . لأنك أنت الشيطان ، وتريد ان تسىء الى . »

(الأمر الثانى) : أن الذبيح الذى تقدم به إبراهيم الخليل عليه السلام للفداء هو اسماعيل ، وليس باسحق ، كما هو مذكور فى التوراة ، وكما يعتقد المسيحيون . هذا نص ماجاء فى انجيل برنابا على لسان المسيح عليه السلام : « الحق أقول لكم انكم اذا أمعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلموا خبث كتبنا وفتناتنا ، لأن الملاك قال : « يا إبراهيم . سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله . حقا يجب عليك ان تفعل شيئا لأجل محبة الله . أجاب إبراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد ان يفعل كل ما يريد الله ، فكلّم الله حينئذ إبراهيم قائلا : « خذ ابنك بكرى واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة » . فكيف يكون اسحق البكر ، وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين .

(الأمر الثالث) : هو كما يقول الدكتور سماعة « بك » : ان مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع ، بل محمد . وقد ذكر محمدا باللفظ الصريح المتكرر فى فصول ضافية النبىء ، وقال انه رسول الله ، وأن آدم لما طرد من الجنة رأى سطورا كتبت فوق بابها بأحرف من نور « لا إله الا الله محمد رسول الله » ولقد قال المسيح كما جاء فى انجيل برنابا : « ان الآيات التى يشعلها الله على يدى تظهر انى اتكلم بما يريد الله ، ولست احسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لانى لست أهلا لأن احل رباطات ، أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا الذى خلق قبلى . وسيأتى بعدى بكلام الحق . ولا يكون لدينه نهاية » وانك لتجد فى الفصلين الثالث

(م ٥ — محاضرات فى النصرانية)

والأربعين والرابع والأربعين كلاما وانما في التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن التلاميذ طلبوا من المسيح عليه السلام ان يصرح لهم به . فصرح بها يعلن حقيقته ، ويبين ما له من شأن .

(الأمر الرابع) : ان هذا الانجيل يبين ان المسيح عليه السلام لم يصلب ، ولكن شبه لهم . فالتقى الله شبهه على يهوذا الاسخريوطى ، ويقول في ذلك برنابا : « الحق اقول ان صوت يهوذا ، ووجهه ، وشخصه بلغت من الشبه بيسوع ان اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة انه يسوع ، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع ، معتقدين ان يسوع كان نبيا كاذبا ، وانما الآيات التي فعلها بصناعة السحر ، لأن يسوع قال انه لا يموت الى وشك انقضاء العالم ، لانه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم » .

ثم يبين ان يسوع طلب الى الله ان ينزل الى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه ، منزل ثلاثة أيام .

ثم يقول : « وبيع كثيرين ممن اعتقدوا انه مات » وقام قائلا : « اتحسبوننى انا والله كاذبون ، لأن الله وهبني ان اعيش ، حتى قبيل انقضاء العالم ، كما قد قلت لكم ، الحق اقول لكم اتى لم أمت ، بل يهوذا الخائن ، احذروا ، لأن الشيطان سيحاول جهده ان يخدعكم ، ولكن كونوا شهودى في كل اسرائيل ، وفي العالم كله ، لكل الأشياء التي رأيتها . وسمعتوها » .

٤٣ — هذا هو انجيل برنابا ، وما خالف فيه بقية الأناجيل من مسائل جوهرية ، وفي الحق انه خالف المسيحية القائمة في خصائصها التي امتازت بها فان تلك المسيحية امتازت بالتثليث ، وبنوة المسيح والوهيته ، وكان هذا شعارها الذى بها تعرف ، وعلامتها التي بها تتميز ، وقد خالف كل هذا ، واذا كانت مخالفته للمسيحية القائمة في ذلك الأمر الجوهري ثابتة — وهو ينسب الى قديس من قديسيهم — فقد كان من الحق اذن ان يحدث ظهوره وكشفه بين ظهراني المسيحيين وفي مكاتب من لا يهتمون بالكيد للمسيحية ، ومن لا يتهمون بأنهم لا يرجون لها وقارا — رجة فكرية عنيفة ، اهتزت بسببها المشاعر والمنازع ، فالكنيسة والتعصبون من المسيحيين يرفضونه رفضا بلاتا ، ما دام قد اتى بها لا يعرفونه هم ،

ولا يعنون أنفسهم بدراسته دراسة علمية ، ينتهون فيها الى نقضه جملة ، أو قبوله جملة ، أو قبول بعضه ، ورفض بعضه الذى يثبت بالدليل أن ميه مخالفة لتعاليم المسيح الصحيحة الثابتة بسند أقوى من سنده ، ومنها أقرب الى العقل والفكر من متنه .

ولكن العلماء الذين دأبهم التفتيش والبحث عكفوا على دراسته ، وموازنة نصوصه بالتوراة والاناجيل ورسائل رسلهم ، بل القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، وانتهت دراسة جلهم بأنه بعيد أن يكون قد استقى من القرآن الكريم ، وما هو مشهور عند المسلمين .

وان أجل خدمة تسدى الى الأديان والانسانية ، ان تعنى الكنيسة بدراسته ، ونقضه ، وتأتى لنا بالبيانات الدالة على هذا النقض ، وتوازن بين ما جاء فيه وما جاء فى رسائل بولس ، ليعرف القارئ والباحث أيهما أهدى سبيلا ، وأقرب الى الحق ، وأوثق به اتصالا .

رسائل رسلهم

٤٤ — انتهينا في كلامنا السابق الى ذكر الاناجيل وعرضها ، كما يقول المسيحيون ، وكنا في ذلك ناقلين ، ولم نعن في ذلك بالنقد ، فان لذلك موضعه .

والآن ننتقل الى القسم الثالث من مصادر المسيحية ، وهو رسائل رسلهم ، ويسمونها بما عدا رسالة اعمال الرسل — الاسفار التعليمية ، كما يسمون الاناجيل ورسالة اعمال الرسل الاسفار التاريخية ، لأن الاناجيل تعنى بشرح حياة السيد المسيح وحكاية احواله ، وبعض اقواله ومواقفه ، أما الرسائل فتعنى بالتحليقة التعليمية التي تبين بها الحياة . .

عدد الرسائل وكتبتها :

والرسائل اثنتان وعشرون رسالة : الاولى ، وتسمى اعمال الرسل ، وتنسب الى لوقا صاحب الانجيل ، وأربع عشرة كتبها بولس ، وهى رسالة أهل رومية وكورنثوس الأولى والثانية ، وغلاطية ، وأفسس ، وفيلينى ، وكولوسى ، وتسالونيكى الأولى والثانية ، وتيموثاوس الأولى وتيموثاوس الثانية ، وتيطس ، وفيلمون والبرانيين ، ورسالة كتبها يعقوب ، ورسالتان كتبهما بطرس ، وثلاث رسائل كتبها يوحنا ، ورسالة كتبها يهوذا .

وهناك غير الاثنتين والعشرين رسالة أخرى يسمونها السفر النبوى . وهى رؤيا يوحنا ، وهذه الرسالة فى منحائها ومنهجها تخالف الرسائل السابقة ، فبينما الرسائل السابقة وعظية وتعليمية فى جملتها ، وتعرض كثيرا لذكر بقوة المسيح ، وتخليصه للعالم من خطيئته ، تجد رسالة رؤيا يوحنا اللاهوتى ، تعنى ببيان الوهية المسيح وسلطانه فى السماء وعلمه بحال الكنيسة والقوامين على المسيحية من بعده ، وهى تارة تصور الاله فى عليائه كشخص يشبه المسيح متمطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب ،

وعيناه كلهب نار ، وفي يده سبعة كواكب ، وسيف ماض ذو حدين يخرج من فيه ، (راجع الاصحاح الاول من الرؤيا) .

وتارة تصور المسيح خروفا قائما كأنه مذبح له سبعة قرون وسبع أعين ، (راجع الاصحاح الخامس) .

وتبين أن الناس يعرضون أمام الاله والمسيح « ويخرون ساجدين ، ثم تصور الملائكة وأحوالهم وأعمالهم ، وهكذا ... » .

فهى رسالة تشرح سلطان المسيح فى الملكوت وتبين أحوال الملائكة وخضوعهم للمسيح والله .

٤٥ — وهذه الرسائل تشرح المسيحية الحاضرة بأكثر من الأنجيل ، وقد كتبت جميعها باليونانية ، كما يقول مؤرخوهم ، وللباحثين كلام كثير فى شأن الرسائل ، وقوة سندها ، وقيمتها من حيث الاستدلال لهذا الدين ، ولكننا نرجى القول فى ذلك الى الكلام فى نقد مصادر المسيحية نقدا علميا ، ونكتفى الآن بعرضها وذكرها ، محوطة بهالة من تقديسهم ، ومكوة بتقديدهم .

وقد ذكرنا موجزا لتاريخ يوحنا ، وعرفنا القارىء به ، وهو صاحب الرؤيا ، وثلاث رسائل ، وبيننا لوقا ، وهو صاحب رسالة أعمال الرسل ، فلنعرف الآن بكلمات موجزة القارىء بطرس صاحب الرسالتين ، ويعقوب ويهوذا ، ولكل رسالة ، وبولس وله أربع عشرة كما ذكرنا .

فبطرس من حوارزى المسيح ، وكان اسمه الأضلى سمعان ، وكان جسياد سمك وقد جال بعد المسيح للتبشير ، فذهب الى انطاكية وغيرها ، ثم ذهب الى رومة سنة ٦٥ مقيض عليه وزج فى السجن ، وحكم عليه بالموت صلبا فى زمن نيرون على ما نوهنا . وقد طلب أن يصلبوه منكساة حتى لا يتشبه بالمسيح .

وقد علمت أن صاحب مروج الأخبار فى تراجم الأبرار يخبر أن بطرس وتلميذه مرقس صاحب الانجيل الذى كان يعبر عنه بابنه كلاهما كان ينكر ألوهية المسيح .

ترجمة يعقوب صاحب الرسالة :

٤٦ — ويعقوب صاحب الرسالة هو يعقوب بن زبدى الصياد « آخر يوحنا ، وكان حواريا كاخيه ، ويقولون : انه أول أسقف لكبرى اورشليم ، ويقول صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية : « كان لشهرته بالطهارة يعرف بـ يعقوب البار ، وقد اغتاز منه رؤساء اليهود ، فحكوا عليه بالموت في مجيعهم ، فمات رجلا سنة ٦٢ وكان قد كتب رسالته سنة ٦١ م » .

ترجمة يهوذا :

٤٧ — وأما يهوذا ، وهو حوارى ، ويقولون انه يدعى لبوس « ولقب تدأوس وهذا هو الاسم الذى ذكر فى انجيل متى ، ولكن انجيل برنابا يقرر ان يهوذا غير يهوذا الاسخريوطى الذى شهد على المسيح وخانه ، وغير تدأوس ، ويقولون : انه أخو يعقوب الصغير ، وعلى هذا يكون لزبدى الصياد ثلاثة من الحواريين ، ولكن متى لما ذكر يعقوب ويوحنا ذكر امامهما انهما ولدا زبدى الصياد ، ولم يذكر أمام تدأوس !! وعلى أية حال فليهوذا هذا رسالة منسوبة اليه ، وقد قالوا انه مات شهيدا ببلاذ العجم .

ترجمة بولس :

٤٨ — بولس : ولننتقل الآن الى الكلام فى بولس والتعريف به . وان لبولس هذا لثاناً فى المسيحية ، فهو تنسب اليه أكثر مما تنسب لأحد سواه ، فرسالته هى التى شرحتها ، وقد كان بنشاطه الجم ، وتطوائه فى الأقاليم مشرقاً ومغرباً ، لا يستقر فى مكان على نية الإقامة فيه ، بل على قصد فى الرحيل الى غيره — أشد دعائها ، وقد تأثر المسيحيون خطاه ، وتعرفوا أخباره وأقواله ، ما دونه منها فى رسالته ، وما القاه فى الجموع وتناقلوه ، وان لم يدونه هو وتأثروا أعماله فاحتضوا حذوه ، وسلخوا مسلكه ، واعتبروه القدوة الأولى ، فلا بد اذن من العناية بتاريخه . لتتعرف أكانت منزلته فى المسيحية الأولى كمنزلته فى المسيحية الحاضرة ، حتى يصلح ان يكون حلقة الاتصال بينهما ، ونأقل الأولى الى أهل الثانية ، ولنتبين انه صادق النقل ، حتى تكون الأولى والثانية شيئاً واحداً ، وليست شيئين مختلفين .

وانا في حكاية بدايته ونهايته نعتد على المصادر المسيحية وحدها ،
كسنتنا فيما أسلفنا من القول ، حتى لانتزيد عليهم ، ولكي نعرض الرجل
كما هو عندهم .

في سفر أعمال الرسل تفصيل لحياة بولس ، وقد أخذت أعماله
من ذلك السفر الشطر الأكبر . وقد جاء فيه أن مولده كان في طرسوس ،
وتربى في اورشليم ، واسمه الأصلي شاول . وهذا نص الفقرة الثالثة من
الاصحاح الثاني والعشرين حكاية عنه : « أنا رجل يهودي ولدت في
طرسوس كيليكية ، ولكن رببت في هذه المدينة » (اورشليم) .

ولقد جاء انه من الفريسيين الذين يقولون أن هناك قيامة يشاركون
فيها ملك المسيح في الدنيا ، فقد جاء في الاصحاح الثالث والعشرين :
« ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون ، والآخرين فريسيون » صرح
في المجمع : « ايها الرجال الاخوة ، أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة
الأموات . أنا أحاكم » .

ونجد كتاب المسيحية متفقين على أنه من اليهود، ولكن جاء في سفر
أعمال الرسل أيضا ما يدل على أنه روماني ، ففي آخر الاصحاح الثاني
والعشرين منه مائنه : « فلما مدوه للسيط قال بولس لقائد المائة الواقف :
ايجوز لكم أن تجلدوا انسانا رومانيا غير مقضى عليه ، فاذ سمع قائد المائة
ذهب الى الامير وأخبره قائلا: انظر ما أنت مزعم أن تفعل ، لان هذا الرجل
روماني . فجاؤ وقاتل له : قل لي أنت روماني ؟ فقال نعم . فأجاب الامير :
أما أنا فمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية ، فقال بولس : أما أنا فقد ولدت
فيها . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزعمين أن يفحصوه ، واختشى الامير
لما علم أنه روماني ، لانه قيده » .

وهذان بلا ريب نصان متعارضان ، لعل أرجحهما أنه يهودي ،
لانه ذكر أنه روماني عندما رأى أن جسمه سيكوى بالسياط . فاعمل الحيلة :
عساه يجد مخرجا ، فادعى أنه روماني لينجو جلده ، وقد تم له ما أراد
بتلك الحيلة التي احتالها في انتسابه ، وأصر عليها عندما روجع فيها .

ولكن لو اتخذنا من قرائن الأحوال دليلا على كذب ادعائه الرومانية :

وأنه قالها خلاصا واجتياالا لورد مثل ذلك عندما قال انه يهودى ، لأنه كان يخاطب جمعا يهوديا عمل للقبض عليه .

ولقد صرح فى سفر الأعمال انه قال انه فريسى ليوقع الخلاف بين الصدوقيين والفريسيين ، فقد جاء فيه عند ذكر اقراره بأنه فريسى . ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون ، الخ . فهو ما صرح بهذا التصريح الا ليوقع الفرقة بينهم ، وينجو من كيدهم بتدبير فرقيق منهم .

وقد تم له بعض ما أراد ، فاختلفوا وجرى بينهم نزاع شديد كما دلت على ذلك الفقرات التى ذكرت من بعد فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الأعمال ، واذن فلا نستطيع أن نستبين جنسه من هذا على وجه تطمين اليه النفس .

٤٩ — ومهما يكن من امر جنسه ، فقد كان بولس هذا فى صدر حياته من أشد أعداء المسيحية ، وأبلغهم كيدا لها ، وأكثرهم امعانا فى اذى معتنقيها ، كما يدل على ذلك ما جاء فى سفر الأعمال فى مواضع كثيرة منه .

فى الاصحاح الثامن منه : « وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى اورشليم ، فانتشبت الجمع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال اتقياء استقنانوس ، وعملوا عليه مناجاة عظيمة ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ، ويسلبهم الى السجن » .

وجاء فى أول الاصحاح التاسع : « أما شاول فكان لم يزل ينفث تهذبا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل الى دمشق الى الجماعات حتى اذا وجد اناسا فى الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقيين الى اورشليم » .

ويجىء فى ذلك السفر ايضا اعترافه بالصريح بذلك الماضى فى مواضع متعددة ايضا .

فمنها ما جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين مخاطبا اليهود : « كنت

غيورا لله ، كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق ، حتى الموت ، مقيدا . ومنزلها الى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لى أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين اذا أخذت منهم رسائل للاخوة الى دمشق ، ذهبت لآتى بالذين هناك الى اورشليم مقيدىن لى يعاقبوا » .

ولكن سفر الاعمال يقول أن ذلك الرجل الذى كاد للمسيحية هذا الكيد وآذى أهلها ذلك الايذاء ، قد انتقل من الجب والطاغوت الى المسيحية فجأة من غير مقدمات تقدمت ذلك الانتقال ، ولا تمهيدات مهدت له .

فيقول فى الاصحاح التاسع : « فى ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق ، فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له : شاول . شاول . لماذا تضطهدنى ؟ فقال : من أنت يا سيدى ؟ فقال : أنا يسوع الذى أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترفض مناخس ، فقال وهو مرتعد متحير : يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل المدينة ، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل » .

فدخل بولس أو شاول فى المسيحية ، وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح ، ولكنهم أوجسوا منه خيفة ، ولم يصدقوا ايمانه ، ولكن شهد له برنابا الذى حدثاك عنه بالايمان ، وما حدث له فى الطريق .

فقد جاء فى الاصحاح التاسع أيضا من السفر المذكور : « ولما جاء شاول حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين ، فأخذه برنابا ، وأحضره الى الرسل ، وحدثهم كيف أبصر الرب ، وأنه كلمه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع » .

ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة ، والحركة الدائبة فى الدعاية للمسيحية ، كما تدل على ذلك عبارات سفر الاعمال ، وقد اصطدب فى رحلاته برنابا ، حتى اختلفا كما ذكرنا فى الكلام على برنابا فلما اختلفا افترقا ، وهناك نجد حلقة مفقودة ، فلم يبين لنا سفر الاعمال على من تلقى مبادئ المسيحية التى أخذ يبشر بها ، والتى دونها فى رسائله الأربع عشرة ، والتى يضيف اليها بعض الكتاب سفر الاعمال ، وينسبه اليه بدل نسبته الى لوقا . لم تبين لنا الكتب المسيحية على من تلقى مبادئ

المسيحية ؟ ولعلهم يعتقدون أنه ليس في حاجة الى التلقى ، لانه انتقل من مرتبة الكافر المناوئ الى مرتبة الرسل في المسيحية ، وصار ملهما ينطق بالوحي في اعتقادهم ، فلم يكن في حاجة الى التعلم والدراسة ، لأن الوحي سناه مؤونة الدرس وتعبه .

لقد أخذ بولس في التطواف في الأقاليم ينشئ الكنائس، ويقوم بالدعاية. ويلقى الخطب ، وينشئ الرسائل ، حتى كانت رسائله هي الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادئ في الاعتقاد، وبعض الشرائع العملية. وقد قالوا انه قتل في اضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو سنة ٦٧ على الخلاف في ذلك .

صفات بولس :

٥٠ — ان الذي يستخلص من أحوال وأقوال بولس التي دونت في رسائله وأعماله التي ذكرها سافر أعمال الرسل ، يتبين له انه امتاز بثلاث صفات جعلته في الذروة من الدعاة الى المبادئ والعقائد :

الصفة الأولى : انه كان نشيطا دائم الحركة ذا قوى لاتكل ، وذا نفس لا تبسل .

الصفة الثانية : انه كان المعيا شديد الذكاء بارع الحيلة، قوى الفكر . يدبر الأمور لما يريد بدهاء الألعى ، وذكاء الأروعى ، يسند السهام لغاياته ومآربه فيصيبها .

الصفة الثالثة : انه كان شديد التأثير في نفوس الجماهير ، قوى السيطرة على أهوائهم ، قديرا على انتراع الثقة به ممن يتحدث اليه .

وبهذه الصفات الممتازة ، وبهذه القدرة البارعة استطاع ان يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية ، وقطبهم ، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين ، فيعتنقوه ديناً ، ويتخذوا قوله حجة زاعمين أنه رسالة أرسل بها ، وبهذه الصفات الباهرة استطاع أن يحمل صديقه برنابا على أن يصدقه في رؤيته المسيح ، واستطاع أن يحتل المنزلة الأولى بين التلاميذ، وقد كان بلاؤهم ، وكيد الشيطان لهم . وبهذه الصفات القوية استطاع أن يحملهم على نسيان ماضيه ، وأن يندغبوا في شخصه حتى يصير هو كل شيء ،

وهم لا يستطيعون رد قوله في الجماهير ، وحتى لقد صارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه ، منسوبة اليه ، ولقد يعجب الذين درسوا الديانات وعرفوا أحوال رجالها ، وأدوارهم ، فيقولون : كيف ينتقل رجل من كثر بديانة الى اعتقاد شديد بها طفرة ، من غير سابق تمهيد ، ولكن ذلك العجب يزول ان كان الانتقال مقصورا على مجرد الانتقال من الكفر الى الايمان . فان لذلك نظائر وأشباها ، بل العجب كل العجب أن ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين الى الرسالة في الدين الذي كفر به ، ونأواه وعاداه ؟ فان ذلك ليس له نظير وليس له مشابه ، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسول قط ، وهذه توراة اليهود وأسفار العهد القديم التي يؤمن بها المسيحيون كما رووها ، وكما قالوها ليذكروا لنا رسولا بعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعداد لتلقى الوحي ، وصفاء نفس يجعله أهلا للإلهام ؟ ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته ، وأنه اذا لم يكن للرسالة ارهاصات قبل تلقيها ، لا يكون على الأقل قبلها ما يناهيا ويناقضها . ولكن بولس أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره ، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده ، وأن يحملهم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه .

بيد أن العقل يخترق بنوره الحجب ، ويزيل بضوئه كل أسداف الظلم ، ولو قاوم في سبيل ذلك براعة بولس وذكاءه ، ولذا وجد في العصور المسيحية من كانوا يثيرون مناقشات قوية حول أقوال بولس منكرين لها . مبطلين ، ونسارع فنقول مقالة القس عبد الأحدة : « ان بولس يبجل ويعظم رجلا اسمه عيسى أميت ومات . وحي فقط ، وأن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم الرسول المثار اليه ، فلا محبل للحرية . اذا قلت ان المؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة هو بولس ، فان شاول الشاب الطرسوسي من سبط بنيامين . ومن مذهب الفريسيين وتلميذ . احد علماء الدهر عضو مجلس صانهدرين المدعو عماتيل . . . الذي كان يجتهد في محو اسم عيسى واتباعه من الأرض ، والذي رأى عدوه الناصري في السماء لامعا داخل الأنوار وقت الظهر أمام دمشق . اهتدى وسمى باسم بولس . وهو الذي وضع أساس العيسوية » . والقسم الأعظم من أعمال الرسل يبحث من سياحات بولس الطويلة وجهوده ومتاعبه .

يهل هو صادق في النقل عن المسيح ، والاخبار عنه ؛ للإجابة عن هذا السؤال . موضعها عند الكلام في الالهام الذى نحلوه لرسولهم ، ونقد الكتب نقيدا علميا .

كتب العهد القديم والاناجيل والرسائل كتبت بالهام في اعتقادهم :

٥١ — الى هنا قد بينا الكتب ، وذكرنا طرفا من حياة منشئها ، واحوالهم ومقدار الاختلاف في نسبة الكتب الى اصحابها ، وقبل أن ننتقل الى نقد هذه الكتب نقدا علميا في متنها واسنادها ، نقول : ان المسيحيين يقولون ان هذه الكتب كلها ، كتبت بالالهام أى بالوحى عن طريق الالهام ، وانها لذلك لا يأتيا الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فهى حق وصدق ، لانه موحى بها ، وسواء في ذلك كتب العهد القديم ، والعهد الجديد ، سواء اكانت اناجيل أم رسائل تعليمية أم رسالة النبوة :

ولذا يقول مؤلفو موجز تاريخ الأمة القبطية في شأن الكتاب المقدس : « الكتاب المقدس هو مجموع الأسفار التى كتبها رجال الله القديسيون بالهام الروح القدس في أوقات مختلفة ، وفيها أعلن الله لمُشَيِّئَتِهِ وَوَصَايَاهُ ، وما قطعه من المواعيد ، وما فرضه من المثوبة ، وما فيه ارشاد للناس بخيرهم وخلصهم وما آتاه من عمل الفداء » . وبمراجعة ما كتبه شراحهم وعلمائهم نفهم ان الالهام عندهم ، هو الهام في المضمون الرئيسى ، ولذا يقول هورن : « اذا قيل ان الكتب المقدسة أوحى بها من عند الله لا يراد ان كل الالفاظ والعبارات من الهام الله ، بل يعلم من اختلاف محاورات المصنفين واختلاف بعبانهم انهم قد جوز لهم ان يكتبوا ، على حسب طلباتهم وعاداتهم وفهومهم واستعمل علم الالهام على طريقة استعمال العلوم للرسمية ، ولا يتخيل انهم كانوا يلهمون في كل امر يبينونه ، وفي كل حكم كانوا يحكمون به » .

اذن لم تكن كل الكتب المقدسة ملهمة من حيث اسلوب البيان ، ومن حيث التعبير في التعبير ، ومن حيث كل ما تشتمل عليه من معاني ، بل موضع الالهام فيقط المعانى الرئيسية أو الرسمية ، وبقية الافكار والمعاني على حسب الطوائف والافهام والعادات .

نظرة فاحصة

٥٢ — عرضنا على القارئ كلام القوم في كتبهم ، وحاولنا أن نكون حكيين ولم نعلق عليها ولم ننقدها ، ولم تنبه الى وهنها ، الا اذا كان ذلك التنبيه قد سبق اليه علماءهم ، والباحثون منهم ، ووجهوا هم النقد اليه ، او كان الأمر من الواضح بحيث يكون المرور عليه من غير تنبيه الى موضع الضعف يجعل البحث غير متسق ، وبعيدا عن الانسجام الفكري .

والآن نريد أن ننقل من النظرة الحاكية المتغاضية الى النظرة الفاحصة الكاشفة ، ولسنا نريد أن نحصى كل أوجه النقد التي وجهت ، فان ذلك يحتاج بيانه الى مجلدات ضخام لكثرتها ، وتعدد نواحيها ، وكثرة دواعيها ، ولكننا نكتفى بإيراد بعضها ، ونترك الباقي للاطلاع عليه في مصادره المسيحية وغير المسيحية :

ما يجب أن يكون في الكتاب الديني من صفات ليكون حجة :

لأجل أن يكون الكتاب الديني حجة — يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه ، ومجموع أوامره ونواهيه ، ومصدر الاعتقاد ، وأساس الملة — يجب أن يتوافر في هذا الكتاب أمور :

أحدها : أن يكون الرسول الذي نسب اليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك ، وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة ، أي بأمر خارق للعادة قد تحدى به المنكرين المكذبين ، وأن يشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الإعجاز ، ويتوارثه الناس خلفا عن سلف ، ويتواتر بينهم تواترا لا يكون للانسان مجال لتكذيبه .

ثانيها : ألا يكون ذلك الكتاب متناقضا مضطربا يهدم بعضه بعضا ، فلا تتعارض تعليماته ، ولا تتناقض أخباره ، بل يكون كل جزء منه متمما للآخر ومكملا له ، لأن ما يكون عن الله لا يختلف ، ولا يفترق ، ولا يتناقض ، بل إن العقلاء في أقوالهم ، وفي كتبهم ، يتحرون ألا يتناقض قولهم ، ولا يختلف تفكيرهم .

ثالثها : أن يدعى ذلك الرسول أنه أوحى اليه به ، ويدعم ذلك الإدعاء

بالبينات الثابتة ، وهى المعجزات التى بعث بها الرسول ، ودعا الى كتابه على اساسها ، ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر ، اويثبت بالكتاب نفسه .

رابعها : ان تكون نسبة الكتاب الى الرسول الذى نسب اليه ثابتة بالطريق القطعى ، بأن يثبت نسبة الكتاب الى الرسول ، بحيث يتلقاه الاخلاف عن الاسلاف ، جيلا بعد جيل من غير أى مظنة للانتحال .

واساس ذلك التواتر ان يروى جمـع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ، حتى تصل الى الرسول بحيث يسمع كل فرد من الجمع الراوى عن الجمع الذى سبقه ، والذى سبقه كذلك ، حتى يصل الى الرسول الذى اسند اليه الكتاب ، ونسب اليه ، ونزل به الوحي عليه .

تطبيق هذه الشروط على كتب النصارى :

٥٣ — ان الكتب فى الدين هى اساسه ، فان لم تكن مستوفية الشروط السابقة لم يكن الاطمئنان الى صحتها كاملا ، وتطرق اليها الريب والظن من كل جانب ، وبذلك يتهدم الدين من اساسه ، ويؤتى من قواعده ، ولا يكون شيئا مذكورا فى الاديان ، بل يكون طائفة من اساطير الاولين اكتبتها طائفة من الناس ، وادعوا ديناً ، ونسبوا لشخص معترف به ، لتروج عند العامة ، وتدخل فى اوهامهم ، ويعتمدون على الزمان فى تمكينها فى نفوسهم وتلوبهم .

وهل الكتب المقدسة عند النصارى سواء اكانت من كتب العهد القديم ام العهد الجديد مستوفية هذه الشروط ، فتكون ملزمة للكافة ؟ .

لا يزعم النصارى ان هذه الكتب كتبها المسيح نفسه ، حتى ننظر فى قوة نسبتها اليه ، ولكن يزعمون ان الذين كتبوها رسل من بعده مبعوثون بها ، يبشرون الناس بها فيها ، فنبحث ، هل هؤلاء رسل حقاً وصدقاً قد ثبتت رسالتهم بدليل لا مجال للريب فيه ؟ .

لقد قلنا ان الطريق لذلك ان يدعوا هم هذه الرسالة ويثبتوها بمعجزة يجريها الله على ايديهم ، ويتحدوا الناس ليدفعوهم الى الاعلان او ليسجلوا عليهم الكفر بعد ان يقوم الدليل عليهم .

اننا نبحث في مراجعهم فلا نجد مرجعا صحيحا قرر ان هؤلاء ادعوا
مثل هذه الرسالة ، ودعوا الناس الى الايمان بها ، ومعهم البرهان عليها ،
والدليل القائم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

نعم قد نجد في رسالة اعمال الرسل ذكرا لاجبار تلاميذ المسيح ،
وان روح القدس تجلى عليهم ، وانهم كانوا يأتون بأمور خارقة للعادة ،
وسماهم كاتب تلك الرسالة رسلا ، ففيها يذكر ان عدد الاصحاب بعد المسيح
أحد عشر ، وهم : بطرس ، ويعقوب ، ويوحنا ، وأندراوس ، وفيلبس ،
وثوما ، وبرثولماس ، ومتى ، ويعقوب بن حلفى ، وسمعان الفيور ، ويهوذا
أخو يعقوب ، وان بطرس وقف وألقى فيوسط التلاميذ — الذين بلغوا نحو
عشرين ومائة — خطبة وانهم امتلئوا جميعا بروح القدس ، وتكلموا بالسنة
غير المنتهية .

ثم يذكر ان بطرس شفى أرمج من عرجه ، ومات من كذب عليه ،
بعد ان كشف كذبه واختلاسه ، هو وامراته .

ذكر سفر الأعمال هذا وذكر عجائب أتى بها بولس في زعمه في آخر
ذلك السفر أيضا .

وكذلك نجد في انجيل لوقا انه يذكر ان المسيح أرسل سبعين رجلا
ليبشروا باسمه ، وانهم عادوا يقولون له : « حتى الشياطين تخضع لنا
باسمك » فقال لهم : رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء ، وهأنذا
أعطاكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب ، وكل قوة العدو ، فلا يضركم
شيء ، ولكن لا تفرحوا بهذا لان الارواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى
ان اسماءكم كتبت في السموات » .

مناقشة ادعاء الالهام في سفر الأعمال :

٥٤ — ونريد ان نناقش سفر اعمال الرسل وانجيل لوقا في هذا المقام
لنعرف منه من هم هؤلاء الرسل ، لم يذكر سفر الاعمال اسماء العشرين
والمائة الذين ملئوا من روح القدس ، نعم انه ذكر اسماء الحواريين الاخذ
عشر ، وليس منهم من ينسب اليه كتب أو رسائل ، سوى متى وبطرس ،
ويوحنا ويعقوب ويهوذا .

وقد علمت بعض ما في نسبة انجيل متى ويوحنا اليهما . وأما بطرس والباقيون فلهم رسائل ، ولم يكن معترفا بصحتها هي ورسائل يوحنا الى سنة ٣٦٤ حتى أن مجمع نيقية لم يعترف بصحة نسبتها الى أصحابها . وقد كان سنة ٣٢٥ .

وإذا كان سفر الأعمال لم يذكر أسماء العشرين والمائة ، ولم يذكر كذلك انجيل لوقا أسماء ، فكيف تؤمن برسالة رسل لم تعرف أسماؤهم ؟ نعم كانت تذكر بعد ذلك أسماء أشخاص ، ويوصفون بأنهم رسل ، ولكن لم يذكر إهم من العشرين والمائة ، أم ليسوا منهم ، ومن المؤكد أن بولس لم يكن في العدد الذي ذكر في الأعمال ، ولا في العدد الذي ذكر في انجيل لوقا .

اذن لا مفتح فيما جاء في سفر الأعمال ، ولا في انجيل لوقا ، لأنه لم يذكر أسماء هؤلاء معينين بالاسم . ثم من هو مؤلف سفر الأعمال ؟ قالوا انه لوقا صاحب الانجيل . اذن بالمصدر هو لوقا في الاثنين ، ولوقا قد بينا انه طبيب وقيل انه مصور ، أو هو طبيب مصور . فهل هو كان من تلاميذ المسيح أو كان من تلاميذ تلاميذه ؟ لم يثبت شيء من ذلك ، وكل ما ثبت من صلته برجال المسيحية انه كان من أصحاب أو تلاميذ بولس ، واذن مروايته عن هؤلاء وعن المسيح ليست رواية من شاهده وعاین ، وعلى ذلك يكون السند غير متصل بين لوقا والمسيح ، أو تلاميذ المسيح .

الرسائل غير معروفين :

٥٥ — لم تعرف اذن حقيقة هؤلاء الرسل ، ومن هم بسند صحيح ، فضلا عن أن يكون السند قطعيا ، وإذا كنا لا نعرف من هم ، فكيف نؤمن لهم بمعجزات ؟ ان المصدر الذي ذكر المعجزات هو نفس المصدر الذي ذكر الرسل من غير أن يبين من هم ، وهو راو لم يعاین ولم يشاهد . وعلى ذلك يكون الكلام في الالهام ، وانهم رسل ملهمون لم يثبت بسند يصح الاعتماد عليه ، والاطمئنان اليه ، وبناء عقيدة تشرق وتغرب على أساسه .

ولكن لا تكاد تنتهي الى النتيجة حتى نجد من مجادلي القیوم ، والمنظرين عنهم من يزعمون أن لوقا نفسه ، صاحب سفر الأعمال ، وصاحب الانجيل كان من الرسل الملهمين فهو لا يحتاج الى سند ، لأن كل كلامه من الروح القدس الذي ملأه كما ملأ اخوانه الرسل ، ولكن أين

معجزته التى تثبت الهامة حتى نصدق كل ما جاء فى كتابيه ، ويؤمن مؤمن (يحترم الايمان) بكل ما اشتملا عليه ؟ لم يرد عندهم أى شىء يدل على الهام لوقا ، وانه كان من العشرين والمائة الذين التى فيهم بطرس خطبته ، واملثوا بروح القدس فى زعمه ، ولم يكن من السبعين الذين ارسلهم المسيح (كما ذكر فى انجيله) واخضعوا الارواح واخبرهم ان اسماءهم كتبت فى السماء .

ولسنا فى ذلك الا مطالبين بأن يثبتوا الهام لوقا ، لنصدق بأخباره عن الرسل وأعمالهم وعن الهامهم ، واملثهم بالروح القدس ، واعجازهم . لا يوجد أمانا أى دليل يثبتون به الهام لوقا فيما كتب ، حتى كنا نصدق فى كلامه عن الرسل الذين تجلى عليهم الروح القدس ، واملثوا به ، وان كنا لا نعرف أشخاصهم ، ولا شيئا عن أسمائهم وأعمالهم .

بل لقد وجدنا من كتاب القوم الباحثين من يصرح بأن لوقا لم يكن من الملمين ، وأن انجيله لم يكن الهاميا ، وبالأولى رسالته لم تكن بالهام ، فقد قال من المحدثين ، وأطسن فى المجلد الرابع من كتابه الالهام ما ترجمته : « ان عدم كون تحرير لوقا الهاميا يظهر مما كتب فى ديباجة انجيله ونصها :

إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المستيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معينين ، وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » .

ويمثل هذا القول من ان ما كتب لوقا ليس بالهامى قال العلماء الأقدمون من المسيحيين ، فيقول اريئوس : « ان الأشياء تعلمها من بلغها إلينا » .

لوقا صاحب سفر الأعمال لم يكن ملهما :

٥٦ — لم يكن إذن لوقا ملهما ، لأنه لا يوجد دليل يثبت الهامة ، ولأن مقدمة انجيله كمقدمة رسالته تدل على أنه لم يكن ملهما ، ولأن الثقات من العلماء الأقدمين والمحدثين يقررون أنه لم يكن ملهما فيما كتب ، بل كتب ما تعلم ، ولقن ، لا ما أوحى إليه به والهم .

وإذا كانت رسالة الأعمال هى المصدر المثبت لالهام الرسل واملثهم (م ٦ — محاضرات فى النصرانية)

بالروح القدس ، ليكون ذلك المصدر قد فقد صلاحيته للاعتماد عليه ،
لانه لم يكن متصل السند بين لوقا والتلاميذ والمسيح ، ولان لوقا لم يكن
ملهما . وهذا كله على فرض صحة نسبة ما أسند الى لوقا ، وفي تلك
انصحة كلام سنثيته في موضعه من بحثنا ان شاء الله .

ليس عندنا اذن دليل نقلى عندهم يثبت رسالة من يسمونهم رسلا ،
ويثبت معهم انهم كتبوا بالالهام ، حتى يعتبر كلامهم وحيا أوحى به ، ويجب
تصديقه وقبوله ، ولا نجد من الكتب ما يؤيد هذه الدعوى ويثبتها ،
بل ان راجعنا هذه الكتابات لا نجد أن كتابها يدعون لانفسهم انهم رسل ،
ولا من تلاميذه العشرين والمائة ، ولا من السبعين الذين ذكرهم لوقا .

وقد رأينا بطرس في رسالتيه يقدمهما بأنه رسول يسوع المسيح ،
ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة من الله . ولا نجد في عباراتهم
ما يدل على انهم كتبوا ما كتبوا بالالهام ، الا رسائل بولس ، فهو الذى
يذكر في رسالته انه يتكلم عن الله ، وأحيانا يقول انه يتكلم من نفسه .

واذن فلنا ان نقول ان اصحاب هذه الكتب والرسائل لا يدعون
لانفسهم الرسالة والالهام الا بولس الذى كانت صلته بالمسيحية
على ما علمت ، وليس في كتبها ما يشهد له بالرسالة والالهام ، بله الايمان
الا سفر الأعمال، وقد علمت قوة الاستدلال به، والاعتماد عليه في الاحتجاج
والاثبات .

دعوى الالهام ليست محل اجماع المسيحيين :

٥٧ — وفي الحق ان دعوى الهام الرسل في كل ما كتبوا لم تكن محل

اجماع من كتّاب المسيحيين في القديم والحديث ، فطائفة من علماء انجلترا
قالوا في مؤلف كتبه (١) ان الذين قالوا ان كل قول مندرج في الكتب المقدسة
الهامى لا يقدرون ان يثبتوا دعواهم بسهولة ، ثم قالوا : « ان سألنا أحد
على سبيل التحقيق أى جزء تعتبرون من العهد الجديد الهاميا ، قلنا
المسائل ، والأحكام ، والأخبار بالحوادث الآتية التى هى أصل الملة
المسيحية — لا ينفك الالهام عنها . وأما الحالات الأخرى فكان حفظ
الحواريين كافيا لبيانها » .

(١) اليسائى كلويديا برتنيكا .

وترى من هذا ان بعض العلماء لا يرون ان كل ما في كتب العهد الجديد الهامى ، بل منه الالهامى وغير الالهامى .

ولكن هناك من يقول : انه يشك في أصل الالهام فيها ، فهذا عالم مسيحى يقال له ريس يقول نائلا حاكما بعض اقوال المتقدمين : « ان الناس قد تكلموا في كون الكتب المقدسة الهامية ، وقالوا انه يوجد في أفعال مؤلفي هذه الكتب وأقوالهم أسلاط ، واختلافات ، فمثلا اذا قوبلت الآيات ١٩ ، ٢٠ من الاصحاح العاشر من متى ١١ من الاصحاح الثالث عشر من انجيل مرقس اذا قوبلت هذه الآيات بالآيات الست التى في سفر الأعمال في اصحاحه الثالث والعشرين يظهر ذلك الاختلاف جليا . وقيل أيضا ان الحواريين ما كان يرى بعضهم بعضا صاحب وحى ، كما يظهر هذا من مباحثهم في محفل اورشليم ، ومن الزام بولس لبطرس ، وقيل أيضا ان المسيحيين القدماء ما كانوا يعتقدونهم منزهين من الخطأ ، لانهم في بعض الاوقات تعرضوا له » .

ولقد قطع بعض العلماء بان بعض هذه الكتب ليس من الالهام في شيء فانجيل متى على قول القدماء من المسيحيين ، وقول جمهور المتأخرين الذين قالوا انه كتب باللسان العبرانى كما أسلفنا من القول ، قد قالوا ان أصله فقد ، وترجمته ليست بالالهام .

ويقول استاذلن وغيره ان انجيل يوحنا ليس بالهام ، وجميع رسائل يوحنا ليست بالهام على رأى فرقة لوجين ، وكذلك الرسالة الثانية لبطرس ، ورسالة يهوذا ، ورسالة يعقوب ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورؤياه النبوى — كل ذلك عند اكثرين ليس بالهام ، وكان كذلك الى سنة ٣٩٣ ميلادية » .

دعوى الالهام باطلة ممن يدعيها :

٥٨ — ومهما يكن اختلافهم بالنسبة لكونها ملهمة كلها او بعضها ، وطريق الالهام ، فادعاء الالهام على فرض اتفاقهم عليه ليس له من البينات ما يثبت ، ولا من الأدلة ما يقيم ادعاءه ، ونحن نطالبهم بالدليل .

وكان يصح لنا أن نقف موقف المانع منعا مجردا ، نطالبهم بالدليل حتى يقيموه ، ولكن تلميها للبحث وتعريفا للحقائق ثبت أن دعوى الالهام

بغطة من أساسها ، ليس لعدم إقامة الدليل عليها ، بل لأن البيانات قائمة ضدّها ، ذلك لأنها لو كانت بالهسام من الله كما يقولون لكانت صادقة في كل ما أخبرت به ، وما وجد الباطل منفذا ينفذ منه إليها ، ولم يكن ثمة محل لتكذيبها ، ولكانت متفقة غير مختلفة ، ولم تكن متضاربة بأى نوع من أنواع التضارب ، وذلك لوحدة من صدرت عنه ، لأنها جميعا صادرة عن واحد ، وإن اختلف الناطقون بها ، ولكننا وجدنا بينها اختلافات من أوجه عدة ، ووجدنا فيها أخبارا تناقض ما علم في التاريخ وكان مشهورا فيه ، ولنذكر بعض هذه الأمور على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر .

التضارب بين كتب العهد الجديد :

(١) أول ما يلحقك من أوجه اختلاف الإنجيل في الأمر الواحد الذى لا يقبل الا حقيقة واحدة . اختلاف انجيل متى عن انجيل لوقا : في نسب المسيح ، فإن من يقابل بين نسب يوسف النجار متبنى المسيح في الإنجيل يجد الاختلاف من ستة أوجه ذكرها الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه اظهر الحق بمثل :

١ — في متى أن يوسف بن يعقوب ، وفي لوقا أنه ابن هالى .

٢ — يعلم من متى أن عيسى من أولاد سلايمان بن داود عليهم السلام ، ومن لوقا أنه من أولاد فاثان بن داود .

٣ — يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود الى جلاء بابل سلاطين مشهورون ، ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود ونathan .

٤ — يعلم من متى أن سلتائيل بن بكينا ، ومن لوقا أن سلتائيل أمين نيرى .

٥ — يعلم من متى أن اسم ابن زربايل إبيهود ، ومن لوقا أن اسمه ريسا .

والعجب أن أسماء بنى زربايل مكتوبة في الباب الثالث من السفر الاول من أخبار الأيام من كتب العهد القديم . وليس فيها إبيهود ولا ريسا عكس منهما غلط .

٦ - من داود الى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلا
على ما بين متى ، وواحد وأربعون جيلا على ما ذكر لوقا .

هذه أوجه اختلاف ستة في نسب المسيح عليه السلام وهو نسب
يوسف النجار ، الذى كان رجل مريم كما تذكر الإنجيل ، وهذا الاختلاف
الذى يعترف به المسيحيون ، ولا يجدون مناصا من الاقرار به يدل
على أمرين :

أحدهما : أن أحد الانجيليين لم يكن بالهام بيتين ، اذا فرضنا
أن أحدهما صادق والآخر كاذب ، فالكاذب لا شك لم يكن بالهام ، والا كان
الاله الذى أوحى به كاذبا ، وذلك لا يليق بحسب بدهة العقل ، ولما كان
الصحيح منها غير متعين فالثبوت يرد على الاثنين ، حتى يثبت الصحيح ،
ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر ، ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد
بأن ثمة الهاما ، لأن الشك ان اعتري الأصل زال الاعتقاد .

ثانيهما : ان انجيل متى لم يكن معروفا لوقا ، أى انه لم يكن متدارسه
معروفا لدى العلماء فى المسيحية . مع أن تدوين انجيل متى يسبق تدوين
انجيل لوقا بأكثر من عشرين سنة على ما عليه جمهورهم ، ولو كان لوقا
يعرفه لراجعهم ، وما وقع فى الخطأ الذى وقع فيه ، أو على الأقل ما خالفه ،
مواذا لم يكن معروفا لدى علماء المسيحية ، وحوارييها ورسلاها ، فلا بد
أنه لم يكن معروفا قط ، أو بعبارة أصرح ، ربما لم يكن موجودا قط .

ولا مناص من هذا الا ان نقول أن لوقا كان يعرفه ، واطلع على
حديث النسب فيه ، وخالفه على بينة منه ، لأنه لم يصدقه ، وعلى ذلك
لا يكون لوقا معترفا برسالة متى ، والايحاء اليه ، وان ما كتبه لا يأتيه
البناطل من بين يديه ولا من خلفه والا ما خالفه مع علمه .

وخلاصة القول فى ذلك أن تلك المخالفة تنتج احدى اثنتين : أما
ألا يكون انجيل متى معروفا للرسول لوقا ، وذلك يقتضى الا يكون
موجودا . . . وأما أن يكون موجودا يعرفه لوقا ، ولكن لا يعترف به مصدرا
صادق الرواية . . . واحدى القضيتين لازمة حتما ، ولكن لا يعترف
المسيحيون بكتبيهما .

(ب) ونجد في الاصحاح الخامس عشر من انجيل متى انه بعد مناقشة
الفرسيين تقدمت اليه امرأة ، ابنتها مريضة بالجنون تطلب شفاءها ،
ونص الخبر كما جاء في ذلك الاصحاح : « ثم خرج يسوع من هناك ،
وانسرف الى نواحي صور صيدا . واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك
التخوم صرخت اليه قائلة : ارحمنى يا سيدى يا ابن داود ، ابنتى مجنونة
جدا ، فلم يجبها بكلمة ، فتقدمت تلاميذه ودلّبوا اليه قائلين : اصرفها ، لانها
تصبح وراءنا » . وتجيء هذه القصة في الاصحاح الثامن من انجيل مرقس
بالنص الآتى : « ثم قام من هناك ، ومضى الى تخوم صور وصيدا ، ودخل
بيتا وهو يريد الا يعلم به احد ، فلم يقدر ان يخفى لأن امرأة كان بابنتها
روح نجس سمعت به ، فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت المرأة أممية وفي
جنسيتها فينيقية سورية » .

ففى هذا النص يبين جنس المرأة بأنها فينيقية سورية ، وأنها أممية .
ليست من اليهود ، وفي الأولى توصف بأنها كنعانية أى ليست فينيقية ،
'فايهما الأخرى بالقبول ؟ لا شك انه لا يمكن ان تكون الروايتان صادقتين
معا ، بل لا بد أن تكون احدهما كاذبة وليست بالهام من الله ، لأن الله
لا يكذب ، واذا كانت احدهما ليست صادقة بيقين ، وكاذبة بيقين ، ولم
يذكر ايتهما الكاذبة المفتراة ، فالشك اذن ملازم الاثنتين لا ينفصل عنهما .
حتى نثبتين الصدق من الكذب ، ولا سبيل الى ذلك ، ولا يمكن ان نثبت
لايهما الهام مع هذا الشك الملازم الذى لا سبيل الى ازالته .

(ج) وقد اختلف خبر القبض على المسيح لحاكمته فى متى عن يوحنا .
ففى متى جاء فى ذلك بالاصحاح السادس والعشرين ما نصه : وفيما هو
يتكلم ، واذا يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ، ومعه جمع كثير بسيوف
وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، والذى أسلمه أعطاهم
علامة قائلا : « الذى اقبله هو امسكوه فللوقت تقدم الى يسوع ؟ وقال .
السلام ياسيدى وقبله ، فثال يسوع يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا .
والقوا الأيادى على يسوع وامسكوه » هذا ما جاء فى متى ، وجاء فى يوحنا
فى هذا المقام ما نصه : « فآخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة .
والفريسيين وجاء الى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع ،
وهو عالم بكل ما يأتى ، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى .

قال لهم : انى أنا هو ، وكان يهوذا مسليه أيضا واقفا معهم ، فلما قال لهم انى أنا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضا من تطلبون ؟ فقالوا يسوع الناصرى ، أجاب يسوع قد قلت لكم : انى أنا هو ، فان كنتم تطلبوننى فادعوا هؤلاء يذهبون لينتم القول الذى قاله : ان الذين أعطيتنى لم اهلك احدا .

وترى هنا اختلافا بينا بين الروايتين ، فمتى يقول : ان يهوذا هو الذى أعلمهم بالمسيح بالعلامة التى اتفق معهم عليها ، وهى تقبيله ، ويوحنا يقول : ان المسيح هو الذى قدم نفسه وكفى يهوذا مؤونة التعريف ، ولا شك ان ذلك الاختلاف البين فى رواية حادثة واحدة يجعل احدى الروايتين كاذبة والثانية صادقة ، والكاذبة ليست بالهام ، فاحداهما ليست بالهام ، ولا سبيل الى معرفتها فيثبت الشك فى الروايتين .

وفى الحق ان من يراجع الاناجيل فى خبرها عن القبض على المسيح وحبسه ، ثم محاكمته وصلبه فى زعم النصارى ، ثم قيامته من قبره ، يجد الاختلاف فى أخبارها اختلافا بينا ، ولو كان بعض هذا الاختلاف فى شهادة اثنين يشهدان فى درهم ما ثبتت بشهادتهما دعوى ، ولا انتصر بها حق .

ولتراجع الاناجيل فى هذا المقام لتعرف مقدار الصحة فى خبرها ، ولتعرف مقدار ما فى دعوى الالهام لكاتبها عند كتابتها من حق ، فلا شك ان ذلك الاختلاف الذى لا يمكن التوفيق بين متناقضه يؤدى الى ان تلك الاناجيل يأتيناها الشك من كل جانب ، يأتيناها من بين يديها ، ومن خلفها ، فلا يمكن ان تكون الالهاما من حكيم حميد .

وان ذلك الاختلاف فيما أحاط بمسألة الصلب — فوق أنه يفقد الثقة بالاناجيل ، هو أيضا يجعل خبر الصلب عند القارىء الخالى الذهن الذى لم يكن فى ذهنه قبل القراءة ما ينبغي أو يثبت موضع الشك الذى يرجح فيه الرد على القبول ، والتكذيب على التصديق .

(د) وفى موت يهوذا الذى خان المسيح على زعمهم ، اختلفت رواية متى من رواية لوقا فى سفر اعمال الرسل . فمتى يقول : انه خلق نفسه ومات ، كما جاء فى الاصحاح السابع والعشرين .

ولوقا يقول في سفر الأعمال : انه خر على وجهه ، وانشق بطنه ،
فانسكبت احشاؤه كلها ومات .

ولا شك ان بين الروايتين اختلافا ، لان الموت بالخنق غير الموت
بشق البطن ، ولا بد ان تكون احداهما على الاقل كاذبة . ولكنها غير
معلومة ، فيتطرق الشك الى الأخرى لميردان معا ، ولا يمكن أن تكونا
بالحام أو لا يمكن مع ذلك الشك الايمان بأن كتيهما بالهام .

(هـ) قد اشتتل بعض هذه الكتب على أخبار لو صحت لكنت معلومة
مشهورة في التاريخ يعرفها الخاص والعام ، ولدونتها كتب التاريخ على
أنها حوادث مفردة عجيبة في الدهر . ولكن لم يرد لها ذكر في التاريخ ،
ولم يعرف الناس أمرها الا من تلك الكتب .

هذا متى يقول عند صلب المسيح وقيامته : فصرخ يسوع بصوت
عظيم وأسلم الروح ، واذا حجاب الهيكل قد انشق الى اثنين من فوق الى
أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشقق ، والقبور تفتحت ، وقام
كثير من اجساد القديسين الراقيدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ،
ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين . وأما قائد المائة والذين معه
يحرصون يسوع فلما رأوا الزلزلة ، وما كان ، خافوا جدا ، وقالوا : حقا
كان هذا ابن الله .

وهذه حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العالم الذي لم يشر
إلى المسيح بكلمة ، ولو صحت أيضاً لآمن الرومان واليهود ، الصخور
تتشقق ، والأرض تزلزل ، والأموات ينشرون ، ويسمرون على الأرض ،
ويراهم الكثيرون ، ويبقى بعد ذلك مساع لا تكلر ، ولكن لم ترد أخبار
يايمان أحد من اليهود على اثر تلك البينات الباهرات .

ولقد جزم العلامة المسيحي نورتن بكذب هذه الحكاية ، وقال
في تكذيبها : « هذه الحكاية كاذبة والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت
رائجة في اليهود بعد خراب اورشليم ، فلعل أحدا كتب هذه الحكاية
في النسخة العبرانية ، وأدخلها الكتاب في المتن ، وهذا المتن في يد المترجم
عثرهما كما وجدها » .

ونقول : لعل كثيرا مما في المتن أصله في الحاشية ثم نقل خطأ في
المتن ، واذا كان الامر كذلك ، فكيف يكون هذا الكتاب وأشباهه مصدرا

لاعتقاد جازم ، وإيمان بدين ، وكيف يزعم زاعم أن هذا الكتاب بحواشيه الدخيلة غير المعلومة من متنه الأصيل ، هو بالهام من الله العلى القدير ؟ ! ولكن فى العالم عقول تقبل ذلك .

بيد أنه من الانصاف لهذه العقول أن نقول : أنهم يقيمون غواشى تمنع نورها أن يكشف عن موضع الضعف فيها فهي لا تقبله على نور وبينة ، وسلطان مبين .

٥٩ — هذه بعض المتناقضات بين هذه الكتب بعضها مع بعض وبعض مناقضتها للعقل والمدون فى التاريخ ، وأنا نحيل القارئ فى هذا المقام الى كتاب اظهر الحق للشيخ رحمة الله الهندي : فقد اتى بأكثر من مائة اختلاف بين هذه الكتب ، وجبه بها مناظرية ، فلم يحروا جوابا ، ولم يستطيعوا خطابا ، ولسنا نريد أن ننقلها برمتها منه فليرجع القارئ اليه ، فسيجد الغريب .

التناقض بينها مبطل لادعاء الإلهام وبيان انكارهم لبعضها ثم اعترافهم به:

وإذا كانت هذه الكتب متناقضة متضاربة يلحق الكذب كلها فى جملتها وأجزائها عند مناقشتها فهي إذن ليست بالهام ، ويكفى هذا بطلانا لمدعاهم فى الإلهام .

وأن نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم على ما فيها ، وعلى أنها : فى ذاتها ليست حجة ، هى موضع شك كثير ، فإنه ليس لهم سند متصل يصل هذه الكتب فى أقدم العصور التى عرفت فيها — بالكاتبين لها ، فهي لم تعرف معرفة كاملة قبل مجمع نيقية الذى كان فى سنة ٣٢٥ ، ولم يجيء ذكر لها قبل ذلك الا على لسان أرينيوس سنة ٢٠٠ وكليمنس سنة ٢١٦ .

بل أن مجمع نيقية لم يعترف بكثير منها ، فان ذلك المجمع لم يعترف بما يأتى :

١ — برسالة بولس الى العبرانيين .

٢ — ورسالة بطرس الثانية .

٣ ، ٤ — رسالة يوحنا انثانية والثالثة .

٥ — رسالة يعقوب .

٦ — رسالة يهوذا .

٧ — ورؤيا يوحنا التى نسمى « الكتاب النبوى » ولم يحكم بصحة هذه الكتب الا فى مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤ .

انقطاع السند فى نسبتها لكتابتها :

فقبل سنة ٣٦٤ لم يعترف بصحة هذه الرسائل السبع ، وقبل سنة ٢٢٥ لم تكن الكتب كلها معروفة او مختصة بذلك التقديس . وآخر كتاب من هذه الكتب كتب فى القرن الاول ، فبين آخر كتبهم تدوينا فى زعمهم ، ومعرفته والاعتراف به أكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين لا راوى برويها ، وقد وقع بهم من الأحداث فى هذه المدة ما يذهب باللب ويضيع الرشد ، وينسى المرء معه كل شيء ، وان الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد . فقد أصدر احد اباطرة الروم سنة ٣٠٣ أمرا بهدم الكنائس واحراق الكتب ، وعدم اجتماع المسيحيين لاداء عباداتهم ، فنفس الولاة الأمر ، فهدموا الكنائس ، وحرقوا الكتب ، وأتوا على كل ما للمسيحيين من بيوت عبادة وكتب ، هدموا وتحرقوا ، ومن سبق الى ظنهم انه أخفى كتابا عذبه عذابا شديدا ، حتى يعلنه فيحرق .

ومن قبل ومن بعد انزلوا البلاء بعلمائهم ، فما تركوا عالما منهم بالديانة الا قتلوه ، وكان الولاة يقتلون فى طرق ابادة المسيحية من الوجود ، ابادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد اليها ، ويتوارث العلم بها . وبادوا الكتب حتى لا تحفظ تلك الديانة فى الصدور أو السطور .

ولا شك أن ذلك الاضطهاد الذى دام الى صدر القرن الرابع يجعل الكتب التى رويت قبل ذلك موضع شك فى نسبتها الى قائلها ، حتى يقوم دليل على صحة تلك النسبة ، ولم يقيموا أى دليل ، لأن السند منقطع بينها وبين من تنسب اليهم ، والحبيل بينهم وبينها غير متصل بأوهى أنواع الاتصال ، لأن السند المتصل الذى يطمئن معه القارئ لكتاب ، فيغلب على ظنه انه صادق النسبة لمن نسب اليه ، هو ان يروى ثقة عن ثقة مثله حتى يصل السند الى من لقى المؤلف فيقول : سمعته منه . أو تلقيته عنه ،

أو قرائته عليه كما ترى في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويكون كل راوٍ من تلك السلسلة المتصلة حلقاتها عدلاً ثقة ، ضابطاً حافظاً ، وإذا كان السند غير متصل بين ذبوع هذه الكتب واشتهارها ، وبين قائلها ، فتقد ذاعت بعد سنة ٣٦٤ ، ومن نسبت إليهم كتابتها كانوا في وسط وآخر القرن الأول ، فالعقل يتشكك في هذه النسبة ، ولا يثبت مع الشك كتاب يكون حجة لديانة .

هذه كتبهم ، اعتقدوا أنها كتبت بالهام من كتابها ، ولم يقيموا أي دليل على دعوى الإلهام ، وبدراستها يتبين التناقض بينها ، مما يثبت أنها ليست بالهام من الله ، وبدراسة تاريخها يثبت أنها منقطعة السند عن نسبت إليهم .

موازنة قس بين أحاديث الرسول وكتبهم من حيث الرواية :

٦٠ — ولقد جرؤ قس اسمه إبراهيم سعيد في شرحه لتنجيل لوقا ، فعقد موازنة بين روايته ، ورواية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ان الذى يطالع ديباجة بشارة لوقا يستعيد الى ذاكرته ديباجة الأحاديث في الاسلام ، غير انه اذا تشابهت الديباجتان في بعض الأوجه ، فان أوجه الخلاف تفوق بكثير أوجه الشبه ، فمن أوجه الشبه : (أ) ان بشارة لوقا والأحاديث كلاهما ترجية حياة ، وأقوال مؤسس لدين واسع الانتشار .

(ب) ان الذين كتبوها أخذوها من أقوال مسلمة إليهم . الى هنا فقط تنتهى أوجه الشبه ، او تبدى زاوية الانفراج تتسع الى أن تختفى خطوطها مع رسوم الأبد .

(أ) فالأحاديث النبوية كتبها أناس أخذوها من أناس آخرين ، وهؤلاء الآخرون أخذوها من التابعين ، وهؤلاء أخذوها من الصحابة ، والتبر متى تنقل بين الأيذى الكثيرة امتزج بكثير من التراب ، ان لم يتحول تراباً ، ولكن لوقا أخذها عن شهود عيان ممن رأوا المسيح ، وخدموا انجيله .

(ب) نقلت الأحاديث النبوية عن رواة ، وما آفة الأخبار الا روايتها ، لكن سيرة المسيح سجلها مؤرخون محققون للأمور المتيقنة عندهم .

(ج) كانت مهمة كتابة سيرة نبي الاسلام جمع الاحاديث وتكديسها ، لكي يظفروا بأكبر عدد ممكن ، وكانت مهمة لوقا التحييص العلمى ، اذ كان هو طبيباً عملياً ، علمياً دقيقاً .

بيان ما فى كلامه من زيف :

٦١ - هذا نص ما كتبه ذلك القس فى الموازنة بين احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وانجيل لوقا ، ونحن نقره فى أن أوجه الاختلاف تنفرج زاويتها ، حتى لا يتلاتى المتشابهان بعدها ، وان شئت الحق الخالص من كل تمويه ، والصدق الخالى من كل تزوير فقل انه لا تشابه بينهما ، كخطين متوازيين لم يتلاقيا ، ولن يتلاقيا قط .

ولكن اذلك الاختلاف يعلى الاحاديث أم يعلى البشارة المتسوبة للوقا ؟ هنا نختلف مع القس . فهو يزعم أن ذلك الاختلاف يعلى بشارة لوقا ، ويفتقد الثقة احاديث الرسول ، وهو لى يؤيد هذا الزعم يأتى بالمحسن فيسميها مساوئ ، ويعرض لما يوجب الثقة ، فيزعمه دليل نقيضها ، وهو فى هذا كمن يزعم قبح الشمس فى نورها الرائع ، وضوئها الساطع ، وقبح القبر فى صفائه ، وانبلاجها فى ظلمة الليل البهيم ، ثم يستعين فى تقبيح المحسن الى التشبيهات والأخيلة والرموز ، كشأن الموهين دائماً ، عندما يحاولون طمس المعقول ورد المقبول . ومعارضة ما تنتجه بدائنه العقول ، والمطلق المستقيم .

يقول أن الاحاديث كتبها ناس عن ناس حتى يصلوا الى التابعين ، فالصحابه ، وبشارة لوقا أخذها عن شهود عاينوا ، ويرى أن رواية بشارة لوقا هى المثلئ ، ورواية الأخاديث ليست المثلئ . ويستدل على ذلك بأن القبر متى تنقل بين الأيدي امتزج بالتراب أو تحول الى تراب ، فماى دليل هذا ؟ ومن أى أبواب الاقيسة المنطقية ، ومن أى أشكالها ؟ أن ذلك ليس من المنطق فى شئ ، ولا يمت اليه بنسب ، بل لا نستطيع أن نقول أن ذلك قياس خطابى ، لأن الاقيسة الخطابية ، وان كانت ظنية لا تناقض العقل ، ولا تكذب على البدائنه ، ولكننا مع ذلك نناقش ذلك الاستدلال .

ان احاديث الرسول رويت بسند متصل ، وذلك عيبها فى زعم هذا الكاتب ، وبشارة لوقا لم ترو بسند متصل ، وذلك حسنها ، واذا قال لك

قائل : أين ما تثبت به أنه روى عن شهود عاينوا ، ومن هم هؤلاء الذين عاينوا وأخبروه ؟ ولماذا لم يتولوا هم التدوين ، وهم أولى بذلك ، وكلامهم أحرى بالتصديق ؟ فلا جواب عنده بلا ريب .

فأيتها العقول المستقيمة ، أي الخبرين أحرى بالقبول ، خبر من ذكر أنه روى عن فلان العدل المعروف بالصدق والتقوى ، وعينه ، وعدالته مشهورة ، وصدقه معروف . أم خبر من ذكر لك أنه روى عن عاين ولم يبين من هو ، ولم يخبر عنه ؟ فلم نعرف أهو ثقة مقبول الرواية أم هو غير ثقة كيهوذا الاسخريوطي ؟ ان أقصى ما يقال هو ان لوقا نقل عن بولس ، لانه كان رفيقا له في بعض أسفاره ، ولكن بولس نفسه لم يكن من تلاميذ المسيح الذين عاينوا وشاهدوا بل كان في صدر حياته حربا عليهم والبا ، اذاقمهم البلاء أكؤسا ، والشر ألوانا ، فهو راو يحتاج الى من يوثقه ، ان ادعى ان لوقا روى عنه ، وذلك ما لم يقله حضرة القس .

ولننتقل الى مناقشة تشبيه الذي ذكره دليلا : ان القبر اذا انتقل الى أيد تستطيع صيانتة وحياطته — تحفظه من التراب ، وتصونه من الاختلاط به وتميط عنه كل ما يخالط جوهره ، فيزداد بهذا الحفظ بريقا وصفاء ، ان إحدِيث الرسول نقلها ثقات صانوها وحفظوها ، ولكن يظهر أن القس يأبى في مناقشته الا أن يخالف كل معقول ، حتى يكون كل كلامه متفقا مع الباعث عليه والداعي اليه ، فيزعم أن القبر قد يتحول الى تراب اذا تناقلته الأيدي .

فأيها الناس ، وأيها العرب والعجم ، وأيها الشرق ، وأيها الغرب هل علمتم أن الذهب يتحول الى تراب ، ولكن القس المرشد الرشيد يقول ذلك مُصدقوه وكنّبوا العقل والحس والمشاهدة .

ثم من الذي روى لنا تلك البشارة عن لوقا ؟ ان السند يجب أن يكون معروفا حتى لوّثا ، قبل أن نعرف النسبة بين لوقا والمسيح ، ان بشارة لوقا كتبت كما يزعم النصارى في العشرة السابعة بعد المسيح من غير أن يعينوا الزمن تمهينا دقيقا ، ولكن لم يرد في التاريخ ، ولا على السنة الرؤساء والقسيسين أي ذكر لها الى سنة ٢٠٠ ثم ذكرت الانجيل الاربعة على لسان اثنين من العلماء فقط من سنة ٢٠٠ الى سنة ٣٢٥ ، ولم نعرف هذه الانجيل المدونة المسطورة الآن هي التي جاء ذكرها على لسان

عالمين من علمائهم في فترة من التاريخ قدرها خمس وعشرون سنة وثلاثمائة ، وهي فترة طويلة .

ولكن مع كل هذا يستحسن القس ابراهيم سعيد تلك الحال ، فقد زينت له فراها الامر الحسن الجدير بالثقة . وراى غيرها الامر الشبح الجدير بالزد . وهى نطالب ذا رمد ان يفتح عينيه فى ضوء الشمس ، او نطالب من فقد حاسة الشم ان يدرك اريج الزهر ، وعرف الطيب ، او نطالب من ايفت منه المشاعر ان يكون صادق الحس دقيق الشعور .

٦٢ — ولننتقل الى الفرق الثانى الذى ذكره معليا لبشارته ، ومنزلا بأحاديث نبينا عليه الصلاة والسلام يقول : نقلت الأحاديث عن طريق رواة ، واما آفة الأخبار الا رواتها ، اما سيرة المسيح فقد سجلها مؤرخون محققون للأمور المتينة عندهم .

هذا ما ذكره بنصه تقريبا ، وهو يبين ارجحية اخبار اناجيله عن سيرة المسيح بأنها رواها التاريخ ، اما عن السنة مرواية رواة ، وآفة الأخبار رواتها ، ولا نريد مناقشة تلك الكلمة العلمية التافهة « آفة الأخبار رواتها » فانها لا تصلح مقدمة لدليل علمي ، ولو ان طالبا من تلقوا العلم علينا قالها لعركنا اذنه ولسررنا اليه ان رواة الأخبار الذين هم آفاتنا انما هم الكاذبون . اما الصادقون العادلون ، فليسوا آفاتنا بل حملتها ، والا ما صحت شهادة ، ولا قبل القضاء بينات ، ولا ثبتت حقوق ، ولا ادين متهم ، ولا برى برى .

ثم يقول ان اناجيله سجلها مؤرخون محققون ، فكيف نسبهم ؟ رواة روات عن غيرهم ؟ ان كانوا كذلك ، فقد سجل على سيرته ما عده قبيحا عند غيره ، وان كانوا مؤرخين لم يتعرفوه بطريق الرواية ، بل بالنقش على الأحجار ، او فيما استبطنته بطون الآثار ، فأي اثر هذا وجدوا تلك الاناجيل منقوشة عليه ، ومدونة فيه ، واثبت التحقيق العلمى انها ترجع الى عصر المسيح ، وانه هو الذى القاها ، او ان تلاميذه دونوها عنه ؟ .

ان اخبار التاريخ تثبت بأحد امرين ، اما بالرواة يروون ، او بالاثبات ينقبون فيها ، ويتعرفونها منها ، لم تثبت الاناجيل بواحد من الأمرين ، فليست ثمة رواية لها ولا رواة ، وهم ينزهونها عن ذلك ، ولا آثار تنطق

بها ، وتعلن خبرها فهي اذن يرفضها التاريخ ، ولا يمكن أن يسجلها مؤرخون محققون قط ، وان التاريخ لا يعرف لها ذكرا الا من مجمع نيقية أو بعده . فهي مسندة الى ثمانية عشر وثلاثمائة اجتمعوا في نيقية ، وليست محتجة النسبة لغيرهم بل بعضها ليس محقق النسبة عندهم ، وبين هؤلاء وبين المسيح خمس وعشرون سنة وثلاثمائة !! وبعد هؤلاء المجتمعين تناقلها الرواة عنهم ، وان اغضب ذلك حضرة القس ، وان ذلك المجمع لنا فيه كلام ، سنقوله في موضعه .

٩٣ — ولننتقل الى مناقشة الفرق الثالث الذى ظنه رافعا مؤرخيه الى مرتبة الثقة ، يقول : كما كانت مهمة كتابة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم الجمع ، ليظفروا بأكبر عدد من الأحاديث . أما مهمة لوقا ، فتدركات التحقيق والتحصيل ، وهنا نرى القس أخذ يجد بعد الهزل ، ويقول بعد الهذر ، ولكنه اذ ابتدا يجد قد كذب وأعظم الفرية على أحاديث نبينا ، وأدعى على بشارة لوقا ما ليس فيها ، فأى تحقيق علمى فيها ، وأى تمحيص اشتملت عليه ؟ انها لا تفترق من غيرها من حيث احتمالها على أمور غريبة ، وأشياء عجيبة ، ولم يدين لنا رأيه فيها ، بل كان قاصا لكل القصص ، ولا يرمعها أنه كان طبيبا ، لأن نسبتها اليه موضع شك كبير ، ولم يتفق الكتاب على شخصه كما بينا ، ولم يتفقوا على أنه كان طبيبا ، بل منهم من قال أنه كان مصورا ، وعلى ذلك تكون دعواه التحصيل في بشارة لوقا لا تؤيدها ما دون فيها ، ولا تؤيدها نسبتها الى لوقا .

ولننتقل بعد ذلك الى رد افترائه ، وكذبه على أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، فان المطلع على أخبار رواتها العسكول ، وما كتب في صاحبهم يتبين له أنهم ما كان همهم الجمع ، بل كان همهم التنقيب والبحث فانهم ما كانوا يروون كل ما يظنون ، بل يختارون الصادق مما يثقلون ، وان الذى يرفضون كان أضعاف ما يقبلون وينقلون ، لأنهم كانوا يتحرون الصدق ليميز الخبيث من الطيب ، وان الصحابة كانوا يتهمون من يكثر من الرواية خشية أن يخبر عن الرسول بغير ما رأى وشاهد ، فكيف يقول ذلك الرجل على غير علم ، أو محرفا الكلم عن مواضعه : « ان رواية الأحاديث كان همهم الجمع » ، كلا أنهم كانوا ينقدون ما يروون ، ينقدون السند أولا ، فلا يقبلون الا من الرواة الذين اشتهر صدقهم وضبطهم وفهمهم

لما يحصلون ويروون ، وينقدون متن الحديث : فيعرضونه على الكتاب وما اشتهر من السنة واستفاضت به الأخبار ، وما علم من هذا الدين بالضرورة فان لم يخالفها بعد ان روى بسند متصل مكون من عدول كان مقبولا ، والا كان مردودا ، ونريد ان نهمس في اذن حضرة القس الرشيد بأن من اسباب ردهم لبعض الاحاديث ورفض نسبتها الى الرسول عليه الصلاة والسلام — عدم موافقتها للعقل ، فهل له أن يطبق ذلك النقد على انجيله ورسائله ؟ انا نتصح له ان يفعل ، لانا نريد له الهدى ، لا الضلال ، والرشد . لا الفى ، وهى نية نحتسبها عند الله .

نظرة في الوحي في الاسلام والوحي في المسيحية :

٦٤ — نريد ان نختم مناقشتنا لذلك التيسيس بمناقشة كلمة ذكرها : وهى التفرقة بين الوحي في الاسلام والوحي في المسيحية . فيقول عن الوحي في الاسلام : « ان الوحي في الاسلام هو التجرد عن كل شئ انساني » وتلاوة ما يسمونه اللوح المحفوظ ، ولكن الوحي في المسيحية يجمع بين العنصر البشرى والعنصر الالهى ، اى الملهمات الالهية تتجسد في لباس لغوى بشرى ، لتكون مفهومة لدى الناس الذين تبلغ اليهم ، فالكلمة المعلنة المكتوبة في الانجيل هى رمز لكلمة الله ، الوحي المعلن لنا حق الله .

من اجل هذا يعتقد المسيحيون أن الوحي بالروح القدس لا يحرم على الموحى اليهم استخدام الوسائل البشرية الاجتهادية الممكنة لديهم ولا يرفع عن الكاتب مسئولية الاجتهاد ، والتحقيق والتدقيق ، هذا بخلاف الاعلانات المحتوى عليها كتاب الوحي التى لا تتدخل فيها مواهب الكاتب الطبيعية ، بل هى من الله أولا وآخرا ، كالنبوات المتفرقة في كل اجزاء الكتاب المقدس ، وسفر الرؤيا » .

معنى الوحي :

هذه كلمته ، ونريد قبل ان نتعرف من تلك الكلمة معنى الوحي في كتبهم ان نسارع الى بيان وحي الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاسلام . فنقول : ان وحي الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قسمان : قسم يوحى به على أنه كلام الله تعالت كلماته ، ولهذا يكون المعنى والتعبير لله جللت قدرته ، وذلك كما في القرآن الكريم الذى نزل به الروح الامين .

القسم الثانى ، الأمور الشرعية التى كان يوحى الله بها الى النبى
صلى الله عليه وسلم : ليبينها للناس ، فالمعنى فيها : يوحى من الله تعالى
والعبارة فيها للنبى صلى الله عليه وسلم .

واذن فكلامه عن الوحى فى الاسلام لم يكن صحيحا فى عموميه ،
وكان عليه ان يتحرى قبل أن يكتب ، ولكنه لم يفعل .

ولنتنقل الى الوحى بالكتب عندهم ، وهذا ما نريد ان نأخذ العلم به
عنه ، وعساه يهدينا الى ما نعرف به محض الحق المبين .

هو يقول ان كلمات الانجيل ليست هى كلمات الروح القدس
التي ألهمها رسولهم ، سواء فى ذلك كل كتبهم ، فالمعبارة فيها للكتاب ،
وليست للروح القدس الذى يلهم رسولهم بها يكتبون فيها يزعمون ،
ثم تنقسم كتبهم بعد ذلك الى قسمين : قسم هو وحى لا تدخل فيه المواهب
الطبيعية بالتصرف فيه بأى نوع من أنواع التصرف ، وهو ما يسمى بالنبوات
عندهم . والقسم الثانى تتصرف فيه مواهب الكتاب ، وفى هذا القسم
لا يرفع من الكتاب ما يوجبه عليه التحقيق والتدقيق والاجتهاد .

ونظرة فاحصة الى هذا القول ترينا أن الإلهام قد أخذ يضؤل أمره ،
وتتواضع دعواه ، خصوصا بالنسبة للانجيل ، لأنها ليست بكتب نبوة
كالرؤيا ، ولم يتخللها كلام الله ، كما يفعل بولس فى رسائله ، اذ كان يزعم
أحيانا أنه يتكلم عن الله ، وأحيانا يقول أنه يتكلم من عنده ، فالانجيل
ليست فيها أذن تلك النبوات ، وعلى ذلك يكون للمواهب الطبيعية البشرية
دخل فى كتابتها ، ويتحملون تبعه الاجتهاد فيها والتدقيق والتحصيل ،
ومن يتحمل تبعه عمل ينسب اليه . وعلى ذلك قد يتوارد الخطأ على اجتهادهم
وتدقيقهم وتمحيصهم ، فيكون من أخبارهم ما صادف التحقيق فيه الصواب ،
وما عرض له الخطأ ، وكيف تكون بعد ذلك بالإلهام أو وحى ؟ وكيف تكون
مقدسة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؟ واذن فقد أنوا على
دعوى الإلهام بالنقض فلا الهام فى الانجيل اذن .

هذه كلمتنا فى كتبهم تحريتنا فيها أن نكتبها كما كتبها المسيحيون ،
ونوجه من النقد ما وجهوا ، وذلك لكى ننصف القوم .

ولقد ألقينا عليها نظرة فاحصة لنوائم بين أخبارها المختلفة ، ونجمع

(م ٧ — محاضرات فى النصرانية)

بين الأقوال المتضاربة ، ونشير الى حكم العقل المستقيم عليها ، أهى سالحة
لأن تكون مصدر دين يتدين به ألوف الألوف من البشر وأهل العلم ،
أم غير سالحة ؟ .

ان كتاب كل دين هو الأصل والدعامة والأساس ، ماذا كان
غير صحيح السند ، أو غير مقبول لدى العقول كان ثبوت الدين فيه نظر ،
بل انه انهار ، وفقد أصله ، ولم يعد شيئاً فى الأديان مذكوراً .

ولنتنقل بعد ذلك الى عقيدة المسيحيين ، وبعض شرائعهم كما جاءت
بها تلك الكتب التى علمت أمرها .

النصرانية كما هي عند النصارى وفي كتبهم

العقيدة :

٦٥ — جاء في كتاب سوسنة سليمان، لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني أن « عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس ، وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوى هي الايمان باله واحد أب واحد ، ضابط الكل ، خالق السماء والأرض ، كل ما يرى وما لا يرى ، وبرب واحد ، يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله . اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب في الجوهر ، الذى به كان كل شيء والذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خطايانا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تانس ، و صلب عنا على عهد بيلاطس ، وتآلم وقبر ، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب . وصعد الى السماء وجلس على يمين الرب ، وسيأتي بمجد ، ليدين الأحياء والأموات ، ولا فناء لملكه ، والايمان بالروح القدس الرب الحي المنبثق من الأب ، الذى هو مع الابن يسجد له ، ويمجد ، الناطق بالأنبياء » .

هذا هو جوهر العقيدة ولها الذى لا اختلاف فيه ، وفي هذا الكلام ابهام يحتاج الى فضل بيان ، وأنا مستعيتون في توضيحه بما كتبوه هم ، حتى لا نتزيد عليهم بقول ، ولا نفرض عليهم فهمنا ، ولكي نكون صادقى الحكاية لكل أقوالهم من غير أى تحريف ، والذى يستفاد من هذا أن أساس العقيدة يقوم على ثلاثة عناصر :

العنصر الاول : التثليث والايمان بثلاثة اشخاص .

والعنصر الثانى : صلب المسيح هداء عن الخليفة وثيامة من قبره ، ورفعه .

والعنصر الثالث : أنه يدين الأحياء والأموات .

وللتكلم عن كل واحد من هذه العناصر .

مقدمة التثليث :

٦٦ - قال الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس : « طبيعة الله عيارة من ثلاثة أقانيم متساوية : الله الآب ، والله الابن ، والله الروح القدس ، فالآب ينتهي الخلق بواسطة الابن ، والى الابن الفداء ، والى الروح القدس التطهير » .

وبينهم من هذا ان الاقانيم الثلاثة عناصر متلازمة لذات الخلق .

التوراة والتثليث :

وقد نسر هذا المعنى القس بوطر في رسالة صغيرة ، سماها الاصول والفروع ، واليك ما جاء فيها : « بعد ما خلق الله العالم ، وتوج خليقته بالانسان ليث حيناً من الدهر لا يطن له سوى ما يختص بوحدانيته ، كما يتبين ذلك من التوراة ، على انه لا يزال المحدث يرى بين سطورها اشارات وراء الوحدانية ، لانك اذا قرأت فيها بامعان تجد هذه العبارات :

« كلمة الله ، أو حكمة الله ، أو روح القدس » ولم يعلم من نزلت عليهم التوراة ماتكه هذه الكلمات من المعاني ، لانه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذي قصد الله فيه ايضاحها على وجه الكمال والتفصيل ، ومع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الانجيل يقف على المعنى المراد ، اذ يجدها تشير الى اقانيم في اللاهوت . « ثم لما جاء المسيح الى العالم اربنا بتعاليمه واعماله المجدونة في الانجيل ان له نسبة سرية ازلية الى الله ، تفوق الادراك ، ونراه مسمى في أسفار اليهود : « كلمة الله » وهي ذات العبارة المعلنة في التوراة ، ثم لما صعد الى السماء ارسل روحاً ، ليسكن بين المؤمنين ، وقد تبين ان لهذا الروح ايضا نسبة ازلية الى الله فائقة ، كما للابن ، ويسمى الروح القدس ، ومسر ذات العبارة المعلنة في التوراة كما ذكرنا ، ومما تقدم نعلم بجلاء ان المتسمى بكلمة الله والمسمى بروح الله في نصوص التوراة هما المسيح والروح القدس المذكوران في الانجيل ، فما لحت اليه التوراة صرح به الانجيل كل التصريح ، وان وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الاقانيم ، وكل من اتفر الله ذهنه وفتح قلبه فهم الكتاب المقدس لا يقدر ان يفسر الكلمة بمجرد امر من الله أو قول مفرد ، ولا يفسر الروح بالقوة التأثيرية ، بل لابد له ان يعلم ان في اللاهوت ثلاثة اقانيم متساوين في الكمالات الالهية ، وممازير

في الاسم والعمل ، والكلمة والروح القدس اثنان منهم ، ويدعى الأتقنوم الأول. الآب ويظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء ومرجعها ، وأن نسبته للكلمة ليست صورية بل شخصية حقيقية ، ويمثل للإلهام محبته الفائقة ، وحكمته الرائعة ، ويدعى الأتقنوم الثاني الكلمة ، لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية ، وأنه وسيط المخابرة بين الله والناس ، ويدعى أيضا الابن ، لأنه يمثل العقل نسبة المحبة ، والوحدة بينه وبين أبيه ، وطاعته الكاملة لمشيئته ، والتمييز بين نسبته هو إلى أبيه ، ونسبة كل الأشياء إليه ، ويدعى الأتقنوم الثالث الروح القدس ، الدلالة على النسبة بينه وبين الآب والابن ، وعلى عمله في تنوير أرواح البشر ، وحثهم على طاعته .

الابن لا يعنى به الولادة البشرية :

وبناء على ما تقدم يظهر جليا أن عبارة الابن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ إلى ولادة بشرية ، ولكنها تصف سرية فائقة بين أتقنوم وآخر في اللاهوت الواحد ، وإذا أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة في الذات ، والأمانة للمباشرة الإلهية ، وأما من حيث الولادة البشرية فالله منزّه عنها ، لأجل هذه الإيضاحات علم خدام الدين المسيحي واللاهوتيون حسب ما قرره الكلمة الإلهية أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم ، حسب نص الكلمة الأزلية ، ولكل منهم عمل خاص في البشر ا . ه . بنصه تقريبا .

ونجد كاتب هذا الكلام يحاول ثلاث محاولات :

أولها : أثبات أن القورا وجد فيها أصل التثليث ، لوحث به ولم تصرح ، وأشارت إليه ، ولم توضح .

وثانيها : أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم ، وهن في شعبها متفجرة وأن كانت في جوهرها غير متفجرة .

وثالثها : أن العلاقة بين الآب والابن ليست ولادة بشرية ، بل هي علاقة المحبة والاتحاد في الجوهر .

ولقد كان بيان ذلك المعنى أوضح من هذا البيان في قول القس إبراهيم سعيد في تفسير بشارة لوقا ، فقد جاء فيه في تفسير معنى كلمة ابن العلى

التي جاءت في انجيل لوقا ما نصه : « يلىق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد » « بأبن العلى » أو « ابن الله » علم يقصد بها ولادة طبيعية. دانية من الله والا لقل ولد الله ، ولم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعا أنهم أبناء الله ، لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة. لله ، ولم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر ولا الزمنية ولا في الجوهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح والله ، وهي محبة متبادلة ، وما المحبة التي بين الآب والابن الطبيعيين. سوى أثر من آثارها ، وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها ، ويراد بها اظهار المسيح لنا انه الشخص الوحيد الذي حاز رضا الله ، وأطاع وصاياه ، فقبل الموت موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه : « هذا ابني الحبيب الذي به سررت ، له اسمعوا » وقد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الأرض لانه تم ازادة الله في الفداء ، ويراد بها اظهار التشابه والتماثل في الذات ، وفي الصفات وفي الجوهر ، كما يكون بين الآب والابن الطبيعيين ، فقبل عن المسيح انه بهاء مجد الله ، ورسم جوهره ، وقال هو عن نفسه : من رآنى فقد رأى الآب ، انا والآب واحد ، ويراد بها دوام شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شيء الذى منه وبه له كل الاشياء ، وقد يراد بها معان كثيرة غير معدودة يقصر دون ادراكها العقل ..

الثالث اشخاص متغايرة ، وان كان وجودها متلازما :

٦٧ — وفي هذا التفسير ، والتفسير الذى سبقه يبدو بجلاء أن شخصية الابن غير الآب ، وكذلك روح القدس ، ولكن هل يدخل في الأقنوم الثانى جسده وروحه ؟ جاء في كتاب خلاصة تاريخ المسيحية في مصر : « كنيسةنا المستقيمة الزاى التى تسلمت ايمانها من كيرلس وديسقوروس . ومعها الكنائس : الحبشية ، والارمنية والسريانية والارثوذكسية تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الاقانيم . أقنوم الآب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن الاقنوم الثانى أى أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، مصرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة » .

وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية بأن للأقنوم الثانى طبيعتين ومشيتين ، ومن هذا نرى أن الكنائس كلها تعتقد التثليث ، وهذا هو موضع اتفاق . ولكن موضع الخلاف بينها هو العنصر الالهى فى المسيح ، أهو الجسد الذى تكون من الروح القدس ومن مريم العذراء الذى باختلاطه بالعنصر الالهى صار طبيعة واحدة ومشينة واحدة أم أن الأقنوم الثانى له طبيعتان ومشيتان ؟

٦٨ — ومن هذا كله يفهم أن المسيحيين على اختلافهم يعتقدون أن فى اللاهوت ثلاثة يعبدون ، وعباراتهم نفيد بمقتضاها أنهم مغايرون وان اتحدوا فى الجوهر والقدم ، والصفات ، والتشابه بينهم كامل ، ولكن كتابهم يحاولون أن يجعلوهم جميعا أقانيم لشيء واحد ، وبعبارة صريحة يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية ، ولكن عند هذه المحاولة تستغرق فكرة التثليث ، وتصير بعيدة عن التصور ، كما هى فى ذاتها مستحيلة التصديق ، وان كتابهم أنفسهم يعتقدون أنها بعيدة التصور عند هذه المحاولة ، لان من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث .

فنرى صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث ، يقول : « قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ، ونرجو أن نفهمه فهمنا أكثر جلاء فى المستقبل ، حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما فى السموات وما فى الأرض ، وأما فى الوقت الحاضر ففى القدر الذى فهمناه كناية » أى أن عقيدة التثليث لا يمكن أن تنكشف للنفس على وجهها الا يوم تتجلى كل الاشياء لها يوم القيامة ، وذلك حق ، فانهم لا يعلمون حقيقتها الا يوم يحاسبهم الله عليها .

لماذا يحاولون الجمع بين الوحدانية والتثليث :

ولماذا شغف النصارى بذكر التوحيد بجوار التثليث ، او على الأقل يجتهد بعضهم فى بيان أنه لا منافاة بينهما ؟ لعل الذى يدفعهم الى ذلك هو اعتبارهم التوراة كتابا مقدسا عندهم ، وهى تصرح بالتوحيد ، وتدعو اليه ، وتحدث عليه ، وتنتهى عن الشرك بكل شعبه . وكل أحواله ، بل تدعو الى البراءة من المشركين أينما كانوا ، وحيثما ثقفوا .

فهم يجتهدون أولاً أن يستنبطوا من نصوصها ما يحملونه على الإشارة إلى التثليث ، كعبارة « كلمة الله » أو عبارة « روح القدس » .
وثانياً : يحاولون أن يرجعوا التثليث إلى الوحدانية ، لتلتقى التوراة مع الانجيل فيقربوا التوراة إليهم بتحميل عباراتها ما لا تحتل ، ويقربوا عقائدهم من التوراة بتضمين ثالوثهم معنى التوحيد ، وإن كان هو أيضاً لا يحتمل ذلك ، ولعل ذلك تتميم للفلسفة الرومانية التي كانت تحاول الجمع بين مسيحية المسيح عليه السلام ، ووثنية الرومان ، وتوراة اليهود بماتحمل من وحدانية ظاهرة لا شية فيها ، إلا التجسيد ، أو ما يوهبه في بعض عباراتها .

٦٩ — ولقد يجتهد كتاب المسيحية في اثبات أن عقيدة التثليث والوهية المسيح قد وردت بها كتبهم المقدسة ، ويسندونها إلى آياتها ، سواء أكانت من كتب العهد القديم ، أم من كتب العهد الجديد ، فيقول صاحب كتاب الأصول والفروع : « أما لآيات الإلهية التي تثبت لاهوت المسيح فهي كثيرة جداً ، ولضييق المقام نكتفى باقتباس شيء يسير ، فمن أقواله تعالى بلسان أشعيا النبي : « ها العذراء تحبل ، وتلد ابناً ، وتدعو اسمه عمانوئيل (أى الله معنا) » وتوله : « كأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً ، وتكون الرياسة على كتفه : ويدعى اسمه عجيباً ، مشيراً الها قديراً ، أباً أبدياً رئيس السلام » : أشعيا ٧ : ١٤ و ٩ : ٦ — .

وعند عباده وتجليه على الجبل شهده الله من السماء بصوت مسموع قائلاً : « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » متى ٣ : ١٨ و ١٧ أ ص ٥ .

ويشهد له يوحنا الرسول قائلاً : في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله . . كل شيء به كان . وبغيره لم يكن شيء ، والكلمة صار جسداً ، وحل بيننا ، وراينا مجده مجداً ، كما للوحيد من الآب ملوفاً شعبة وحفاً . يوحنا ١ : ١ و ٣ و ٤ .

وقال المسيح نفسه : أنا والآب واحد ، يوحنا ١٠ : ٣٠ وقال له أحد تلاميذه : « ربى والهى » يوحنا ٢٠ : ٢٨ وقبل منه السجود . ولم يوبخه على دعوته لها ، ولما سألته رئيس الكهنة ، وقال له : استحلطك بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ أجابه المسيح على الحلف : « أنا هو » قال

متى ٢٦ : ٦٣ بمرقس ١٤ : ٦٢ ، وحينما ركب بحر الجليل اظهر طبيعته
لاهوته وناسوته الكيتين ، وذلك بينما كان نائما هاجت الريح ، واضطربت
الامواج ، فقام من النوم واسكتها . فصار هدوء عظيم ، متى ٨ : ٢٣ — ٢٧
فثبتوه اظهر ناسوته ، وبثسكينه الامواج والريح اظهر لاهوته » .

ويقول صاحب ذلك الكتاب في اقنوم روح القدس : « ومن حيث
اقنومية الروح القدس فظاهر من كلمة الله ، لان اشعيا يقول : « ولكنهم
تهدردوا واحزنوا روح قدسه ، فتحول لهم عدوا ، وهو حاربهم » ، اشعيا
٦ : ١٠ .

ويقول الرسول بولس : لا تحزنوا روح الله القدس ، ومن المعلوم
انه ان كان للروح قوة ، او صفة ، او شيء من الاشياء غير العاقلة لا يمكن
ان يحزن ، او يفرح أبدا : فلا بد ان يكون اقنوما .

ثم نقرأ في سفر الأعمال ان الروح قال للرسول : « انرزوا الى برنابا
وشاول للعمل الذي دعوتها اليه » .

وهكذا يسترسل في امثال هذا الاستدلال الى ان يقول : « وقيل عن
أعمال الله انها أعمال الروح هو الذى خلق العالم ، ويجدد النفوس ،
والمولود منا مولود من الله ، ويحيى اجسادنا الميتة ، وهو على كل شيء
مقدر » .

وفضلا عما ذكر نجد في الكتاب ان الحقوق والصفات الالهية تنسب
على سواء الى كل من الآب والابن والروح القدس .

ولكل منهم تقسم العبادة وهم متساوون ومتحدون ، كما نرى
في دستورية المعبودية : « عمدوا باسم الآب والابن وروح القدس » .
متى ١٨ : ١٩ ، « والبركة الرسولية نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة
وبركة الروح القدس مع جميعكم » .

٧ — هذه هي استدلالهم من كتبهم لاثبات عقيدة التثليث ،
والإبراء عليها ، واثبات سندها من تلك الكتب ، قد اطلنا في نقلها عنهم ،
واقتطعناها من عباراتهم بنصها ، ولم نتصرف فيها بأى نوع من أنواع
التصرف في البيان خشية التزيد عليهم ، وخشية ان يؤدي التصرف في التعبير
الى التغيير في الفكرة ، وترى انهم لم يعتمدوا في اثبات تلك العقيدة على

أى دليل عقلى ، بل كل اعتمادهم على ما عندهم من نقل يحملونه من انتقال المعلنى ما تنوء به العبوات ، ولا تحمله أبعد الاشارات ، وأنهم اذا حاولوا ان يربطوا قضية التثليث بالعقل حاولوا جهد الطاقة ان يجعلوا العقل يستسيغها في تصويره ، ويحسون ان العقل لا يكاد يستسيغ ذلك التصور ، وقد نقلنا لك من عباراتهم ما يبيد ذلك ، فارجع اليه .

واذا كانت محاولاتهم تصور القضية قد أجهدتهم ، وكلفتهم ما لا يطيقون ، فكيف يستطيعون ان يجعلوا من بدائه العقل ما يحله على تصديق ما يدعون والاعتناع بما يقولون ، لذلك لم يحاولوا ان يتجهوا الى العقل لاثبت قضيتهم من بدهيته ، فان ذلك ليس في قدرة أحد ، اذ ليس في قدرة احد من البشر جمع النقيضين في قرن ، والتوفيق بين الاضداد ، وقضيتهم والبدهييات العقلية نقيضان لا يجتمعان .

ونرى ان اعتمادهم على النقل لا يغنى من الحق شيئا ، لان شروط الانتاج في استدلالهم غير مستوفاة ، اذ ترى ان تلك العبارات التى غثروا عليها في كتبهم لا تفيد على وجه القطع ما يريدون ، بل قد تفيد بأبعد أنواع الاحتمالات ، او باحتمال قريب ، ومن المعلوم في قواعد الاستدلال ان الاحتمال اذا دخل الاستدلال أبطله . وكل أدلتهم ينفذ الاحتمال اليها من كل جانب . هذا وان الاستدلال بكتبهم يفيد من يصحتها وهى ذاتها يعروها النقد العلمى في سندها ، وفي متنها من كل ناحية ، فهى في ذاتها في حاجة الى نفاع طويل لاثباتها ، وقد بينا ذلك كله في موضعه من بحثنا .

صلب المسيح فداء عن الخليقة :

٧١ — ولتترك الآن الحديث في عقيدة التثليث ، ولكن يجب قبل تركها مؤقتا ان نشير الى ان التثليث لم يرد دفعة واحدة على المسيحية ، بل تورد عليها شيئا فشيئا ، الى ان أعلن نهائيا عند غالبيتهم في نهاية القرن الرابع الميلادى ، وسنبين ذلك كله فضل بيان في تاريخ المجامع المسيحية ، وأسباب انعقادها ، وقراراتها ، ومداهها في موضعه من هذا البحث ، ولنتكلم الآن في العنصر الثانى من عناصر العقيدة المسيحية ، وهو صلب المسيح فداء عن الخليقة ، وقد أشرنا اليه اجمالا من قبل .

يقولون في هذا : ان الله من صفاته المحبة ، حتى لقد جاء في الكتب

المقدسة عندهم : « الله محبة » ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم ، لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة ، وهبوطه هو وبنيه الى الدنيا ، مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته ومفيض نعمته رأى أن يقربه اليه بعد هذا الابتعاد ، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد الى العالم ، ليخلص العالم ، وقد جاء في انجيل لوقا : « وان ابن الانسان قد جاء لكي يطلب ، ويخلص ما قد هلك » فبمحبتة ورحمته قد صنع طريقا للخلاص ، لهذا كان المسيح هو الذى يكرر عن خطايا العالم ، وهو الوسيط الذى وفق بين محبة الله تعالى ، وبين عدله ورحمته . اذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم ، ولكن باقتران العدل بالرحمة ، وبتوسط الابن الوحيد وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق قرب الناس من الرب بعد الابتعاد ، وقد كان التكفير الذى قام به المسيح هو الصلب ، لهذا صلب ، ورضى الله عن صلبه ، وهو ابنه ، ودفن بعد الصلب ، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره ، ويقولون انه كان قد انبأ بذلك قبل صلبه .

جاء في انجيل متى في الفقرة التى بعد بيان الصلب : « اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس قائلين : يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى : انى بعد ثلاثة أيام اتوم ، ثم بضبط القبر الى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ، ويسرقوه ، ويقولوا للشعب انه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى ، فقال لهم بيلاطس : عندكم حراس ، اذهبوا ، واضبطوه كما تعلمون ، فمضوا وضبطوا القبر بيد أن ظهوره كان بين تلاميذه .

وقد قام من القبر بعد ثلاثة أيام كما ذكرت اناجيلهم ، ولكنها اختلفت في تنصيل القيام ، فمتى ذكر انه ظهر في الجليل ، ولوقا ذكر انه ظهر في اورشليم ، ويوحنا ذكر انه ظهر في اليهودية والجليل معا ، ومرقس بين أن ظهوره بين تلاميذه .

وقد ذكر القس ابراهيم سعيد توفيقا بين هذا الاختلاف فقال : « اجمع البشيريون الأربعة على تقرير هذه الحقيقة . ليس المسيح في القبر ، لأنه قام كما قال ، لكن كلا منهم كتب عن القيامة وظهور المسيح للتلاميذ من وجهة نظره الخاصة ، متى كتب من ظهور المسيح في الجليل ، لأنه كتب

من المسيح الملك ، ولوفا كتب عن ظهوره في اورشليم ، لانه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم مبتدئا من اورشليم ، ويوحنا كتب عن ظهوره في اليهودية والجليل لانه كتب عن المسيح ابن الله الابدى صخر الدهر ، ومرقس كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ في فترات منقطعة ، ليشدد عزائمهم للقيام بالخدمة التى تنتظرهم ، لانه كتب عن المسيح الذى جاء لىخدم البشرية ، ويرفعها الى مستوى الكمال . كل هذا لكى يوقع البشرون الاربعة نعمة مشعبة متنوعة العناصر لانشودة القبالة الجيدة فلئن تنوعت روايتهم الا انها لا تتناقض .

وهذا اشبه بالتملات التى لا تناقض ، ولا تقوى امام النظر المنطقى المستقيم ، ولكنها تقبل في الخطابات ، فهى كالزهرة ترى وتشم ، ولكن لا تعرك ، وذلك لان هذا التوفيق يقوم على قضيتين :

احدهما : ان كل انجيل كتب لغرض معين لا يشمل في عمومها ماكتب له الانجيل الآخر .

وثانيهما : ان كلا ذكر المكان الذى يتفق مع غرضه ، واذن فلا اختلاف في الخبر .

وهذا الكلام فيه نظر في مقدمته ونتيجته ، وذلك لانه لو كان متى كتب يخبر عن المسيح الملك ، ولوفا عن المسيح المخلص ، وهكذا لكان كل انجيل مفايرا للاناجيل الاخرى تمام المغايرة ، مباينا له تمام المباينة ، لانه يكتب في موضوع يخالف ما يكتب فيه الآخر ، وان كان الشخص واحدا ، كان يكتب كتاب عن شخص بارز في السياسة والقانون . فكاتب يكتب عنه سياسيا ، وآخر يكتب قانونيا فالموضوع يختلف ، وان كان الشخص متخذا ، ولكننا لا نجد في الاناجيل في مجوعها ذلك التباين ، وعلى فرض تسليم تلك القضية لا نستطيع ان نسلم القضية الثانية ، وهى ان الجليل يناسب المسيح الملك ، واورشليم تناسب المسيح المخلص ، وهكذا . فلماذا اختصت هذه بالملك وتلك بالخلاص ؟ ان ذلك التخصيص تحكم لا يعتمد على منطق ، وعلى فرض صحة المقدمتين ، فان النتيجة لا تنبنى عليهما ، لان النتيجة اختلاف ذكر الامكنة في حادثة معينة والشهادة بها ، فأحد الشهود يقول : انه رآه في الجليل ، وآخر يشهد بوجوده بين التلاميذ في فترات منقطعة ، وثالث يشهد بوجوده في اورشليم ، واذا اختلف الشهود

في مكان حادثة معينة كان اختلافهم سببا للظنة في الشهادة واتهام الشهود فيها ، ولئن قيل أن المسيح ظهر في الأمكنة التي ذكرت ، بيد أن كلا ذكر ما رأى ، ولم يكن رآه فيها جميعا كان الكلام مستقيما ، ولكن يكون معناه أن كل أنجيل لم يذكر حال المسيح كاملة ، ويحتمل أن يكون الجميع لم يذكروها كاملة على هذا الأساس ، ويكونوا قد نسوا حظا مما ذكروا به .

المسيح يدين ويحاسب :

٧٢ — لم يمكث المسيح بعد قيامته هذه التي يعتقدها المسيحيون الا اربعين يوما ، ثم ارتفع بعدها الى السماء وجلس بجوار الرب في زمعهم ، وسيأتي ليدين الناس يوم القيامة ، يحاسب كل انسان على ما فعل وقال : ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . وله بهذا الملك الابدى ، فلا فناء لملكه ، فهم يقولون : ان الله قد اقام يوما سيدين فيه سكان هذه الارض بيسوع المسيح ، لان الآب في زمعهم لا يدين احدا ، بل قد اعطى ذلك للابن ، فاعطاه سلطان أن يدين الانسان ، لانه ابن الانسان ايضا ، ولا بد أن يظهر الناس جميعا امام كرسي المسيح ، لينال كل واحد جزاء ما كان قد صنع ، خيرا أو شرا ، هذه عقيدتهم .

فقد جاء في انجيل يوحنا : « الحق اقول لكم ، انه تأتي ساعة ، وهي الآن ، حين يسمع الاموات صوت ابن الله ، والسماعون يحيون ، لانه كما أن الآن له حياة في ذاته ، كذلك اعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته ، واعطاه سلطانا أن يدين ايضا ، لانه ابن الانسان ، لا تعجبوا من هذا فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين فعلوا السيئات الى قيامة الدينونة ، انا لا اقدر أن افعل من نفسي شيئا ، كما اسمع ادين ، ودينونتي عادلة لاني لا اطلب مشيئتي ، بل مشيئة الآب الذي ارسلني » . راجع الاصحاح الخامس .

وجاء في رسالة بولس الثانية الى اهل كورنثوس : « لا بد أننا جميعا نظهر امام كرسي المسيح ، لينال كل واحد منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع ، خيرا كان أم شرا » (راجع الاصحاح الخامس من هذه الرسالة) . وجاء في رسالة بولس الى اهل تسالونيكي : « ان الذين يضايقونكم

يجازيهم ضيقا ، وإياكم الذين تتضايقون — راحة معنا ، عند استعلان
الرب يسوع مع ملائكة قوته ، في نار لهيب معطيا نقمته للذين لا يعرفون
الله والذين لا يطيعون أنجيل ربنا يسوع المسيح الذين سيعاقبون بهلاك
أبدى من وجه الرب ، ومن مجيد قوته . متى جاء ليتمجد في قدسيته ،
ويتعجب منه في جميع المؤمنين » .

فهذه النصوص جميعها تبين بجلاء أن الذى سيحاسب الناس ،
ويجازيهم بما فعلوا ، الخير بمثله والشر كذلك . إنما هو المسيح في
نظرهم .

تقديس الصليب :

مقام الصليب في المسيحية :

٧٣ — لا يرتفع تقديس الصليب إلى مرتبة العقائد السابقة .
لأن تلك العقائد أساس المسيحية . أما الصليب فليس له ذلك الحظ .
وإن كان شعارهم ، وموضع تقديس الأكثرين . ولذا كان حمله علامة
على اتباع المسيح .

جاء في أنجيل لوقا : « وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتى ورأى
فليترك نفسه ، ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى » .

وحمل الصليب كما يقول كتابهم ، أشعار باتكار النفس ، واقتفاء أثر
المسيح في هذا الانتكار ، والسير وراء مخلصهم ، ولما بينهم .

جاء في شرح بشارة لوقا للنس إبراهيم سعيد : « إن آثار قدسى
المعلم تعين طريق خطوات التلاميذ لأنه وإن كان المسيح قد صلب عنا فمثال
في صلبه : « قد اكمل » لكننا قد أصبحنا بحكم صلبه عنا تحت التزام شرعى
لأن نكون شركاء المسيح المتألم ، إن شركتنا الشرعية مع المسيح المصلوب
ينبغى أن ترافقها وتدعمها شركة اختيارية فعلية معه ، أن صلب المسيح
معناه مات عنا ، ولكن صليب كل مؤمن معناه : « موت النفس عن الانانية
وحب الذات » وخلاصة هذه الذات هي النفس الأمارة بالسوء ، هي تلك
الارادة المتمردة التى ينبغى أن نخضعها ، ونستأمرها لطاعة المسيح ،
فقول كل واحد ليس ما أريد أنا بل ما تريد أنت يا رب ، أنه من أوجب
واجبات كل مسيحي أن يحمل صليبه مختارا طائعا لأن التعبير بحمل صليبه

مستعار من العادة التي قضت بها الأنظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب أن يحمله كل يوم ، وهذه العبارة انفرد لوقا بذكرها ، فهو صليب يتجدد كل يوم ، كما تجددت الآمال والآلام في الحياة اليومية العملية ، فلا بد إذن لحمل الصليب من خطوة تسبقه ، وخطوة تعقبه ، أما الخطوة السابقة له فهي إنكار النفس ، بمعنى أن يقول تلميذ المسيح لنفسه الأمانة بالسوء ، لا ، لأن حمل الصليب هو حمل العار مضاعفا إلى ألم الموت ، وهذا عمل يستلزم إنكار النفس ، لأن الرومان لم ينفروا من الصليب فقط ، بل فزعوا من ظله . كذلك كان شعور اليهود بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة ، لأنه مكتوب في ناموسهم : « ملعون كل من علق خشبة » ، والخطوة اللاحقة لحمل الصليب بل الخطوات هي اقتفاء آثار المسيح بكوله : « ويتبعني » ، إذن ليس حمل صليبا غاية لكنه وسيلة لهذه الغاية ، وهي اتباع المسيح حيث « يمضى » ١ . ه .

فحمل الصليب إذن عندهم ليس غاية ، وليس مقصودا لذاته ، ولكنه مقصود لغاية أخرى أسمى عندهم ، وهي اقتفاء خطوات المسيح في إنكار الذات ، والرضا بالفداء في زعمهم واتباع تعاليمه .

عبادتهم :

٧٤ — عند النصارى عبادتان : هما الصلاة ، والصوم ، أما الصوم غائهم يقولون أن شرعه عليهم اختياري لا اجباري ، وميثاقه قد تتخالف فيه الفرق ، فلنتركه إلى الكلام في الفرق والكنائس أن كان للقول متسع ، ولنتكلم الآن في صلاتهم .

والصلاة عندهم ركن من أركان الدين ، وهي في زعمهم تقريهم إلى الله عن طريق المسيح .

ولقد جاء في كتاب الأصول والفروع : « أن الدين تلب مقتنع بوجود الله الخالق والحافظ والفادي ، فتكون الصلاة ترجمان ذلك القلب ، يعبر بها عما يخالجه من الآشواق والمواطف ، فبالنظر لاقتناعه بقداسته تكون الصلاة كلمات التعظيم والتسبيح له ، وبالنسبة لاقتناعه بجهوده وأحسانه تكون الصلاة عبارات الشكر والحمد ، وبالنسبة لوقوعنا في الخطيئة ، تكون الصلاة كلمات التذلل والتواضع والاستغفار ، وبالنسبة للاحتياج إليه تعالى تكون الصلاة طلبا ودعاء » .

والصلاة عندهم لها شرطان أساسيان لا توجد بدونهما ، هما منها
بهنزلة الدمعة :

الشرط الأول : ان تقدم باسم المسيح ، فقد جاء في الاصحاح
السلمس عشر من انجيل يوحنا : « الحق اقول لكم ان كل ما طلبتم من
الآب باسمي يعطيكم ، الى الآن لم تطلبوا شيئا باسمي ، اطلبوا تأخذوا
ليكون فرحكم كاملا » .

ويطلون ذلك بان الاتساع بسبب خطاياهم ابعد عن رضا الله ، ولكن
بدم المسيح زال هذا البعد ، واصبح قريبا اليه .

فقد جاء في رسالة بولس الى اهل انيسس في الاصحاح الثاني منها :
« لكن الآن في المسيح يسوع انتم الذين كنتم قبالا بعيدين صرتم قريين بدم
المسيح لانه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدا ، ونقض حائط السياج
المتوسط » .

ويقول صاحب كتاب الاصول والفروع : « للصلاة باسم المسيح
معنى اذق من ذلك ، وهو ان الاسم يمثل دائما المسمى . فتكون صلاتنا
باسم المسيح تمثل وحدته معنا ، بحيث تكون طلباتنا طلباته . وصلاحتنا
صلاحه ، وحياتنا حياته ، وبالجمله كانه يحيا فينا ولاجلنا » .

الشرط الثاني : ان يسبق الصلاة الايمان الكامل بما عندهم ، فقد جاء
في الاصحاح الحادى عشر من انجيل مرقس ما نصه : « لذلك اقول لكم
كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه ، فيكون لكم » .

وجاء في رسالة يعقوب : « وليكن الطلب بايمان غير مرتاب البتة ،
لان المرتاب يشبه موجا من البحر تخطبه الريح وتدفعه ، فلا يظن ذلك
الانسان انه ينال شيئا من الرب » .

وليست للصلاة عندهم عبارات خاصة معلومة يجب ان يتلوها ،
بل ترك لهم ان يتلوا العبارات التى يختارونها بشرط الا تخرج عن قاعدة
الصلاة التى علمهم اياها المسيح لكى يصلوا على منوالها ، وهى المسماة
بالصلاة الربانية ، وهى التى جاءت في صدر الاصحاح الحادى عشر
من انجيل يوحنا ، ففيه عن المسيح : « واذا كان يصلى فى موضع لما قرغ
قال واحد من تلاميذه : يارب علمنا ان نصلى ، كما علم يوحنا ايضا تلاميذه » .

فقال لهم : متى صليتم ؟ فتولوا أبانا الذى فى السموات ليتقدم اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا اعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا ، لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا . ولا تدخلنا فى تجربة ، ولكن نجنا من الشر . ولديهم أمثلة كثيرة للصلوات يختارون منها ما يسهل عليهم : وأشهر الأسفار المشتمة على نماذج للدعية والصلوات سفر المزامير .

ويقول صاحب كتاب الأصول والفروع : « انه خزانة ذهبية لصلوات داود النبى وغيره من الأنبياء صلوا بها فى أحوالهم الخاصة ، مسوقين من الروح القدس ، وكثيرا ما يعرض علينا ذات أحوالهم ، فنقتبس من أقوالهم ما يطابق حالتنا واحتياجنا للاستعانة على التعبير عما بنا من ملات الأمور ، كما اذا كنا فى حال الحزن والأسى على خطايانا نقتبس فى صلاتنا من مزمور — ٥١ — لأنه يشتمل على أشد العبارات تأثرا بصدد التوبة والاعتراف ، والاستغفار من الله ، وكما اذا كنا فى حال الشعور برحمة الله علينا ونعمته نقتبس من مزمور — ١٠٣ — للتعبير عن شكر قلوبنا ، وشعورها بالمحبة والنعمة ، انتهى بتصرف .

وليس عليهم عدد معين من الصلوات كل يوم ، كما انه ليس لها مواقيت معلومة ، بل كل ذلك قد وكل الى نشاط المصلين ، ورغبتهم فى العبادة ولكن لأن اليهود كانوا يعبدون الله فى هياكلهم فى صباح كل يوم ومساءه استنبطوا انه يلزم الصلاة مرتين ، أحدهما فى الصباح ، والأخرى فى المساء .

ويقولون فى حكمة ذلك فى الصباح : « نطلب بركة الرب علينا سحابة اليوم » وان بهدينا الى عمل ما فيه رضاؤه ، وان يحفظنا من السوء ، وفى المساء نشكره على احسانه علينا كما اننا نعترف بما فرط منا فى اليوم من الزلات ، ونطلب منه المغفرة ودوام نعمته علينا وفوق ذلك لا نفتأ نذكر فضله ونشعر بجميله دائما » .

واذا لم يكن للصلاة عدد محدود عندهم ، فالمستحسن الاكثار ، ويخالفون اليهود فى زعمهم ان الاكثار من الصلاة يجعل الله يمل .

جاء فى انجيل لوقا فى صدر الاصحاح الثامن عشر ما نصه : « قال لهم مثلا فى انه ينبغي أن يصلى كل حين ، ولا يمل قائلا : كان فى مدينة قاض (م ٨ محاضرات فى النصرانية)

لا يخالف الله ولا يهاب انسانا ، وكان في تلك المدينة أرملة ، وكانت تأتي قائلة انصفني من خصمي وكان لا يشاء الى زمان ، ولكن بعد ذلك قال في نفسه : وان كنت لا اخاف الله ولا اهاب انسانا ، فاني لأجل أن هذه الأرملة ترعجنني انصفها لئلا تأتي دائما فتقمعني . وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضي الظلم ، أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا وهو متبهل عليهم ، اقول لكم انه ينصفهم .

يقول القس ابراهيم سعيد في شرح الجبل في انجيل لوقا : « ينبغي ان يصلى كل حين ولا يمل » من هنا ترى ان صلاة المثابرة واللجاجة ليست من الأمور المكنة فقط ، ولكنها من الأمور الواجبة ، فهي فرض عين لا فرض كفاية ، وهذا عن خلاف ما علم به التلمود ، محظور على الانسان ان يصلى اكثر من ثلاث مرات في النهار ، لان الله يمل الصلاة كل ساعة ، ولقد أوصى المسيح بالصلاة من غير ملل لعله ان صلاة الروح تعب على الجسد ، سيما اذا تأخرت الاجابة ، فالروح نشيط والجسد ضعيف .

وجاء في آخر رسالة بولس الى أهل تسالونيكي : « صلوا بلا انقطاع » .

وبين معنى ذلك صاحب رسالة الأصول والفروع فيقول : « معنى هذا ان نستحضر في اذهاننا روح الصلاة على الدوام ، وكلما خطر على البال ذكر الله ومحبه نرفع قلوبنا اليه ، سواء أكلن بالقول أو بالتوجهات القلبية بدون كلام ، والله يعلم ما في القلوب .

من شعائر المسيحية :

٧٥ — للمسيحية شعائر يجب القيام بها ، لا يصح التخلي عنها ، ويقولون فيها انها فرائض مقدسة وضعها المسيح ، وهي أعمال جليلة تشير الى بركات روحية غير منظورة عندهم ، ومن الشعائر الواجب اعتقادها والعمل بها التعميد والعشاء الرباني .

التعميد والعشاء الرباني :

وقد جاء في انجيل متى عن التعميد : « تقدم يسوع وكلمهم قائلا دمع الى كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس ، وعلموهم جميع ما أوصيكم به » .

وجاء بالنسبة للعشاء الرباني في رسالة بولس لاهل كورنثوس ما نصه : « ان الرب يسوع في الليلة التي اسلم فيها نفسه اخذ خبزا ، وشكر ، مكسر وقال : خذوا وكلوا ، هذا هو جسدى المكسور لاجلكم ، اصنعوا هذا لذكرى » .

كذلك ذكر الكأس أيضا بعد ما تعشوا قائلا : « هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي ، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى ، فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء » .

بهذه النصوص ثبت التعميد ، والعشاء الرباني ، والتعميد يقول فيه صاحب كتاب الأصول والفروع : فريضة مقدسة يشار فيها الغسل بالماء باسم الآب والابن والروح القدس الى تطهير النفس من ادران الخطيئة بدم يسوع المسيح ، وهى ختم عهد النعمة كما كان الختان في الشريعة الموسوية ، والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بايمانهم وطاعتهم للآب والابن والروح القدس كالهم ومعبودهم الوحيد ، ولا يجوز ان يعمدوا الا اذا اعترفوا بايمانهم جهارا امام كنيسة الله « ويقول في العشاء الرباني : « وهو فريضة رسمها المسيح في الليلة التي اسلم فيها الجسد ، ويستعمل في هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر ، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من الخبز ، وقليلًا من الخمر على المثال الذى رسمه المسيح تذكرا لموته ، فالخبز يشير الى جسده المكسور ، والخمر الى دمه المسفوك ، فالؤمنون الذين يشتركون في هذا العشاء يقبلون المسيح بالايمان كالخبز الذى نزل من السماء وكل من يأكل منه لا يجوع ، ولكنهم لا يقبلونه طعاما جسديا بل طعاما روحيا حياة روحية لأجل النمو في النعمة والايمان » ويقول ايضا : « ويشير العشاء الرباني الى مجيء المسيح الثانى ، كما يشير الى موته فيكون تذكرا للماضى والمستقبل » .

من تنظيم الأسرة :

٧٦ — في الاناجيل ورسائل من يمتقدون انهم الرسل في المسيحية ذكر للزواج والطلاق ، ففيها بيان لبعض شريعة الاسرة مختصرة ، وخلاصة ما جاء في كتبهم المعتبرة أن الزواج قد سن للانسان وشرع له ، بل ان الزواج شرعه الله للانسان وهو في جنة عدن ، فخلق لادم من ضلعه حواء ،

لأنه كما في سفر التكوين : « ليس جيدا أن يكون آدم وحده ، فأصبح له
مهيئا نظيرة » .

على أن المسيح في إنجيل متى قد أجاز العزوبة في حال عدم القدرة
الجنسية ، وذلك بدهى .

وجاء في رسالة بولس لاهل كورنثوس أنه تجوز العزوبة إذا استطاع
الرجل أو المرأة أن يضبط نفسه ، ويتوقى الزنى ، فقد جاء في الاصحاح
السادس من هذه الرسالة : « ولكنى أقول لغير المتزوجين ، وللأرامل : أنه
حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إذا لم يضبطوا أنفسهم فيتزوجوا ، لأن
التزوج أصلح من الخرق » .

وشريعة الزواج عندهم لا تحل للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة .
وإن لم يوجد نص في ذلك ، ولا يطلق ، وقد فهموا تحريم الطلاق من إنجيل
متى ، ففي الاصحاح التاسع عشر منه : « قال له تلاميذه : إن كان هكذا أمر
الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج ؟ فقال : ليس الجميع يقبلون هذا
الكلام ، بل الذى أعطى لهم ، ولا يفترق الزوجان الا بالموت ، وبعد موت
أحدهما يحل للحي أن يتزوج غيره » .

وهذا نص ما جاء في رسالة بولس لاهل رومية : « أن الناموس يسود
على الانسان ما دام حيا ، فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس
بالرجل الحى ، ولكن ان مات الرجل ، فقد تحررت من ناموس الرجل ،
فإذا ما دام الرجل تدمى زانية ان صارت لرجل آخر وقبل موت أحدهما
لا يحل لهما الطلاق » .

وهذا نص ما جاء في متى في الاصحاح التاسع عشر منه : « جاء اليه
الفريسيون ليجربوه قائلين : هل يحل للرجل أن يطلق امراته لكل سبب ؟
فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى ؟
وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ، ويلتصق بامراته ، ويكون
الاثنتان جسدا واحدا ، اذ ليس بعد اثنين ، بل جسد واحد ، فالذى جمعه
الله لا يفرقه انسان . قالوا : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق ،
فنتطلق ؟ قال لهم : ان موسى من أجل مساواة قلوبكم اذن لكم أن تطلقوا
نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هذا ، واتسول لكم ان من طلق امراته
الا بسبب الزنى ، ويتزوج بأخرى يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى .

الطلاق إذن لا يجوز ولا يقع ، ولكن استثنيت حالان يجوز فيهما
الافتراق :

الحال الأولى : حال زنى أحد الزوجين ، فلاحر أن يطلب التفريق ،
ويجاب في هذه الحال ان ثبت الزنى .

الثانى : اذا كان أحد الزوجين غير مسيحى فيصبح التفريق عند
تفريقهما وعدم وجود الألفة بينهما ، ولذا جاء فى رسالة بولس الى أهل
كورنثوس : والمرأة التى لها رجل غير مؤمن ، وهو يرتضى أن يسكن معها
فلا تتركه ، لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة ، والمرأة غير المؤمنة
مقدسة فى الرجل ، والا فاولادكم نجسون ، وأما الآن فهم مقدسون ، ولكن
ان فارق غير المؤمن فليفارق .

ولقد أمرت المسيحية فى وصايا رسلهم بأن يحب الرجال نساءهم .
فقد جاء فى إحدى رسائل بولس : « أيها الرجال احبوا نساءكم كما أحب
المسيح أيضا الكنيسة ، وأسلم نفسه لأجلها » وفيها أيضا : « وأما انتم ايها
الأفراد فليحب كل واحد امرأته ، هكذا كنفسه ، وأما المرأة فلتحب رجلها .

شرائع التوراة والمسيحية :

منزلة شرائع التوراة فى المسيحية :

٧٧ — ولقد كان المفهوم من أن المسيحية تعتبر التوراة وأسفار
النبيين السابقين كتباً مقدسة تسميها كتب العهد القديم ، أن تأخذ بكل
الشرائع التى نصت عليها التوراة إلا ما خالفه المسيح بنص قد أثر عنه ،
ويظهر أن المسيحيين استمروا على ذلك نحواً من اثنتين وعشرين سنة
من بعد المسيح ، وهم فى هذا كانوا يسبغون على المنهاج الذى سبغه
والطريق الذى بينه . ولكن التلاميذ اجتمعوا بعد مضي اثنتين وعشرين سنة
من تركه لهم ، وخطب يعقوب فيهم ، مقترحاً عليهم أن يحضروا المحرم
على الأم فى أربعة ، وهى : الزنى ، وأكل الخنزير والدم ، وما ذبح
للأوثان ، وكان ذلك لأنهم وجدوا أن الختان يشق على بعض من يدعوهم
إلى النصرانية فيفرون منها بسببه .

وهذا نص ما جاء فى الإصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال بعد

بيان خلاف التلاميذ بشأن الختان ، واجتماعهم لاجل الفصل في شأنه حينئذ رأى الرسل والمشايع ان يختاروا رجلين منهم ، فمسلوهما الى انطاكية مع بولس وبرنابا ، وهما يهوذا الملقب برسابا ، وسيلا ، رجلين متقدمين في الاخوة ، وكتبوا بأيديهم هكذا : الرسل والمشايع يهدون سلاما الى الاخوة الذين هم من الأمم في انطاكية وسورية وكيليكية ، اذ قد سمعنا ان اناسا خارجين من عندنا ازعجسوكم بأقوال مقلبين أنفسكم ، وقائلين ان تختننوا وتحفظوا الناموس ، من الذين نحن لم نأمرهم . وقد صرنا بنفس واحدة ان نختار رجلين ، ونرسلهما اليكم مع حبيبنا برنابا ، وبولس ، رجلين قد بذلا أنفسهما لاجل اسم ربنا يسوع المسيح ، فقد أرسلنا يهوذا وسيلا ، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهيا ، لأنه قد رأى الروح القدس ، ونحن — الا نضع عليكم ثقلا أكثر ، غير هذه الأشياء الواجبة ان تمتنعوا عما ذبح للأصنام ، وعن الدم ، والمخنوق ، والزنى التي ان حفظتم أنفسكم منها ، فنعما تفعلون ، كونوا معافين .

في هذا الخطاب يتبين ان المشايخ والتلاميذ يحلون للناس كل ما حرمة الناموس ، أى التوراة وكتب النبيين السابقين ، ولا يجعلون محرما عليهم الا أربعة أمور ، والامتناع عنها هو الأمر الواجب فقط . وبذلك حل لهم كل شيء حرمة التوراة ، حل لهم الخمر والخنزير ، وكل ما كانت التوراة وشرائع النبيين قد حرمة . وبأى شيء أعطى هؤلاء القدرة على التحليل والتحرير ؟ قد قالوا ان ذلك بالهام من روح القدس وتجليه .

وقد ذكر صاحب سفر الأعمال عن لسان بطرس ، انه قال في افتتاح ذلك الاجتماع الذى أصدر ذلك القرار ما نصه : « أيها الرجال الاخوة انتم تعلمون انه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا انه بمضى يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون . والله العارف للقلوب شهد لهم معطيا لهم روح القدس ، كما لنا أيضا ، ولم يميز بيننا وبينهم بشيء ، اذ ظهر بالإيمان قلوبهم ، فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن ان نعمله ولكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن ان نخلص ، كما أولئك أيضا» .

فمن هذا النص يستفاد ان الذى سوغ لهؤلاء ان ينصرفوا جهوريا عما كانوا عليه ، وعما تركهم المسيح عليه ، هو أنهم ينزل عليهم الروح القدس ، كما كان ينزل على النبيين والصديقين ، وذلك في اعتقاد كتاب المسيحية . وقد بينا حقيقة ذلك في موضعه من كلامنا عن الكتب .

تحليل لحم الخنزير مع تحريمه في التوراة :

ولقد أكلوا فيما أكلوا من محرمات التوراة لحم الخنزير وكان المعروف أنه حرام في النصرانية التي تأخذ بكتب العهد القديم ، وعلى رأسها التوراة .

ويروى ابن البطريق في هذا المقام أن اليهود لما دخلوا في النصرانية بسبب اضطهاد قسطنطين لهم بعد تنصره تشكك النصارى في إيمانهم ، فأشار بطريرك القسطنطينية على قسطنطين أن يخبرهم بحملهم على أكل لحم الخنزير وقال له : « ان الخنزير في التوراة حرام ، واليهود لا يأكلونه ، فتأمر أن تذبح الخنازير ، وتطبخ لحومها ويطعمون منها هذه الطائفة ، فمن لم يأكل علمت أنه مقيم على اليهودية » عندئذ آمن قسطنطين بتحريم الخنزير ، اذ نصت على التحريم التوراة المقدسة في نظر النصارى ، كما هي مقدسة في نظر اليهود ، وقال : « ان الخنزير في التوراة محرم فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه ، ونطعمه للناس » ولكن البطريق ما زال به حتى حمله على الاعتقاد بأنه حلال ، فقد قال له : « ان سيدنا المسيح قد أبطل سائر ما في التوراة ، وجاء بتوراة جديدة هي الانجيل ، وقال في انجيله المقدس ان كل ما يدخل الفم ليس ينجس الانسان ، انما ينجس الانسان كل ما يخرج من فيه » يعنى السفه والكفر ، وغير ذلك مما يجرى مجراه . ويقص قصة عن بولس رسولهم بأن بطرس رأى رؤيا تفيد التحليل ، وبذلك يحللون الخنزير .

الجامع المسيحية

تاريخها - واسبابها - وقراراتها

٧٨ - قد شرحنا فيما اسلفنا من القول العقائد المسيحية ، كما هي في كتبهم ولم نتجه الى الآن لدراستها دراسة نقدية لاننا نجدهم يجتهدون في تصويرها ويشعرون بعظم المشقة في ذلك ، حتى اذا يشعروا قالوا انها فوق العقل ، وان العقل لا يستطيع تصويرها تصويرا كاملا ، وانها ستجلى يوم القيامة ، ولذلك نجد من الظلم لانفسنا ان نناقشها ، لان العقل لا يستطيعها باعترافهم فكيف نناقشها ؟ وهم يلغنون الصبية بأن يجتهدوا في تصويرها وتصديقها ، لا في البرهنة لها واثباتها ، ولذلك نترك الآن مناقشتها بالعقل ، ونحيل القارئ الكريم على ما كتب الذين ناقشوها من فطاحل العلماء ، ونخص بالاشارة كتاب اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ، وكتاب الفارق فيما بين المخلوق والخالق ، والقول الصحيح لابن هبيرة ، بلل الله ثراهم ، فان هؤلاء لم يتركوا مقالا لقائل .

ويهمنا الآن في بحثنا التاريخي ان نبين الادوار التي مرت عليها هذه العقيدة ، فانه من المقرر في تاريخ المسيحية بالبداية ان التثليث بالشكل الذي يعتقده جماهير المسيحيين ، او الكثرة الغالبة فيهم ، لم يعلن للناس دفعة واحدة ، بل في ازمان متفاوتة مختلفة ، وكان باعلان الجامع التي كانت تعقد من الاساقفة ، وفيها يقرر المجمع رايها معينا ، ولا يهمل ما كانت تقرره تلك المجمع الا ما يتعلق بالعقيدة وان كنا سنعرض احيانا لما كان يجيء في ثانيا قراراتها من بعض النظم .

كيف وجدت فكرة جمع المجمع :

والجامع في المسيحية هي كما يقول علماءهم جماعات ثسبورية في المسيحية ، قد رسم رسلهم نظامها في حياتهم . حيث عقدوا المجمع بأورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة ، وقرر ذلك المجمع ، كما علمت قريبا ، عدم التمسك بمسألة الختان ، بل زاد فقرر عدم التمسك بشرائع التوراة ، وما وليها من سائر أسفار العهد القديم المقدس عندهم .

فيما يتعلق بالتحريم ، الا تحريم الزنى ، واكل الخنوق ، واكل الدم واكل ذبائح الاوثان ، فقد قالوا أن التلاميذ والمشايع بهذا الجمع الذى بينه سفر الأعمال فى اصحابه الخامس عشر قد سنوا للمسيحيين سنة جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشرعية .

المجامع العامة والمجامع الخاصة :

والمجامع عندهم قسمان : مجامع عامة او على حد تعبيرهم مجامع مسكونية ، أى تجمع رجال الكنائس المسيحية فى كل انحاء المعمورة ، والمجامع المكانية وهى التى تعقدها كنائس مذهب او أمة فى دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها ، أما لاقرار عقيدة ، او لرفض عقائد أخرى .

ويقسم المجامع صاحب كتاب سوسنة سليمان الى ثلاثة أقسام فيقول : « وهذه المجامع تنقسم بالنظر الى عدد أربابها ودرجاتهم وشوكتهم الى ثلاثة أقسام وهى : مجامع عامة ، ويقال لها مسكونية ، ومجامع محلية ، أى خاصة بطائفة دون غيرها ، ومجامع اقليمية ، أى خاصة بأقليم مخصوص . لكن مقاصد كلامنا لا تحتاج الا الى ذكر المجامع التى تعتبر عامة ، سواء صادق عليها الجميع أو أنكرها بعضهم على بعض ، لما فى ذلك من معرفة النتائج التى تولدت عنها » .

هذا كلام صاحب ذلك الكتاب المسيحى ، وإذا كان هو لا يعنى فى تاريخ ديانته الا بالمجامع العامة ، فنحن كذلك لا نعنى الا بها ، وقد أحصى المجامع العامة من القرون الأولى للمسيحية إلى سنة ١٨٦٩ فكانت عدتها عشرين مجعاً ، وقد ذكرها جميعاً بالأجمال ، وذكر قراراتها بالإشارة وسنحذو خذوه فى بعضها ، وسنترك الأجيال الى بعض التفصيل فى بعضها الآخر ، وخصوصاً فى المجامع التى كانت فى القرون الأولى للمسيحية لأنها هى التى حددت للأخلاق حدود العقيدة المسيحية فى نظر مقربها ، وهى التى رسمت المسوح والتقاليد الكنسية القائمة فى الكنائس ، أو بعضها الكثير الى الآن ، وهى التى فلحت الأرض لتبذر بذور هذه المسيحية التى سادت أفكار المسيحيين فى الأجيال من بعد .

ونبدأ بأعظم هذه المجامع ، وأبعدها أثراً ، وأكبرها شأنًا ، وأولها وجوداً وأعظمها ذكراً وهو مجمع نيقية .

سبب انعقاده العام الاختلاف بينهم في شخص المسيح :

٧٩ - اشتد الاختلاف بين الطوائف المسيحية الاولى ، وتباعدت مسافات الخلف تباعدا شديدا ، لا يمكن ان يكون معه وفاق ، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح ، اهو رسول من عند الله فقط ، من غير ان تكون له منزلة أكثر من له شرف السفارة بين الله وخلقه ، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول ، فهو من الله بمنزلة الابن ، لانه خلق من غير أب ، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله ، لانه هو كلمته ، ومن قائل انه ابن الله ، له صفة القدم ، كما لله تلك الصفة ، وهكذا تباينت نظهم ، واختلفت ، وكل يزعم ان نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح عليه السلام ، ودعا اليها تلاميذه من بعده ، ويظهر ان ذلك الاختلاف ، وتلك النحل المتباينة المتضاربة المتنازعة ، وقد ظهرت بعد ان دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الرومان ، واليونان ، والمصريين ، فتكون في المسيحية مزيج غير تام التكوين ، غير تام الاتحاد والامتزاج ، وكل قد بقى عنده عن عقائده الاولى ما اثر في تفكيره في دينه الجديد ، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم من غير ان يشعر او يريد .

وممن دخل في ذلك الدين فلاسفة لهم آراء فلسفية أرادوا ان يفهموا ما اعتنقوه جديدا على ضوءها ، وعلى مقتضى منطقها وتفكيرها .

ولقد كانت تلك الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات الرومانية ، لانهم شغلوا بدفع الأذى ، ورد البلاء واستقبال المحن والكوارث ، وكتبوا يستسرون بدينهم ولا يظهرونها ، ويخفون عقائدهم ، ولا يعلنونها ، حتى اذا رزقوا الأمان ، ونزلت عليهم سحائب الاطمئنان ظهرت الخلافات الكامنة ، واذا هم لم يكونوا متفقين الا في التعلق باسم المسيح ، والاستمسك بالانتساب اليه ، من غير ان يتفقوا على شيء في حقيقته ، ولذا لما منحهم قسطنطين عطفه ، واعتزم الدخول في النصرانية ، ووجد هذا الاختلاف الشديد ، أمر بمجمع نيقية .

الاختلاف الخاص الذى انعقد المجمع بعده :

٨. — هذا هو السبب فى عقد مجمع نيقية بشكل عام ، لكن له سبب خاصا يتعلق بنوع من هذه الخلافات ، وهى ما يسمونه فى تاريخهم بدعة أريوس ، كان هذا الرجل فى مصر داعية قوى الدعاية ، جريئا فيها ، واسع الحيلة ، بالغ الأدب ، قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما تبته بين المسيحيين من الوهية المسيح وتدعو اليه ، فقام هو محاربا ذلك ، مقرا بوحدانية المعبود ، منكرا ما جاء فى الأنجيل مما يوهم تلك الألوهية .

كلام أريوس :

وقد قال فى بيان مقالته ابن البطريق : « كان يقول ان الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب اذ لم يكن الابن » .

ولم يكن بدعا فى القول بهذه الفكرة بين المسيحيين ، بل انها كانت معروضة مذكورة مشهورة من قبله ، كما يقول المسيحيون أنفسهم .

ولقد جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ما نصه : « الذنب ليس على أريوس بل على ثنات أخرى سبقته فى إيجاد هذه البدع . فآخذ هو عنها . ولكن تأثير تلك الثنات لم يكن شديدا كما كان تأثير أريوس الذى جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية ، حتى انتشر هذا التعليم وعم » .

انتشار رأى أريوس وطرق محاربته :

ولقد كان لرأى أريوس فى اعتبار المسيح مخلوقا لله مشاييمون كثيرون . فقد كانت الكنيسة فى أسبوط على هذا الرأى ، وعلى رأسها ميليتوس ، وكان أنصاره فى الاسكندرية نفسها كثيرين من حيث العدد ، أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون ، كما كان لهذا الرأى مشاييمون فى فلسطين ومقدونية ، والقسطنطينية .

وقد أراد بطريرك الاسكندرية أن يقضى على هذه الفكرة ، فلم يعمد الى المناقشة والجدل ، حتى لا يتسع الخرق على الراقع ، وحتى لا يلحن بالحجة عليه أريوس ، ولكنه عمدا الى لعمنه وطرده من حظيرة الكنيسة .

ويبنى ذلك على انه رأى المسيح يثبرا من أريوس ويلعنه ، نفى من الكنيسة مرتين لهذا الرأى ، وبحجة تلك الرؤى المناهضة ، ومن أمثلتهم قول

البطريك بطرس الذى امر بنفيه : « أن السيد المسيح لعن أريوس هذا فاحذروه ، فانى رايت المسيح فى النوم مشقوق الثوب ، ففتبت له يا سيدى من شق ثوبك ؟ فقال لى : أريوس ، فاحذروا أن تدخلوه معكم . » .

ولم يجد النفى وعلان الرؤى والأحلام فى القضاء على رأى أريوس وجمع الناس حول قوة الكنيسة ، حتى اذا ولى امر الكنيسة البطريك الاسكندر اخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر ، فكتب الى أريوس وزعماء هذا الراى يدعوهم الى رأى كنيسة الاسكندرية ، ولكن محاولته لم تجد ايضا ، فعقد مجعها فى كنيسته بالاسكندرية وحكم على أريوس بالحرمان منها فلم يخضع لهذا ولم يخنع ، وغادر الاسكندرية الى فلسطين .

وقد كان مذهب عدم الوهية المسيح ذائعا منتشرا ، وكان أسقف مقدونية على مذهب أريوس ايضا ، ويعط على أساسه ، وفى الحق اننا نجد أن أسقف مقدونية وأسقف فلسطين ، وكنيسة اسقوط ، كل أولئك على زأى أريوس ، وكنيسة الاسكندرية وحدها هى التى تحاربه ، فالخلاف محصور اذن بين أريوس ، ومعه اسقوط وفلسطين ، ومقدونية وبوين بطريك الاسكندرية .

تدخل قسطنطين وجمع مجمع نيقيا :

٨١ — وقد تدخل قسطنطين امبراطور الرومان فى الامر ، فأرسل كتابا الى أريوس والاسكندر يدعوها الى الوفاق ، ثم جمع بينهما ، ولكنهما لم يتفقا ، فجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥ .

ويقول ابن البطريق المسيحى فى وصف المجتمعين وعددهم ما نصه : « بعث الملك قسطنطين الى جميع البلدان ، فجمع البطارقة والأساقفة ، فاجتمع فى مدينة نيقية ثمانية وأربعون ألفا من الاساقفة . وكانوا مختلفين فى الآراء والأديان ، فمنهم من كان يقول أن المسيح واه الهان من دون الله ، وهم البربرانية ، ويسمون المريميين ، ومنهم من كان يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية منها ، وهى مقالة سابليوس وشيخته ، ومنهم من كان يقول : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وانما مر فى بطنها كما يمر الماء فى الميزاب ، لأن الكلمة دخلت فى اذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها ، وهى مقالة البيان واشياعه . »

ومنهم من كان يقول أن المسيح انسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وإن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى صحبته النعمة الالهية ، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله ، ويقولون : الله جوهر قديم واحد ، واقتنوم واحد ، ويسبونه بثلاثة أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس ، وهى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية وأشياعه ، وهم البوليقيانيون .

ومنهم من كان يقول انهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما ، وهى مقالة مرقيون اللعين وأصحابه ، وزعموا أن مرقيون رئيس الحواريين ، وأنكروا بطرس ، ومنهم من كان يقول بالوهمية المسيح وهى مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا « أ . ه . المراد منه .

موقف قسطنطين من المناظرين :

اجتمع أولئك المختلفون ، وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من ممثليها ، فعجب أشد العجب مما رأى وسمع ، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من ، وأخلى دارا للمناظرة ، ولكنه جنح أخيرا الى رأى بولس ، وعقد مجلسا خاصا للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأى وكانت عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة .

انحيازة لرأى مؤلهى المسيح مع انهم ليسوا الكثرة :

ويقول فى ذلك ابن البطريق : « وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا عظيما ، وجلس فى وسطهم وأخذ خاتمه ، وسيفه ، وقضيبه . فدفعه اليهم وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على مملكتى ، لتصنعوا ما ينبغى لكم أن تصنعوا مما فيه توام الدين ، وصلاح المؤمنين ، فباركوا الملك ، وقتلوه سيفه ، وقالوا له : أظهر دين النصرانية ، وذبح عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به ، ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به » .

العقيدة التى فرضها المجمع :

وضع هذا المجمع المحدود من الأساقفة قرارات فى العقيدة والشرائع ، ليقيدوا بها المسيحيين ، ولا يهتبا الا بيان العقيدة التى قررها المجمع وفرضها على المسيحيين .

وقد ذكرها صاحب كتاب تاريخ الامة القبطية ، فقال عنها ما نصه :
« ان الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه ، وانه لم يوجد قبل ان يولد ، وانه وجد من لا شيء . او من يقول ان الابن وجد من مادة او جوهر غير الله الاب ، وكل من يؤمن انه خلق ، او من يقول انه قابل للتغيير ، ويعتريه ظل دوران » .

قراراته تؤيد برهبة السلطان :

٨٢ — اذن قرر المجمع الوهية المسيح ، وانه من جوهر الله ، وانه تقديم مقدمه ، وانه لا يعتريه تغيير ولا تحول ، وفرضت تلك العقيدة على المسيحيين قاطبة مؤيدة سلطان قسطنطين ، لاعتنة كل من يقول غير ذلك والذين فرضوا هذا القول ٣١٨ اسقفا ، ويخالفهم في ذلك نحو سبعمائة والاف اسقف ، وان لم يكونوا متفقين فيما بينهم على نحلة واحدة ، فهل ذلك المجمع لم يخل من نقد ؟ ان باب النقد فيه متسع .

النقد الموجه الى المجمع :

(١) واول ما يلاحظه الناقد ان الذين دعوا اليه ، وجابوا الامصار ووصلوا الى نيقية بدعوة من قسطنطين ، وبتفاهم البطارقة فيما بينهم بلغوا ثمانية واربعين والفين من الاساقفة ، ولكننا نجد العدد ينزل الى ثمانية عشر وثلثمائة اسقف ، فما هي آراء الباقين ؟ ولماذا اهملت كل هذا الاهمال ؟ اكانوا جميعا مختلفين في النحل والآراء ، حتى ان نحلة لم يصل عددها الى ٣١٨ ، فلما تعذر الاخذ بالكثرة المطلقة التي يزيد عددها على النصف ، ولو واحدا ، اتجهوا الى الاخذ بالكثرة النسبية ، وهو اعتناق الراى الذى يأخذ به اكبر عدد فى الاصوات وان لم يصل النصف او يقاربه ؟ ان المروى غير ذلك ، لأن ابن البطريق يقول : ان قسطنطين هو الذى اختار أن يعقد أولئك الاساقفة الذين يبلغون ٣١٨ مجلسا خاصا بهم ، وحضر هو المجلس ، واعطاهم شارة الملك والسلطان لانهم افلجوا على اخوانهم فى زعم ابن البطريق المسيحى التثليثى ، ولأن الرواة يقولون ان اريوس لما اجتمع بهم والتقى بدعوته ونحلته اليهم انضم الى آرائه اكثر من سبعمائة اسقف ، وذلك العدد هو اكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة ، فلو كانت النصرة بالكثرة النسبية ، لكان الواجب اذن ان يكون للغلب لاريوس الذى

اجتج بما تحت أيديهم من أنجيل ، فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على
الوهية المسيح قرر تحريفها .

الترغبة والرهبة من السلطان لهما دخل في القرارات :

ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأى
الذين رأوا الوهية المسيح ، فلقد يروى أن أولئك الـ ٣١٨ لم يكونوا
مجمعين على القول بالوهية المسيح ، ولكن تحت سلطان الاغراء بالسلطة
الذى قام به قسطنطين بدفعه اليهم شارة ملكه ليتحكموا في المملكة اجمعوا .
مقد دفعهم حب السلطان الى أن يوافقوا هوى قسطنطين الذى ظهر في
مقده مجلسا خاصا بهم دون الباقين ، لاعتقاده امكان اغرائهم . فامضى
أولئك ذلك القرار تحت سلطان الترهيب أو الترغيب ، أو هما معا . وبذلك
قرروا الوهية المسيح ، وقسروا الناس عليه بقوة السيف ، ورهبة الحكام .

المجمع فرض لنفسه سلطانا كهنوتيا على الناس :

(ب) ان المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى على الناس
أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين ، وقرر أن تعاليم الدين
لا يتلقونها من كتب المسيحية راسا ، بل لا بد من تلقاها من أفواه العلماء
ورجال الكهنوت ، وان أقوالهم في ذاتها حجة ، سواء أخالفت النصوص
أم وافقت ، وسواء أكانت الصواب ، أم جافت الحق ، وان ذلك كان له
ما بعده في المسيحية . وهو مخالف كل المخالفة لما جاء في تعاليم المسيح
المنصوص عليها ، حتى كتبهم التى يقرعونها ويعترفون بها ، فقد جاء في
الإصحاح العشرين من أنجيل متى ما نصه : « رؤساء الأمم يسودونهم ،
والعظماء يسلطون عليهم ، فلا يكن فيكم هذا » ولكن العلماء تسلطوا على
أخوانهم المسيحيين لما أعطاهم قسطنطين خاتمه وسيفه وقضييه ، وبذلك
خالفوا المسيح عليه السلام ليطيعوا قسطنطين .

أمره بتحريق ما يخالفه :

(ج) ان المجمع أمر بتحريق الكتب التى تخالف رأيه ، وتتبعها في كل
مكان ، وحث الناس على تحريم قراءتها ، فهو بهذا يمنع أن يصل الى الناس
علم بأى أمر من الأمور التى تخالف رأيه ، وهو بهذا يحاول التحكم في
القلوب ، والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ما وافق رأيه ، ومنعها

منعاً باننا جازماً من أن تقرا غيره ، ويسد عليها منافذ النور للاهتمام الى ما يخالفه ، ولعل المجمع مخطيء في ذلك التحريم ، وآثم في ذلك التحريف . بل ان المجمع العابة من بعد قد خطاته ، فأعادت الى حظيرة التقديس كتباً حرماً ، وأخرجت من البلى كتباً حرفها ، قد حرم كتباً من العهد القديم ، ولم يعترف بها فاعترفت بها المجمع المسيحية من بعده ، وحرّم من كتب النصرى المعتبرة الآن : رسالة بولس الى العبرانيين ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا ، ولكن المجمع من بعد أقرتها ، وأجمعت عليها .

أذن لم يكن المجمع مصيباً من كل الوجوه ، وان أخطأ في معرفة الصحيح من الكتب ، فأراؤه الأخرى أكثر عرضة للخطأ وأكثر استهدافاً للنقد ، لعل أشدها صلة بالباطل ، وأقربها به رحماً ، وأدناه اليه هو ما يتعلق بالعقيدة .

قسطنطين يتدخل ذلك التدخل وهو لم ينتصر :

(د) بقى أمر لنشر اليه إشارة خفيفة ، وهو مقام قسطنطين في المسيحية عند انعتاد ذلك المجمع ، اكان مسيحياً عاناً بالمسيحية في ذلك الابان ، حتى ساع له أن يحكم لبعض المجتمعين ، وان لم يكونوا الكثرة على اى اعتبار كانت الكثرة ، أكثر مطلقة أم كثرة نسبية ؟ .

يقول المؤرخ أبوسيبيوس الذى تقدس كلامه الكنيسة ، وتسميه سلطان المؤرخين : « أن قسطنطين عمد حين كان أسير الفرائس ، وان الذى عمده هو ذلك المؤرخ نفسه ، وقد كان له صديقاً » .

والتعميد اعلان دخول المسيحية ، اذن فقسطنطين ما كان مسيحياً في ابان انعتاد ذلك المجمع ، وما كان من حقه أن يحكم بفلج هؤلاء ، ويسوغ لنا أن نقول انه كان له في هذا أرب خاص ، وهو تقريبها من وثنيته ، أو على الأقل عندما رجح رأى فريق على فريق كان يرجح ما هو أقرب الى وثنيته ، وأدنى الى ما يعرفه من عقيدة ، فلم تكن الحجة القوية في جانب ترجيحه على هذا الاعتبار ، أو كان متهماً في ترجيحه بناء على الاعتبار الاول ، وسواء اكان هذا أم ذلك ، فهو قد رجح ما هو أقرب الى الوثنية لوثنيته .

نلقى المسيحيين لقرارات المجمع :

٨٣ — ولكن هل أمات ذلك الراى الوجدانية التى كان يجاهر بها أريوس ، وهل قضى ذلك المجمع القضاء المبرم عليها ؟ انه لو فرض أبعد الفروض عن الحق ، وكانت كثرة المجمع العلم على غير رأى أريوس ما انتصروا عليه ولا قضوا على ما يدعو اليه لأن الآراء لا تنتصر بكثرة العدد بل بقوة الدليل وقوة تصور العقيدة ، وقوة الاقتناع بها ، وسهولة دخولها الى العقل ، واستساغته لها ، ولذلك لم يقض المجمع على فكرة الوجدانية . بل ربما كانت المحاولة للقضاء عليها سببا فى شدة الاستمساك بها ، والمبالغة فى المحافظة عليها مما يراد بها .

ولذلك أخذ البطارقة الذين لعنوا لاعنتاتها يعملون الحيلة للاحتفاظ بها وحياطتها ، واتخذوا الخديعة سبيلا لذلك . فتقربوا من قسطنطين وأظهروا له الاقتلاع عما كانوا عليه ليعودوا الى ما كان لهم من مناصب . ويستطيعوا مناصرة فكرتهم . ولينالوا ثقة قسطنطين . ومن طريق هذه الثقة ينفذون الى نفسه . ويقنعونه هو بالتوحيد . ليستطيع أن يخدمه بسلطانه وقوته . كما خدم ألوهية المسيح ، أو على الأقل ليقتف موقف الحياد ويترك الآراء تسير فى مجراها الطبيعى . ولنقص عليك محاولة من محاولات الموحدين .

مجمع صور يرفض بالإجماع قرار مجمع نيقية :

يذكر ابن البطريق أن أوسابيوس أسقف نيقوميدية كان موحدا من مناصرى أريوس فى المجمع العلم قبل أن تبعده عنه فكرته . ولعن من أجل هذا وأراد أن يتقرب من قسطنطين « فإظهر أنه وافق على قرار الثمانية عشر والثلاثمائة فأزال عنه اللعنة قسطنطين . وجعله بطريك القسطنطينية ، فما أن ولى هذه الولاية حتى صار يعمل للوجدانية فى الخفاء فلما اجتمع المجمع الاثليمى فى صور حضره هو وبطريك الاسكندرية الذى كان يمثل فكرة ألوهية المسيح ويدعو اليها ، وينفرد من بين البطارقة فى المبالغة فى الدعوة اليها ، والحث عليها ، ولعن كل من يقاومها .

وانتهز أوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع وأثار مقالة أريوس ، ورأيه فى المسيح وانكار ألوهيته . وكان فى ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المستمسكين به ، إذ لم يحتاطوا بإبعادهم ، كما فعلوا فى المجمع العلم (م ٩ — محاضرات فى النصرانية)

بنيقية . واشتد النقاش بين رئيس كنيسة الاسكندرية ، وبين المجتمعين ، ولم يكتفوا بالنقاش القولى بل امتدت الأيدي الى بطريرك الاسكندرية وعمدت الى راسه لاختراجه الوثنية منها ، فضربوه حتى ادموه ، وكادوا ان يقتلوه ، ولم يخلصه من ايديهم الا ابن اخت الملك الذى كان حاضرا . فلذلك الاجتماع ، ولكن لما بلغ ذلك قسطنطين كرمه .

ما يستنبط من هذا :

وما سقنا فلك القصص لرضانا عن تأييد الراى بالعصا وجمع اليد ، ولكن سقناه ليتبين منه القارىء مقدار حماسة الموحدين من اهل المسيحية الاولى لعقيدة التوحيد ، وانهم فى تلك الحماسة لا يأبهون بشيء ، ولا يهمهم اغضاب ذوى السلطان أو ارضائهم ، وسقناه لتعلم ان الموحدين كما يظهر من رواية الكتب المسيحية ، وكما يستنبط كانوا الكثرة الغالبة فى المسيحيين ، ففى مجمع نيقية كانوا الكثرة ، وفى مجمع صور الخاص كانوا الجميع ما عدا رئيس كنيسة الاسكندرية . واذا كانوا الكثرة فى المؤتمرات خاصة وعامة ، فلا بد ان يكونوا الكثرة فى جمهور المسيحيين .

واذن تكون فكرة الوهية المسيح هي العارضة والاصل هو التوحيد . كما يستنبط القارىء من المصادر المسيحية نفسها . ويستفاد لتعلم ان قسطنطين كان يشجع دائما المخالفين للتوحيد . وان كان لا يظهر السخط على غيرهم احيانا . وسقناه لتعلم ان مجمع صور كان يخالف كل المخالفة بجميع الثمانية عشر والثلاثمائة . واخيرا سقناه لتعلم ان موطن الدعاية اللاهوتية المسيح كانت كنيسة الاسكندرية وحدها ، فهى التى جارت اديوس . وهى التى لعنته مرتين ، ورئيسها هو الذى يخالف فى صور ، وبنال عقاب المخالفة جزاء وفلما .

فهل لنا ان نقول ان التثليث الذى اشتملت عليه فلسفة الاسكندرية كان يعن على السنة بطاركتها . وانهم كانوا يمثلون تلك الفلسفة بأرائهم أكثر من تمثيلهم لمسيحية المسيح عليه السلام ؟ ان ذلك هو مفتاح التاريخ الصحيح فمن اراد ان يعرف كيف حالت المسيحية من توحيد الى تأليه للمسيح ، فليستعن به .

نشاط الموحدين :

٨٤ — ولم ين الموحدون عن اعلان الاستمسك بعقيدتهم ، وتخطئة

الذين أعلنوا الوهية المسيح ، ومعهم في ذلك الكثرة العظمى من المسيحيين ، كما يدل على ذلك ما سننقله من تاريخ ابن البطريق ، فلقد حاولوا أن يجذبوا قسطنطين ابن قسطنطين إلى رأيهم بعد أن مات أبوه ، فاجتمعوا به . وحسنوا رأي الموحدين له ، وبينوا له أنه صميم المسيحية ، ولن الأساقفة الذين ناقضوه خالفوا وجه الحق ، ولم يكونوا آخذين بتعاليم السيد المسيح التي بشر بها بين الأنعام ، ولكنه لم يعمل على نصرتهم ، ولم يعاونهم في دعايتهم ، مع أن أكثر المسيحيين في ذلك العصر كانوا موحدين . يقول ابن البطريق : « في ذلك العصر غلبت مقالة أريوس على القسطنطينية ، وانطاكية وبابل ، والاسكندرية » . واسيوط قد علمت أن كنيستها كانت موحدة .

ويقول في بيان حال الاسكندرية ومصر بعد الاجمال السابق « فلما أهل مصر والاسكندرية فكان أكثرهم أريوسيين ، فغلبوا على كنائس مصر والاسكندرية وأخذوها ، ووثبوا على اثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه ، فهرب منهم واختفى » .

وقد كان على كثير من الكنائس رؤساء موحدون يستمسكون بالتوحيد ويحثون على الاستمسك به ، وكلما ولى أسقف غير موحد ثاروا به ، وهوا بقتله ، وهذا ابن البطريق يقص علينا أن بطريق بيت المقدس لم يكن موحدا فيثور عليه الموحدون ، ويهمون بقتله فيهرب منهم ، فيقول في ذلك « وثب أهل بيت المقدس ، من كان منهم أريوسيا على كورلس أسقف بيت المقدس ليقتلوه » فهرب منهم ، فصبروا أراقليدوس أسقفا على بيت المقدس ، ولكن أريوسيا » .

وهكذا نجد مغالبة قوية بين التوحيد والوهية المسيح ، الأولى تغلب بالكثرة وقوة الايمان ، وسعة الحيلة ، والثانية بقوة السلطان ، وبقايا الوثنية والذين كانوا متأثرين بها ، ووجدوا مواءمة بينها وبين ما يالفون ، فابتغوها لقربها مما ألفوا وغرفوا . وامكنته التقاليد من نفوسهم . ولكن قوة السلطان طمست نور المذهب الاول . اذ انها احتاطت فجعلت كل الأساقفة ممن لم يكونوا موحدين . واحتاطت أيضا الاحتياط في ذلك ، واخذ أولئك يسيطرون على قلوب العامة بالرؤى والأحلام والهوامت يزعمونها ، حتى اختفى المذهب الحق في لجة التاريخ ، ولم يبد على السطح الا الوهية المسيح .

٢ - المجمع القسطنطينى الأول سنة ٣٨١

سبب انعقاده :

٨٥ - تقرر فى مجمع نيقية أن المسيح اله ، وأنه ابن الآب وأنه جوهر قديم من جوهر الآب ، ولم يتعرض للروح القدس أهو اله أم روح مخلوق ، وليس باله . ولم يكن مجمع نيقية قد أصدر قرارا فى هذا الأمر ، لذلك ظهرت أفكار بين المسيحيين لا تعترف له بالوهيته ، ويظهر أن الاسكندرية التى كانت مهدا للأفلاطونية الحديثة التى تقول بالثلاث وأن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه ، قوة المكون الأول ، والعقل (الابن) والنفس العامة (الروح القدس) - تريد أن تفرض ذلك فرضة على المسيحيين ، كما كانت العامل القوى فى إعلان الوهية المسيح .

عدد المجمع والظعن فى كونه عاما :

أخذ يجاهر رجل اسمه مقدونيوس بأن الروح القدس ليس باله ، ولكنه مخلوق مصنوع ، وشاعت مقالته بين الناس ، ولم يجدوا فيها نكرا ولا أمرا لا يقره العقل أو تأباه المسيحية . فاجتمع الى الملك ذوو الأمر من وزرائه وقواده ، وبلغوه أن العلامة قد فسدوا ، فهم ما زالوا متأثرين بوحداية أريوس ، واعتنقوا مذهب مقدونيوس فى أن الروح القدس ليس باله قديم ، بل هو مخلوق مصنوع ، وحرصوه على أن يجمع جمعا من الأساقفة يثبتون عقيدة المجمع النيقوى ويدحضون قول مقدونيوس . فاجتمع فى القسطنطينية خمسون ومائة أسقف وكان المقدم فيها بطريرك الاسكندرية ، ويظهر أن ذلك العدد لم يكن ممثلا لكل الكنائس . ولكل الأقاليم ، ولذلك كان اعتباره مجمعا عاما من الأمور التى ثارت حولها الأهمال .

فيقول فى ذلك صاحب كتاب سوسنة سليمان : « قال الرهبان البنديكتيون أن المجمع الذى لم يكن أربابه الا مائة وخمسين أسقفا لا ينظم فى سلك الجامعات المسكونية الا بعد أن تقره جميع الكنائس » .

بطريرك الاسكندرية هو الذى يقرر الوهية روح القدس :

اجتمع هذا المجمع فى القسطنطينية ، وتذاكر المجتمعون يمين هو
أولى بالرياسة فقرر رأيهم على أن تكون الرياسة لأسقف القسطنطينية ،
وبذلك نحى عنها رئيس كنيسة الاسكندرية . وكان لذلك اثره فى نفوس
تابعى تلك الكنيسة كما جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية . ولكن مع أبعاد
مثل كنيسة الاسكندرية عن مكان الرياسة ، وموضع الزعامة الذى كان
يُسلفه فى مجمع نيقية كان هو المتقدم فى المناقشة ، وتقرير الرأى الذى اجمع
عليه المؤتمر بعد ذلك ، وهذا ما نقله ابن البطريق عنه بنصه : (قال
ثيموثاوس بطريق الاسكندرية : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح
الله ، وليس روح الله شيئاً غير حياته . فإذا قلنا ان روح القدس مخلوق ،
فقد قلنا ان حياته مخلوقة وإذا قلنا ان حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير
حى ، وإذا زعمنا أنه غير حى فقد كفرنا به ، ومن كفر به وجب عليه
اللعن) .

قرار المجمع يوافق رأى بطريرك الاسكندرية :

واتفقوا على لعن مقدونيوس ، فلعنوه هو وأشياعه ، ولعنوا
البطارقة الذين يكونون بعده ، ويقولون بمقائته ، الذين كان للاسكندرية
فضل الصدارة فى القول ، والقيادة فى الرأى العام ، وان لم تكن لها
الرياسة .

نظرة فاحصة :

ونريد أن نستطرد استطرادة صغيرة عاجلة ، وهى أن ننظر فى تلك
السلسلة الفكرية التى ساقها فى شكل دليل شرطى كثرت مقدماته وكثرت
تالياته ، وان نظرة سريعة فاحصة الى الأساس الذى شابت عليه السلسلة
تريثنا أنه جعل روح القدس هى روح الله ، وهذا لا يسلمه له مخالفه .
ولا يستطيع هو أن يقيم عليه دليلاً .

ان روح القدس خلقه الله ، واتخذ له ليكون رسولاً بينه وبين من يريد
أن يلقي عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً ، فهى ليست روح الله المتعلقة

بذاته ، وليس عنده من دليل على ما قال ، ولكن هكذا ساق السلسلة ،
وهكذا اقتنع سامعوه . وبذلك تم له الثالث الذى يتشابه تماما مع فلسفة
الاسكندرية ، وقد املنها بطريرك الاسكندرية ، وزادوا بذلك على مجمع
نيقية هذا الاقنوم الثالث .

ويقول ابن البطريق فى بيان قرارهم : « زادوا فى الامة التى وضعها
اللاثمائة والثمانية عشر اسقفا الذين اجتمعوا فى نيقية الايمان بروح القدس
الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له ، وممجد
وثبتوا ان الآب والابن وروح القدس ثلاثة اقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاثة
خواص ، وحدية فى تثليث ، وتثليث فى وحدية ، كيان واحد فى ثلاثة اقانيم .
اله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة » .

اذن تقرر التثليث ، وتمت اقانيمه ، ولكن ما زال للمؤتمرات العالمية
والجامع العامة موضع ، فان طبيعة المسيح الانسانية والالهية ، كيف
تجتمعان ؟ هذا موضع الخلاف . ولهذا تجتمع المؤتمرات .

سبب انقاده :

٨٦ — أول اختلاف بينهم بعد تقرير الثاوث أن بطريك القسطنطينية نسطور رأى أن هناك اثنين طبيعة ، 'ماقنوم' الألوهية من 'الآب' . وتنسب إليه . وطبيعة الانسان وقد ولدت من مريم . فمريم أم الانسان ، وليست أم اله .

ويقول في المسيح الذي ظهر بين الناس وخاطبهم ، كما نقله عنه ابن البطريق : « أن هذا الانسان الذي يقول انه المسيح . بالمحبة متحد مع الآب ، ويقال انه الله وابن الله ليس بالحقيقة ، ولكن بالوهبة » .

ويظهر من هذا أن المسيح الذي ظهر بين الناس لم يكن لها بحال من الأحوال ، ولكنه مبارك بما وهبه الله من آيات وتقديس .

ولذا جاء في تاريخ الامة القبطية عن نحلته ما نصه :

النسطوريون ينكرون ألوهية المسيح :

« أما هرطقة نسطور هذه فلم تكن كغيرها نشأت من اختلاف في عقائد وضعها الآباء والأخبار ، بل هي جوهرية تختص بأعظم موضوعات الإيمان والأركان في الدين المسيحي ، ذلك أن نسطور ذهب الى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن لها في حد ذاته ، بل هو انسان ملوء من البركة والنعمة ، أو هو ملهم من الله ، فلم يرتكب خطيئة ، وما أتى أمرا اذا » .

على هذا التخريج يكون نسطور لا يعتقد بألوهية المسيح . وإن كان يعتقد أنه فوق الناس ، وليس مثلهم ، ولقد جهده بهذا الرأي ، ونادى به ، وهو رئيس لكنيسة القسطنطينية ، ولها مكائتها ، ولكن خالفه غيره من الأساقفة ، فكان أسقف روما يعلنه برأيه المخالف له ، مع ما عند نسطور فيما رآه من بينات ، وأدلة .

ولقد بلغت مقالة نسطور بطريك الاسكندرية ، وجرت المراسلات بين أسقف الاسكندرية وأساقفة انطاكية ورومة وبيت المقدس ، فاتفقوا على عقد مجمع أفسس للنظر في هذا الرأي ، وإعلان صاحبه بالتبرؤ منه ،

ولعنه ان اصر على رايه ، ودعوه ليسمع حكمهم فى رايه . ويظهر أنه عرفه قبل أن يجتمع المجمع . وانهم مصرون على ما اعلنوه ، كما أنه مصر على رايه ، فلم يجد كبير فائدة فى حضور المجمع ، فلم يحضر لا هو ولا بطريرك انطاكية .

وانعقد المجمع وعدده نحو مائتين من الأساقفة ، وقرروا بما نصه كما جاء فى تاريخ ابن البطريق :

« ان مريم العذراء والدة الله ، وان المسيح اله حق وائسان معروف بطبيعتين ، متوحد فى الاقنوم » ولقد لعنوا نسطور .

قرار المجمع والاحتجاج عليه :

فلما بلغ ذلك القرار يوحنا بطريرك انطاكية غضب ، واحتج على المجمع ، فاختلف المجتمعون على راين ، واصر المشرقيون على الراى الذى اعلنه المجلس اولا ، وكتبوا صحيفة فيها « ان مريم القديسة العذراء ولدت الهنا وربنا يسوع المسيح الذى مع أبيه فى الطبيعة ، ومع الناس فى الناسوت والطبيعة » وأقروا بطبيعتين ، ووجه واحد وأقنوم واحد ، خالفهم بطريرك الاسكندرية اولا ، ولكن يقول ابن البطريق انه وافق بعد ذلك وكتب اليهم : « ان امانتى التى فى صحيفتكم » .

انتشار النسطورية فى الشرق :

ولكن لم يخضع نسطور لذلك القرار . فننى الى مصر . ولم يندرس مذهبه . بذلك النفى . ولقد وجد أرضا صالحة لها فى الشرق ، فلقد نهضت النسطورية فى نصيبين ، ويقول ابن البطريق : « تكاثرت النسطورية فى المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة » .

٤ - مجمع خليكدونية سنة ٤٥١

كنيسة الاسكندرية تعلن ان المسيح اله قد اتحد فيه اللاهوت
والناسوت وصارا طبيعة واحدة :

٨٧ - ولم يحسم ذلك المجمع الخلاف في مسألة اجتماع العنصر
الانساني والعنصر الالهى في المسيح ، فلم يقض على نحلة نسطورس قضاء
ببرما ، وان كان قد نفاه واذاه ، بل ثبت نحلته بعد ذلك في المشرق ، وذاعت
في البلاد التي ذكرها ابن البطريق ، ولم يتم الخلاف في ذلك عند نسطور
بواتباعه ، بل ان كنيسة الاسكندرية قد خرجت هي الاخرى برأى جديد
عرضته على الملا من الاساقفة وجمعوا له جمعا قرروه فيه ، وذلك الراى
ان للمسيح طبيعة واحدة. اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت ، وانهقد لاجل
هذا مجمع انفسس الثانى الذى تسميه الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص،
وقى هذا المجمع اعلن ذلك الراى .

فلما عارضه بطريرك القسطنطينية. واعلن انسحابه من المجلس ،
وعدم احترامه ، امرهم رئيس المجلس باعلان حرمانه ، وحدث خارج
المجلس صخب شديد ، وضجة كاد ان يقتل فيها رئيس كنيسة القسطنطينية
وقد اشتد الاختلاف بعد ذلك حول هذا المجمع ، أهو صحيح محترم
السلطان ، أم هو مجمع غير عام لا تلتزم بأرائه الكنائس كلها ؟ واشتد
الاختلاف في قرارات الحرمان التي أصدرها ، أهى محترمة واجبة التنفيذ ،
أم هى باطلة ، لأنها صادرة من غير سلطة ؟ حتى جاءت ملكة على الرومان
تخالف ذلك الراى ، وتميل لغيره . فلتنفيذ رأيها في هذا الخلاف الشديد
حول مجمع انفسس الثانى وقراراته - أمرت ، هى وزوجها ، بعقد مؤتمر
عام ، فاجتمع في مدينة خليكدونية عشرون وخمسمائة أسقف ، وكان
الاجتماع تحت اشراف زوج الملكة ، واجتمع في شهر اكتوبر سنة ٤٥١ .

طلب انسحاب بطريرك الاسكندرية ورفض الطلب :

وتقول مؤلفة تاريخ كتاب الامة القبطية : « وكان اول اقتراح طلبه
مندوبو رومية انسحاب نسطورس بطريرك الاسكندرية من المجلس ،

فسأل الرئيس عن الباعث لهذا الإنسحاب وعن الأسباب التي تلجئ المجمع إلى إخراج هذا البطريك من قاعته ؟ فكان اعتراض هؤلاء أن ديسقورس شكل مجعاً دون أن يستأنز الكرسى الرسولى ، ويقصدون بالكرسى الرسولى بابا القسطنطينية . فلم يصادق مندوبو الحكومة على هذا الرأى السقيم ، وقرر المجمع بقاء ديسقورس ، ولكن على غير كرسى الرئاسة ، كما كان فى المجمع السابق لأنها أصبحت فى يد رجال الامبراطورة ، وقد حدث ضجيج وصخب ومنازعات فى أثناء الاجتماع مما جعل مندوبى الحكومة يصيحون فيهم قائلين بلسان احدهم : « انه لا يجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا مثل هذه الاعمال الشائنة من صياح ، وصراخ ، وسب ، وقذف ، وضرب ولكم . بل يجب عليهم أن يكونوا قدوة للشعب فى الهدوء وتسيير الأمور على محور الحكمة والسداد ، ولذلك نرجوكم أن تستعملوا البرهان بدل المهاترة ، والدليل عوضاً عن القول الهراء ، وأميلوا آذانكم إلى سماع ما سيطلب عليكم » .

الشغب فى المجمع :

ونسارت المناقشة بعد ذلك فى جو عنيف متعصب وانتهى المجمع إلى أن قرر ، أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة ، وأن الألوهية طبيعة وحدها ، والناسوت طبيعة وحده . التفتا فى المسيح .

قرار المجمع أن المسيح له طبيعتان :

وقد قال ابن البطريق فى بيان قرار المجمع : « قالوا ان مريم العذراء ولدت هنا ، ربنا يسوع المسيح الذى هو مع أبه فى الطبيعة الالهية ، ومع الناس فى الطبيعة الانسانية ، وشهدوا أن المسيح له طبيعتان ، واثنون واحد ، ووجه واحد ، ولعنوا نسطورس ، ولعنوا ديسقورس ، ومن يقول بمثلته ، ونفوه ولعنوا المجمع الثانى الذى كان بأمفيس وقسطنطينية ديسقورس إلى فلسطين » .

الانشقاق ومداه :

٨٨ — هنا نرى انشقاقاً بين المسيحية المثلثة ، واختلافاً يكون بعيد المدى فى الاجيال المقبلة ، وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر

فهذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان احداها انسانية يشارك فيها الناس والأخرى لاهوتية ، وأننوم الابن مكون من الطبيعتين ، وهو بذلك يخالف النسطوريين . لأنهم يقولون : أن أننوم الابن لم يكن من العنصرين ، بل من العنصر الانساني وحده ، ويخالف قرار المسس الثاني الذى يقوله أن المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتى من الروح القدس ، ومن مريم العذراء مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشينة واحدة ، وقد بدت آثار ذلك المجمع سريعة واضحة .

فان المصريين عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا ، وأجمعوا أمرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع .

عدم اعتراف المصريين بقرار المجمع :

وتقول مؤلفة كتاب تاريخ الامة القبطية : « ولما طرق مسامع المصريين ما لحق بطيريكهم من الحرمان والعزل هاجوا وغضبوا ، واتفقوا على عدم الاعتراف بقرار المجمع الذى أصدر هذا الحكم ، وأعلنوا رضاهم ببقاء بطيريكهم رئيسا عليهم ، ولو أنه محروم مشجوب ، وأن إيمانه ومعتقدده هو عين إيمانهم ومعتقدهم ، ولو خالفه فيهما جيع أباطرة القسطنطينية ، وبطاركة رومية ، ولقد اعتبر المصريون أن الحكم الذى صدر ضد بطيريكهم ماس بحريتهم الوطنية ، محف بحقوقهم السياسية ، ولو أنه حكم دنى صرف » .

ولقد اشتد النزاع بسبب هذا بين المصريين والرومان فنار المصريون وغضبوا عندما رأوا بطيريكاً يعين على غير مذهبهم ، وعلى غير رغبتهم ، واستمروا على غضبهم ، فصاروا ينتفضون الحين بعد الحين ، كلما لاحت لهم الفرصة ، وديسقورس لم يمنعهم النفى من أن يدعوا المسيحيين الى اعتقاده فى منفاه .

ويقول ابن البطريق : « لما نفى سار إلى فلسطين ، وبیت المقدس . فأفسد دين كل من فلسطين وبیت المقدس ، حتى قالوا بهتانته » .

المصريون يرفضون تعيين بطيريك على غير مذهبهم :

٨٩ — ولقد كان الاختلاف يشتد كلما عين الرومان بطيريكاً ، فإن المصريين يرفضونه محتجين بأنه على غير مذهبهم ومن غير جماعتهم ، ويجب أن يكون بطيريكهم بعد هذا الاختلاف من المذهب الذى ارتضوه ديناً ، وباختيارهم ، فكان بعض الأباطرة يأخذهم بالعنف ، وأولئك هم الأكثرون ، وبعضهم يأخذهم بحسن السياسة ولطف الكياسة ، فمترك لهم الحرية فى اختيار بطيريكهم ، والاطمئنان الى مذهبهم ، وكانت الأيام والسنوات هكذا تسير أحيانا على نهج من الهوادة والرفق ، وأحيانا كثيرة على شطط وعنف .

يعقوب البرادعى ونسبة المذهب المصرى اليه :

وفى هذه الأثناء يتغلغل فى ربوع الدولة الرومانية الدعاة الى المذهب المصرى والدعاة الى المذهب الرومانى أو مذهب رومية مقر الأباطرة أو المذهب الملكى كما سباه العرب من بعد . ولقد ظهر للمذهب المصرى داعية قوى الشكسية قوى المعارضة ، بليغ الأثر ، اسماه يعقوب البرادعى ، قد أخذ يجول فى وسط القرن السادس الميلادى فى البلاد الرومانية الى مصر ، يدعو الناس الى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية ، ويبث ذلك المذهب فى نفوسهم ، ويدخله فى قلوبهم ، وسلك فى سبيل ذلك المخاطرة والجرأة ، لا يابه لقوة مهما تكن ، ولا لذى خطر مهما يكن شأنه .

وتقول صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية : « قيل انه ربيع ٨٩٠ استقفا ، والوما من الكهنة والقسوس ، ومن ذلك الحين اطلقت كلمة يعقوبيين على جميع الذين يذهبون الى أن للمسيح طبيعة واحدة اشتقاقا من اسم يعقوب البرادعى زعيم هذا الحزب . »

ولكن من الخطأ الكبير ، والخطب الذى يدل على الجهل إطلاق لفظ يعقوبيين على الكنيسة القبطية المصرية ، لأن مذهبها نشأ قبله ، وهو تبعه ، اذ لا علاقة لها ببعقوب ، أما اذا سميت الكنيسة الرومانية بالكنيسة الملكية فأنت مضىب غير مخطىء ، لأن هذا الاسم صار علما للكنيسة

المذكورة من بعد الفتح الاسلامى ، وهو اسم عربى الاصل مشتق من كلمة ملك ، ومعناها الذين يمحزون الى الملك ، أو الابهراطور الرومانى مذهباً وسياسة » .

انفصال الكنيسة المصرية نهائياً :

٩٠ — ولقد كان قرار مجمع خليكدونية هو السبب فى انقسام الكنائس ، أو بعبارة أدق هو السبب فى انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية ، ولقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية فى مصر عقيدة الكنيسة المصرية فقال : « كنيسةنا المستقيمة الراى التى تسلمت ايمانها من كيرلس ، وديستورس ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية ، والسريانية الأرثوذكسية تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الاقانيم ، اقنوم الاب ، واقنوم الابن ، واقنوم الروح القدس ، وأن الاقنوم الثانى اى اقنوم الابن تجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء . نصير هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط ، والامتزاج والاستحالة ، بريئة من الانفصال ، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة » .

هذه هى قرارات تلك الكنيسة ، وهى تخالف ما تقرر فى مجمع خليكدونية كما علمنا .

المجامع الباقية

المجامع السابقة تقرر المسيحية الحاضرة :

٩١ - منينا ببيان المجامع الأربعة السابقة ببعض التفاصيل ،
ولم نضن على القرطاس فيها ببعض الاطناب ، لأنها المجامع التي قررت بها
العقيدة المسيحية الحاضرة .

فأولها قرر الوهية المسيح ، وثانيها قرر الوهية الروح القدس ،
وثالثها قرر أن المسيح اجتمع فيه الانسان والاله ، لا الانسان فقط ،
وأن مريم ولدت الاثنين ، ورابعها قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين ،
لا طبيعة واحدة متحدة ، والمجامع الثلاثة الأولى اتفقوا على أنها مجامع عامة
تلتزم باحكامها المسيحيين اجمعين ، أما المجمع الرابع فهو ليس مجعاً عاماً
في نظر المصريين ، والكنايس التي تنهج نهج كنيستهم .

والمجامع الآتية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد أجمع عليه المسيحيون
تطابقة بأنه مجمع عام مسكوني كما يعبرون ، فكل هذه المجامع لم تمثل فيها
الكنيسة المصرية بعد انشقاقها على كنيسة رومة ، أو انشقاق كنيسة
روما عليها .

وانا نشير الى هذه المجامع اشارة ، ولا نخرج عليها بتفصيل لذلك ،
ولأن قراراتها كانت في مروع جزئية لا تتصل بلب التثليث الا في بعض
المجامع ، وبقدر يسير ، لا يمس الجوهر ، ولا يتغلغل في صميمه ، وقد
نعرض لهذا بقليل من التفاصيل .

ولقد كان المجمع الخامس بالقسطنطينية سنة ٥٥٣ ، ويسمى المجمع
القسطنطيني الثاني .

المجمع القسطنطيني الثاني وسبب انعقاده :

ويذكر ابن البطريق أن ذلك المجمع انعقد بسبب أن بعض الأساقفة
اعتنق فكرة تناسخ الأرواح ، وسار فيها الى أقصى مداها . حتى لقد قال
أنه ليس هناك قيامة ، ويسبب أن بعض الأساقفة قد زعموا أن شخص
المسيح لم يكن حقيقة ، بل كان خيالا ، فاجتمع لذلك هذا المجمع ، وكانت
عدة الحاضرين فيه أربعين ومائة ، فشرروا حرمان هؤلاء الأساقفة ، ولعنهم

وطردهم من زمرة المسيحيين ، ولم يكتفوا في اجتماعهم باصدار قرارهم في هذه الأمور ، بل ثبتوا قرارات المجامع السابقة ، ومنها قرار مجمع خليكدونية ، وبذلك ثبتوا عقيدة كون المسيح ذا طبيعتين ، وأكدوا انكار الطبيعة الواحدة التي اعتنقتها كنيسة مصر ، ومن والاها من المسيحيين .

المارونية :

٩٢ — وقد ظهر رجل اسمه يوحنا مارون في القرن السابع الميلادي سنة ٦٦٧ كان يقول أن المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في اقنوم واحد ، ولكن يظهر أن هذه المقالة لم ترق في نظر البطارقة لذلك ، فأوعزوا الى الامبراطور أن يجمع جمعا علما في زعمهم ، ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين ، وذو مشيئتين ، بعد أن استوثقوا من أن الامبراطور ، واسمه يوغاقوس على رأيهم ، بمكاتبات تبادلوها معه .

فقد جاء في أحد كتبه : « نحن نفر ، ونؤمن بطبيعتين ، ومشيئتين ، وفعلين لسيدنا المسيح ، واقتنوم واحد ، ونؤمن من خالف هذا » .

مجمع القسطنطينية الثالث :

اجتمع كذلك المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ م . وقد كان من عمله لعن وطرد كل من يقول بالمشيئة الواحدة . كما لعن وحرّم وتكرّر من قال بالطبيعة الواحدة ، وكان مؤلفا من نحو تسعة وثلاثين ومائتي أسقف . وبعد أن قرروا لعن وطرد من يخالفهم كثائهم دائما .

قالوا : « لنا نؤمن بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوي مع الآب الإله في اقنوم واحد ، ووجه واحد ، يعرف تماما بناسوته ، تماما بلاهوته في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في اقنوم واحد ، وشهدوا كما شهد المجمع الخليكدوني أن الإله الابن في آخر الأزمان اتخذ من العذراء السيدة مريم القديسة جسدا انسانيًا بنفس ناطقة عاقلة ، وذاك برحمة الله محب البشر ، ولم يلحقه في ذلك اختلاط ولا تساد ، ولا فرقة ولا تحصيل ، ولكن هو واحد يعمل ما يشبه الإنسان أن يعمل في طبيعته ، وما يشبه الإله أن يعمل في طبيعته ، الذي هو الابن الوحيد ، الكلمة الأزلية المتجسدة التي سارت

لحقه لحما كما يقول الانجيل المقدس من غير أن تنتقل من مجدها الأزلي
وليست بمتغيرة ، ولكنها بفعلين ، ومشيتين وطبيعتين اله وانسان ،
وبهما يكمل قول الحق ، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتهما ،
فتعبران بمشيتين غير متضادتين » .

هذا بعض قرار ذلك المجمع كما جاء في تاريخ ابن البطريق ، وقد اطلنا
في النقل ، ليكون كلام القوم مبينا لفكرهم كما يريدون ، فنقلناه خشية أن
نحرف كلامهم عن معناه ، أو نحيد به عن مرماه .

ولقد كان من آثار هذا القرار أن خرج من جماعة كنيسة روما
والقسطنطينية طائفة المارونيين ، كما خرج من قبل الاقباط وكنيستهم ،
ومعهم الاحباش والأرمن والسريين .

مجمع تحريم اتخاذ الصور :

٩٣ — وقد جاء مجمع غير عام باقرار الجميع انعقد بأمر قسطنطين
الخامس سنة ٧٥٤ وفيه جمهور من الأساقفة ، وفدوا اليه من جهات مختلفة
وقد قرر تحريم اتخاذ الصور (١) والتماثيل في العبادة ، وحرّم طلب
الشفاعة من العذراء ، ولأجل هذا انعقد المجمع السابع بأمر الملكة ايريني
بمدينة نيقية ، ويسمى المجمع النيقاوى الثانى سنة ٧٨٧ وكان أعضاؤه

(١) يقرر الأستاذ المرحوم أمين الخولى في رسالته « صلة الاسلام
باصلاح المسيحية » ان فكرة تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في أماكن العبادة
اسلامية ، وان اشد من ظهر بمعاداتها ليون الثالث مكسر الاصنام الذى
أطلق الكنيسة واتخذ العنف سبيلا لتنفيذ رأيه له صلة وثيقة بالمسلمين
وينقل عن صاحب كتاب الطرق النيقية قوله : « أن ليون فعل ذلك لاستجاب
سياسية اذ رغب في التفرّب الى المسلمين بذلك . أو فعل ذلك تقليدا لحركة
من هذا النوع قلم بها في ذلك العصر المسلمون في ديارهم » ، ويقول الأستاذ
أمين الخولى : « والحركة الاسلامية التى سمعت خبرها في تحطيم التماثيل
هى التى قلم بها الخليفة الأموى يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٢ هـ — ٧٢٠ م
(وكانت حركة ليسون المسيحية سنة ٧٢٦) اذ كتب يزيد الى حنظلة
ابن صسلوان ، والى مصر أن يكسر الاصنام والتماثيل ، فكسرت كلها ،
وبخيت من ديار مصر وغيرها في أيامه » .

٣٧٧ استقبلوا وأصدروا القرار بتقديس صور المسيح والقديسين ، لا يعبادتها ، وجاء في هذا القرار : « اننا نحكم بأن توضع الصور ليس في الكنائس والأبنية المقدسة ، والملابس الكهنوتية فقط ، بل في البيوت ، وعلى الجدران في الطرقات ، لأننا انطلقنا لمشاهدة ربنا يسوع المسيح ووالدته القديسة والرسول ، وسائر القديسين في صورهم شعرنا بانيل الشديد الى التفكير فيهم ، والتكريم لهم ، فيجب ان تؤدي التحية والاکرام لهذه الصور ، لا العبادة التي لا تليق الا بالطبيعة الالهية » . هذا هو المجمع السابع قد وافق عليه عدد كبير من الكنائس فاعتبرته عاما ، وخلفته اخرى ، فلم تعتبره كذلك .

انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية وسببه :

٩٤ — ولنتنقل بعد ذلك الى المجمع الثامن ، وهو اساس انفصال الكنائس الشرقية التي ترأسها كنيسة القسطنطينية عن الكنائس الغربية التي ترأسها كنيسة روما .

وقد علمت ان المجمع الماضي التي انفصلت بسببها فرق مسيحية كان اساس الخلاف فيها طبيعة المسيح ، ولم يتعرض احد للروح القدس ، ومن أي شيء انبثق ، حتى اثار بطريرك القسطنطينية كيف كان انبثاقه ، فحكم بأن انبثاق الروح القدس كان من الآب وحده ، فعارضه في ذلك بطريرك رومة قائلا : « ان انبثاق الروح القدس كان من الآب والابن معا ، ولم يكن من أحدهما ، وكل فريق عاضد رأيه بجمع قد جمعه ، وكلاهما قد اعتبر هو ومشايعوه جميعه عاما ملزما للآخر ، وجميع الآخر خلافا غير ملزم ، وكل لعن الآخر وطرده ، واعتبره محروما مطرودا من حضرة المسيحية ، كشأنهم عند كل اختلاف .

أعلن بطريرك القسطنطينية رأيه ، وهو ان الروح القدس انبثق من الآب فقط ، وفوق ذلك قد تولى هذا البطريرك كرسيه من غير ارادة رئيس الكنيسة بروما ، وبعد ان دس أسلفه ما ابتعد عن كرسيه . فاجتمع في القسطنطينية مجمع بعد عزل البطريرك الذي ناولا روما سنة ٨٦٩ ، وأصدر قرارا يتضمن البت في ثلاثة أمور :

أولها : كون انبثاق الروح القدس من الآب والابن .

(م ١٠ — محاضراته في النصرانية)

ثانيها : أن كل من يريد المحاكمة في أمر يتعلق بالمسيحية وعقائدها يرفع دعوى الى الكنيسة بروما .

ثالثها : أن جميع المسيحيين خاضعون لكل المراسيم التي يقوم بها رئيس كنيسة روما .

وتلك القرارات كانت مع قرار آخر يعتبر عندهم سنة متبعة ، وهو لمن ذلك البطريرك المعزول واسمه نوسيوخس ، وحرمانه هو واتباعه .

استطاع نوسيوخس هذا أن يعود الى منصبه ، فلما عاد اليه كان أول ما صنعه أن عقد مجعما آخر في القسطنطينية سنة ٨٧٩ ، ويسمى هذا المجمع الشرقي اليوناني ، كما يسمى الأول الغربي اللاتيني ، وقد قرر فيه رفض كل ما قرره المجمع الأول ، وقرر أن انبثاق الروح القدس من الآب فقط ، وقد صار كل مجمع يعتبر عاما عند مشايخه . كما يعتبرون الآخر خاصا ، بل باطلا غير ملزم ، وكل يكفر الآخر أو ينسقه و « كل حزب بما لديهم فرحون » .

٩٥ - كان هذان المجمعان هما السبب في انقسام الكنيسة الى شرقية يونانية ، وغربية لاتينية ، ورئيس هذه الكنيسة الغربية هو البابا ، وهو مستقل بسياستها وله السلطان على كل الطوائف المنتزعة الى تعاليمها .

الكنيسة الغربية أم الكنائس :

وتسمى الكنيسة البطرسية لكون مشايخها يعتقدون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول في زعمهم ، ويزعمون أنه كبير الحواريين ورئيسهم ، ويقولون أنه رأس هذه الكنيسة ، والبابوات خلفاؤه من بعده . وتسمى الغربية لكون سلطانها في بلاد الغرب ، ويقول صاحب كتاب سوسنة سليمان : « وهي تدعى انها أم الكنائس ، ومعلمتهن ، وربما حق لها ذلك لجهة التفاسير التي تبنى عليها أصول التعاليم التقليدية ، ونظامات المجمع ، وترتيبها ، وهي أيضا التي تأمر بها . وتمتد شوكتها على الخصوص في بلاد إيطاليا وبلجيكا ، وفرنسا ، وأسبانيا ، والبرتغال ، وشعوبها منتشرة في اقطار الأرض .

وأما الكنيسة اليونانية ، ويقال لها أيضا كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية ، فأكثر مشايعها في الشرق وسلطانها فيه ، وهي تشترك مع الكنيسة الكاثوليكية في كثير من التساليد المسيحية ، ولكنها تخالفها في انبثاق الروح القدس . فتقول انه من الآب فقط ، كما بينا ، ولا تعترف الا بالجامع السابطة على المجمع الذي أوجد الانفصال ، كما لا تعترف لبابا رومة بالسيادة أو الرياسة .

ولكن لمرور الزمن ، وما أحيط به من تقديس بين مشايعهم ، وعسد الملوك ، ولثرة معتنقى مذهبه ، تتساهل الكنيسة الشرقية فتعترف له بالتقدم لا بالسلطان ، ويليها في الرتبة بطريرك القسطنطينية ، والمثليون لها في بلاد روسيا واليونان والصرب ، وكثير من جزر البحر الأبيض وغير هؤلاء .

الجامع اللاحقة كلها غير مسكونية الا في نظر الكنيسة الغربية :

٩٦ — قد انفصلت الكنيسة الشرقية عن الغربية كما علمت ، والجامع الآتية كلها مجامع غير عاملة في نظر الكنيسة الشرقية ، لأن الأساقفة الذين كانوا يجيبون الدعوة فيها من أتباع الكنيسة الغربية فقط ، ولذلك لا تعتبر تلك المجمع عامة الا في نظر الغربية .

فالمجمع التاسع انعقد في رومة سنة ١١٢٣ ، وأعظم قراراته ثنائيا الحكم بأن تعيين الأساقفة ، ليس من شأن الحكام ، بل من عمل البابا وحده .

محاولة تقريب بين الكنيستين :

والمجمع العاشر انعقد في رومة أيضا سنة ١١٣٩ ، وكان أعضاؤه ١٠٠٠ عضو ، وقد حاول هذا المجمع ازالة الفرقة بين الكنيستين ، فلم ينجح .

والمجمع الحادى عشر الذى انعقد في رومة سنة ١١٧٩ كان لوضع نظام التاديب الكنسى ، وفيه تقرر انتخاب البابوات بثلاثى عدد الكرادلة . وكان في هذا العصر قد شاع القول باستحالة الخبز والخمر في العشاء الربانى الى جسد المسيح ودمه ، ولكن لم يقرر ذلك المبدأ .

حتى جاء المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٥ وفيه تقرر ذلك المبدأ نهائيا ومبدأ آخر سيكون له خطر مع سابقه ، وهو مبدأ أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء .

وتتوالى بعد ذلك المجمع الكاثوليكية لأغراض عامة أو اقليمية ، وفي بعضها تتجدد محاولة توحيد الكنيستين المتصلتين ، وفي بعضها يتقرر التنقيب عن القلوب ، ومحاربة الخارجين عن التعاليم المسيحية .

وأهم هذه المجمع وأعظمها أثرا ، وأقواها عملا المجمع التاسع عشر الذي انعقد في تريينتو والذي دام انعقاده من سنة ١٥٤٢ إلى سنة ١٥٦٣ ، وفيه الرد على البروتستانتية .

وختام هذه المجمع هو المجمع المتم العشرين المنعقد في رومة سنة ١٨٦٩ وقد انتهوا فيه العصية البابوية .

وقد قال في ذلك صاحب سوسنة سليمان : « وقد نشأ في ذلك انقسام في الطوائف الكاثوليكية ببلاد أوربا والشرق ، والذين خالفوا هذه العقيدة من أهالي أوربا سموا أنفسهم الكاثوليكين القدماء ، ونهاية ذلك لم تزل مجهولة » .

الفرق المسيحية

٩٧ — من البيان الذى سقناه فى المجمع ، وما انعقدت بسببه من خلاصات يظهر لنا أن المسيحية قد أتت عليها حين من الزمن كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها ، والغالب على كل نحلة سواء من نحلها .
وانك لترى ذلك واضحا فيما بيننا من أن أريوس عندما ظهر مقاوما فكرة الوهية المسيح ، ومنازعا كنيسة الاسكندرية فى ذلك المبدأ الذى كانت تبثه فى النفوس وهو الوهية المسيح وتنادى به على رؤوس الأشهاد ، بينما كان أتباعه فى مصر وفلسطين والقسطنطينية ، (وهذه مواطن المسيحية فى ذلك الابان) أكثر عددا وأقوى مكانة ، فكثر منهم أساقفة ورؤساء كنائس ، وكل ذلك مع أن قسطنطين الامبراطور الحاكم بأمره الذى لا معقب لحكمه كان يشايح فكرة الوهية المسيح ويناصرها ، ويحييها ويؤيدها ، كما بينا عند الكلام فى مجمع نيقية إذ حمى القائلين أن المسيح فيه الوهية بحايته ، ووضعهم تحت ظله ، وأمدهم بالجاه والسلطان .

وإذا كان قد أتى حين كان فيه التوحيد هو السائد ، فيضج لنا
أن نقسم عصور المسيحية الى قسمين :

عصر التوحيد : ونجعل نهايته الزمن الذى انعقد فيه مجمع نيقية .
أو ما ولى ذلك الزمن بقليل . إذ غالب التوحيد فكرة الوهية المسيح ردحا
غير قصر من الزمن بعد مجمع نيقية .

والعصر الثانى : عصر تأليه المسيح ، وذلك العصر يبتدىء بعد مجمع
نيقية ، ويمتد أن استطاع أباطرة الرومان أن يطمسوا نور التوحيد
فى وسط المسيحيين ، ويمنعوا الموحدين من نشر دعاياتهم .

واذن فمن الحق علينا أن نراعى هذا التقسيم عند الكلام فى الفرق
الكلدية عند المسيحية ، فنقسم تلك الفرق الى قسمين :

فرق ظهرت فى عصر التوحيد ، وربما كان وجود بعضها قبل مجمع
نيقية أرهاضا لعهد التثليث .

وفرق ظهرت فى عصر تأليه المسيح وعصر التثليث .

ونقصد بالفرق القديمة الفرق التي ظهرت قبل عصر النهضة في أوروبا
أي قبل القرن الثالث عشر الميلادي ، ونقصد بالفرق الحديثة الفرق
التي ظهرت بعد عصر النهضة ، وهي التي ظهرت في عهد الإصلاح الديني ،
وما والا .

الفرق التي ظهرت في عصر التوحيد :

٩٨ — والفرق التي ظهرت في عهد التوحيد كثيرة ، وبعضها كان
مستمسكا بالتوحيد ، ومعها الكثرة الغالبة من المسيحيين كما استتبطنه
من السياق التاريخي وكما يستفاد من ثنايا التاريخ ، وبعضها كان قد
انحرف عن التوحيد ، حتى كان وجوده تهيدا للتثليث أو سيرا ببعض
الخطوات في سبيله .

وأظهر الموحدين أريوس وأتباعه ، وقد كانوا كثيرين . فقد شرحنا
أنه قد كان يأخذ بمذهبه بطريك القسطنطينية وغيره من البطاركة ،
وكلن رأيه منتشرا في مصر والشلم ومقدونية ، وهي مواطن المسيحية .
كما علمت .

فرقة أريوس :

يقول ابن حزم في بيان فرقة أريوس : « والنصارى فرق ، منهم
أصحاب أريوس ، وكان قسيسا بالاسكندرية ، ومن قوله التوحيد المجرد ،
وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق ، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق
السموات والأرض ، وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية ،
وأول من تنصر من ملوك الروم ، وكان على مذهب أريوس .

وهذا الكلام يحتاج جزؤه الأخير الى نظر ، فهو يزعم أن قسطنطين
كان على مذهب أريوس ، وقد بينا عند الكلام في مجمع نيقية ، أنه هو الذي
تدخل بنفوذه وسلطانه ، فعزل أنصار لاهوت المسيح ، واعتبر المجمع
مكونا منهم دون سواهم ، وقد كان المجتمعون أول الأمر أكثر من ألفين .
فرفض رأى الكثرة ، وعقد مجمعا مؤلفا من ثمانية عشر وثلاثمائة ،
بينما يذكر القسطنطين أن قد صرح بنصرة أريوس من المجتمعين .
أكثر من سبعمائة .

نعم أن الأريوسيين قد حاولوا بعد ذلك جذبهم إلى رأيهم ، وضه
إلى مذهبهم ليستفيدوا منه قوة وسلطانا ، فمال إليهم أخيرا ، أو أظهر
الميل ، وإن كان لم يعمل على نصرته مذهبهم ، ولم يعتقد مجعما ليقتر رأيههم ،
كما فعل بالنسبة لغيره ، وأقصى ما عمله أنه رد المحرومين إلى حظيرة
المسيحية ، وأعاد المنفيين من منافعهم ، ومكثهم من الاستمتاع بنعمة الحرية .
ولعل ذلك كان كياسة منه وسياسة ، إذ رأهم كثرة المسيحيين الغالبة .
واقوالهم هي الشائعة الرائجة ، فأظهر الميل إليهم حتى لا ينتقصوا عليه .

أصحاب بولس الشمشاطى :

٩٩ — ومن الموحدين الذين ظهروا أصحاب بولس الشمشاطى ،
ويقول فيه ابن حزم : « كان بطريركا بانطاكية ، وكان قوله التوحيد المجرد
الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأخذ الأنبياء عليهم السلام ، خلقه
الله في بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا الهية فيه . وكان يقول :
لا أدري ما الكلمة ، ولا روح القدس . »

ومن هذا يقين أن مذهب بولس هذا كان توحيدا خالصا ، وأن عيسى
ليس إلا رسولا من رب العالمين . وأنه كان إذا عرض له البحث في كلمة
الله ، وروح القدس أمسك عن ذلك ، ولم يخض فيه ، وتوقف واعتصم
بذلك .

ويقول ابن البطريق في بيان مذهب بولس هذا : « أن المسيح إنسان
خلق من اللاهوت كواحد منّا في جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ،
وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الانسى ، صحبته النعمة الالهية ،
وحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمى ابن الله ، ويقولون أن الله جوهر
واحد ، واثنون واحد ، ويسمونه بثلاثة أسماء ، ولا يؤمنون بالكلمة .
ولا بروح القدس ، وثى مقالة بولس الشمشاطى بطريرك أنطاكية :
وهم البوليقيانيون » .

هذا ما قاله ابن البطريق في معتقد بولس الشمشاطى ، وهو لا يختلف
في جوهره عن كلام ابن حزم الأندلسى فيه ، وإن اختلفت العبارات ،
فالأصطفاء لتخليص الجوهر الانسى هو ما عبر عنه ابن حزم بالرسالة ،

والنعمة الالهية التي حلت فيه هي الوحي واختياره ليكون رسول الله
الى الناس يهديهم ، والنبوة التي جاءت في عبارة ابن البطريق حكيمة لقول
بولس هذا كنيسة عن المحبة ، ولعل بولس لم يجرها على لسانه ، أو لم
تجئ في بيانه ، ولكن ابن البطريق (المسيحي) المثلث تكلم عن الموحدين
بمنطقه وتعبيره ، وان كان المراد غير موافق للمثلثين .

دخول الوثنية على التوحيد :

١٠٠ — وكان بجوار الموحدين الذين كانت اقوالهم السائدة المنتشرة
في ربوع انسيحيين ، وجدت آراء كثيرين ممن دخلوا في المسيحيين وشبههم
بقايا الوثنية ، ولا تزال رؤوسهم مملوءة بما درسوه ، ففهموا المسيحية
على ضوء ما عرفوه أولا . واهتموا المسيحية متمثلة في نفوسهم بما
استكن في تلك النفوس من آراء ومعتقدات سابقة ، وان ذلك ليثبته من
بعض الوجوه تلك النحل المختلفة التي ظهرت في المسلمين في ابان الفرقة
التي تلت مقتل الخليفة الثالث والرابع . وما ادخل من آراء ونحل في عصر
يزيد ومن وليه .

ولكن الاسلام بنور القرآن الكريم وحفظه ، وهدى النبي صلى الله
عليه وسلم ، وما استحفظه عليه المسلمون من كتاب وسنة ، وما كلاً الله
به هذا الدين المتين — قد نفى عنه الدخول ، وذهب الزيد جفاء ، وبقي الدين ،
كما بعث نبيه عليه الصلاة والسلام صافيا من غير رنق ولا تكرار .

أما في المسيحية فلأن الكتب قد عراها ما بيناه في الكلام عليها ،
واختلط فيها الفس والسمين والطيب بالخبيث ، وضلت العقول ، فلم
تستطع أن تميز بين الصحيح وغير الصحيح ، وذهب الكوكب الساري
الذي يضئ وسط الدجنة الحالكة ، وهو كتاب مبين لا يأتيه الباطل ،
ولا يتطرق اليه الريب ، يكون فيصل التفرقة بين المسيحية الحقية ،
والاساطير الباطلة التي افسدها .

اتباع مرقيون :

دخلت تلك الأوهام على المسيحيين الموحدين وبرزت بينهم ، كما تبرز
رغوس الشياطين وسط أرض قد كسييت بالصندس الأخضر من الزرع

وجاءت على نحل مختلفة ، وأهواء متباينة ، وترعات متضاربة ، وبأسماء كثيرة .

فمنهم من كان يقول أن هناك آلهة ثلاثة : صالح ، وطالح ، وعدل بينهم ، وهم أتباع مرقيون ، ولعل هذه النحلة من آثار المجوس ، لأنهم هم الذين يقولون بالله الخير وأله الشر .

ولقد قال ابن البطريق في هذه النحلة وأصحابها : « وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين ، وأنكروا بطرس » فالمتحلون لهذه النحلة يزعمون أن مرقيون داعيتها والمنادى بها حوارى من حوارى عيسى عليه السلام ، بل كبير الحواريين وشيخهم ، والمقدم فيهم ورئيسهم .

البربرانية :

ومنهم فرقة تسمى البربرانية كانت تقول أن المسيح وأمه الهان ، ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالى كلماته في قوله تعالى مبينا ما يكون بينه سبحانه وتعالى وعيسى عليه السلام من قول يوم القيامة ، قال تعالى كلماته : « واذا قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ، قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق أن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك أنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ، أن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » ولعل مريقا منهم كان موجودا عند نزول القرآن الكريم .

نحل آخر :

ويقول ابن البطريق في بيان بعض فرق كانت موجودة قبل مجمع نيقية : ومنهم من كان يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية ، وهى مقالة بلبيدوس وشيعته ، ومنهم من كان يقول : لم تحبل مريم تسعة أشهر ، وإنما مر فى بطنها ، كما يمر الماء فى الميزاب لأن الكلمة دخلت فى أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعته وهى مقالة اليان وأشياعه .

ضياح التوحيد بسبب تحريف الكتب :

١٠٩ — هذه هي بعض المقالات والأهواء والنحل التي جاءت في عصر التوحيد رنقت صفاءه ، وكانت نكتا سوداء في وسط المسيحية الحق النضرة ولقد كان من الممكن أن تزول تلك الأمور العارضة ، ويبقى الأصل سليما نقيا ، لم يتأشبه شيء من المفسد ، ولكن شرط ذلك أن يكون ثمة كتاب محفوظ لا يعتريه الشك من أى جانب ، ولا يتطرق إليه الظن والاحتمال ، ليكون ميزانا للحق والباطل ، وليكون مقياسا تقاس به الآراء ، وليكون مرجعا يرجع إليه المختلفون .

ولكن الاضطهادات التي نزلت بالمسيحيين ، ومصادرة الكتب وتحريفها بأمر الرومان ، والأيدى العابثة المفسدة ، كل هذا جعل مصادر المسيحية يعترىها الشك والريب ، ومن وراء ذلك نفذت الأهواء والأساطير إلى القلوب ، وأخذت تنال من المسيحية وصيحتها من غير أن يعقب معقب بنص قاطع معتمد ، وكتاب ثابت السند .

فكل نحلة تدمى لا تجد ردا لها من نص ، وهي تروج لدى العامة لا بقوة الدليل أو النص ، بل بقوة الداعى ومقدار لحنه بالحجة الباطلة والصحيحة ، ومقدار نشاطه وبيانه وسعة حيلته ودهائه ، ودربته على جذب الجماهير .

ولقد كان جمهور المسيحيين يقدر المسيح ابلغ تقديس ، فكانت مهارة النعاة وقوتهم البيانية متجهة إلى هذه الناحية ، يزيّدون في تقديس المسيح فيزيّدون كلامهم قبولا لدى العامة ، ثم انتقلوا من التقديس المعقول إلى الغلو المرفول ، مغالوا حتى مدوه لها .

وهكذا أخذت العقيدة تفسد ، وكان العامة بين حبلين قويين ، وكل حبل في يد عصبة من أولى القوة ، فحبل التوحيد ، ومعه العقل ، ومعه الأصل ومعه السيادة للتوحيد ، وحبل آخر قد أخذ يجذب العامة إليه بقوة ، وعمل على أخذهم بعاملين : عامل الاستهواء جاء من الناحية التي يحبونها ، وأرضى شهوتهم فيها ، وهي ناحية تقديس المسيح عليه السلام ، وأخذ يلقي تعاليمه في النفوس ، وفسد وضعها في ذلك اللون الشهي ، وذلك الطعم المستساغ .

العامل الثانى : عامل السلطان والجاه بتقريب من يقول مقالة تاليه
المسيح وادناؤه من ذوى السلطان ، وتمكينه من الرقاب ، وتقريبه
من لا يقول هذه المقالة ، واضطهاده ، وابعداده عن حظيرة المسيحية ،
ولعنه وطرده وتصويره للناس بصورة من لا يقدس المسيح ، ولا يرجو له
وقارا واجلالا .

كان العلة بين هذين العاملين مع امتد الكتب المسيحية القاطعة
فى الاستدلال والتى تقف المفالين عند حد الاعتدال . وقد كانت كفة التوحيد
هى الراجحة ، حتى بعد مجمع نيقية ، ولكن جاءوا بعد ذلك ، واخفتوا
صوت المنادين بالتوحيد وحيل بينهم وبين ما يدعون اليه . ولم يكتفهم
من أن تصل دعوتهم الى العامة فصار العامة بعد ذلك لا يسمعون الا جانباً
واحداً ، وخاضعين لعامل واحد ، وهو الخروج من نطاق التوحيد ،
فتم للحكام والقسيسين ما أرادوا واختمى دين المسيح عليه السلام .
وقام دين البطارقة والقسيسين .

الفرق القديمة في عهد التتليث

١٠٢ — بعد مجمع نيقية أبعد التوحيد رسميا عن الديانة المسيحية، وإن كان أتباعه أكثر عددا ، وأعز نفرا ، ولم تستطع الحكومة الرومانية أن تقضى على التوحيد بذلك المجمع ، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرياسة في الكنائس ، ولا تجعل صوته يصل إلى الشعب بالنفى والتشريد ، وكل فرائع الأذى والاضطهاد ، حتى حيل بين العامة وبين سماع صوت التوحيد ، وفعل الزمن فعله ، وتغلبت الظلمة على النور ، وأخفى ظلام الليل نور النهار الساطع . وعندئذ كانت الفرق التي تظهر بعد ذلك في ظل الوهية المسيح في الجبل أن أسثنينا مقدونيوس وفرقته .

فرقة مقدونيوس :

وأول فرقة ظهرت في ذلك العصر فرقة مقدونيوس هذا ، فقد أنكرت أن يكون روح القدس الها ، وقاومت ما ترمى إليه الكنيسة العامة من فرض تلك الألوهية ، ودعوة الناس إليها ، وحثهم على اعتناقها ، ولعل مقدونيوس هذا كان من الموحدين الذين لا يزالون يعتقدون التوحيد ، ويتأبسون في ذلك أريوس وسائر الموحدين . وإن كانت الغلبة لغيرهم ، فهال أن يبدأ الاساقفة بتأليه المسيح ويثنون بتأليه الروح القدس ، مجاهر بانكار الثاني ، لأنه لم يعد في قوس الصبر منزع .

يقول ابن البطريق : « وفي عشر سنين من ملكه (قسطنطين ابن قسطنطين الثاني) صير مقدونيوس بطريركا على القسطنطينية ، وكان يقول : ان روح القدس مخلوق ، وأقلم عشر سنين ومات » .

لكن مقالته لم تمت بموته ، بل كان له أشياع وأتباع وخصوصا من بين الموحدين الذين لم يزولوا من المملكة الرومانية ، وإن أصبحوا في الجبل لا سلطان لهم .

لأجل ذلك اعتقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ، وقد ذكرنا بعضا من قراراته ، وكان المقرر والمناظر والمجادل في هذا المقام بطريرك الاسكندرية مهاد الانطاكية الحديثة ، كما نوهنا آنفا ، ويسمى المقدونيين الأبولناريين فقد جاء في كتاب سوسنة سليمان في بيان المجمع القسطنطيني :

« المجمع القسطنطيني المنعقد سنة ٣٨١ بأمر ثيودوس الملك ضد الأبولناريين ، وهم المقدونيون المنكرون للاهوت الروح القدس » .

ويعتقد الكنيسيون إن إنكار الوهية الروح القدس وليد من مذهب الموحدين ، فيقول صاحب تاريخ الكنيسة ، وقد انبعث من جوف هذه الأرطقة (رأى أريوس) أرطقة أخرى لم تكن أقل مناقضة للثالوث الأقدس فكانت تنكر الوهية الروح القدس ، وكان منشئها مقدونيوس ، وهو نصف أريوسي قد اختلس كرسي القسطنطينية واحتجب مدة سنين عديدة تحت رداء المذهب الأريوسي ، ولم تكن له شهرة خصوصية في بهوة الاسجاسي التي أحدثها الأريوسيون . وهذا زعم له نصيب من الواقع ، لأن الذين ينكرون الوهية المسيح ، ويعتقدون التوحيد الصحيح لا يقرون بالوهية الروح القدس .

ولكن يجب أن يلاحظ أنه في الوقت الذي أنكر فيه مقدونيوس لم تكن عقيدة التثليث قد أعلنت في مجمع عام ، وقد يكون موضع حديث البطاركة وتعاليم بعضهم كون الروح القدس الها ، فتصدى مقدونيوس لانكار ذلك ، وتلقى الناس كلامه بالقبول ، ولذا لم ينعقد المجمع للرد عليه إلا بعد أن مات بعدة سنين .

النسطوريون :

١٠٣ — هذه النحلة تنسب إلى نسطور ، وقد كان بطريرك القسطنطينية ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين ، وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد الها ، بل ولدت فقط الانسان ، وهو بذلك يرى أن الاقنوم الثاني ، وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين ، بل كان يرى أن مريم ولدت الانسان فقط ، ثم اتحد ذلك الانسان بعد ولادته بالاقنوم الثاني ، وكيس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلها شيئاً واحداً ، أو ذلك الاتحاد ليس اتحاداً حقيقياً ، بل اتحاداً مجازياً . لأن الاله منحه المحبة ، ووهبه النعمة ، فصار بمنزلة الابن ، وهذا التخريج لا شك يؤدي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلمهم ، وحوكم وعوقب في زعمهم ، لم يكن فيه عنصر الهى قط ، فلم يكن الهاً ولا ابن الاله .

وقد نقلنا فيما مضى عند الكلام على المجمع الثالث أن صاحبة كتاب

تاريخ الامة القبطية تقرر ان كلام نسطور معناه ، او يلزم منه حتما ، انكار الوهية المسيح .

ولما قال نسطور ذلك القول كاتبه كيرلس بطريرك الاسكندرية ، ويوحنا بطريرك انطاكية في ذلك الابان ، ليعدل عن رايه ، فلم يصغ اليهما ، ولم يجب طلبهما ، فانعتد مجمع افسس سنة ٤٣١ ، وقرر لعنه وطرده ، واثبات ان مريم العذراء قد ولدت الانسان والاله .

وقد بينا ذلك الترار ببعض التفصيل عند الكلام على ذلك المجمع .

ولقد ابعد ذلك نسطور عن منصبه ونفى ، فصار الى مصر واقام في اخميم الى ان مات .

ويقول ابن البطريق : « كانت مقالة نسطور قد اندثرت ، فاحياها من بعده بزمان بوصوما مطران نصيين في عهد قباد بن فيروز ملك فارس ، وثبتها في الشرق ، وخاصة اهل فارس ، ولذلك تكاثرت النسطورية في الشرق ، « في العراق والموصل والجزيرة » . ولا يزال الى الآن في الامكن التي يذكرها ابن البطريق نسطوريون ينتحلون هذه النحلة . وياخذون بهذا المذهب .

ويقول صاحب سوسنة سليمان : « ان النسطوريين في هذا العصر يسمون الكلدان يسكنون خاصة فيما بين النهرين ، والبلاد المجاورة لهما ، ولهم تعاليم كثيرة مختصة بهم ، غير انهم يمتازون عن باقي المذاهب باعتقادهم ان نسطوريوس حرمه مجمع افسس ظلما . اصف الى ذلك اعتقادهم بانه لم يكن في المسيح طبيعتان بل اقنومان ايضا ، وكان يحسب هذا المعتقد في الزمن القديم ضلالا مبينا ، واما في هذا الزمان فيحسبه العلماء ، حتى الكاثوليك الرومانيون ، غلطا لفظيا لا معنويا ، لأن هؤلاء الكلدانيين يعتقدون ان في المسيح اقنومين ، كما ان فيه طبيعتين ، ويقولون ايضا بان هذين الاقنومين ، وهاتين الطبيعتين قد انفصتا حتى صار منهما رؤية واحدة » .

وهذا الكلام يدل على امرين : احدهما ان الكنيسة الرومانية التي كانت تشدد في القرون الخالية في طرد كل من يخالف معتقدها ، وتعدّه كافرا لا يلج الايمان قلبه قد تساهلت في هذه العصر ، فوسعت صدرها للمخالفين لها ، وتاولت لهم ، لتدخلهم في حظيرتها بعد سابق الحرمان والطرده واللعن والتكفير .

ثانيهما : أن النسطوريين قد انصرفوا عن مبادئ نسطور ، لأن نسطور كما قررت صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية ، وكما قرر ابن البطريق لا يرى أن الاقنوم الثانى مازج المسيح قط ، بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة لا بالحقيقة ، واستنبطنا كما استنبط غيرنا أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الالهى خلوا تاما ، وهو يصرح بأن مريم ولدت الانسان فقط ، بينما غيره يقرر أنها ولدت الاله والانسان ، وهذا اختلاف جوهري فى الحقيقة والمعنى لا فى الشكل واللفظ ، وإذا كان النسطوريون فى هذا الزمان قد قالوا بامتزاج اللاهوت فى الناسوت كما يقول غيرهم ، فقد انصرفوا عن مقالة نسطور .

والنسطوريون يقيمون كما ذكرنا فى بلادهم بلاد العراق والموصل ، ومنهم طائفة تقيم فى الهند ، وأخرى تقيم فى بلاد العجم ، وهم جميعا يلتزمون بتقاليد وطقوس دينية مما يلتزم به عند غيرهم من الكنسيين ، وليس عندهم من تقليد الا أن اساقفتهم يلتزمون التبتل ، والإمتناع عن الزواج ، وذلك منذ سنة ١٨٣٠ م وهذا كما جاء فى كتاب سوسنة سليمان .

اليقوبيون :

٤٠٩ . — هم اتباع يعقوب البرادعى ، وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الله بعنصر الانسان وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت ، ونسبة ذلك المذهب الى يعقوب البرادعى لأنه من أنشط الدعاة اليه ، لا لأنه مبتدعه ومُنشئه ، فان ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا ، فان أول من أعلنه بطريك الاسكندرية فى منتصف القرن الخامس الميلادى .

وبسبب ذلك الاعلان انعقد مجمع خليكدونية ، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة ، وبسبب ذلك الترار انصلت الكنيسة المصرية من الكنيسة الرومانية . أما يعقوب فقد وجد فى القرن السادس الميلادى ، ويقرر صاحب سوسنة سليمان فى اطلاق اسم اليقوبيين على أصحاب هذا رأى « يطلق عليهم اسم يعقوبيين نسبة الى يعقوب البرادعى الذى أعاد هذه الشيعة ، ورتبها فى القرن السادس للتاريخ المسيحى ، بعد أن كادت تلتشى » .

وقد فصلنا الكلام فى هذه النحلة والأدوار التى مرت عليها عند الكلام فى مجمع أفسس الثانى الذى تسمية الكنيسة الكاثوليكية مجمع اللصوص .

وفي مجمع خليكونية فلا نعيد لم ذكرناه ، حتى لا نقع في التكرار الممل .

والذين يقولون ان المسيح ذو طبيعة واحدة ، ينقسمون الى آسيويين وأفريقيين ، ولكل قسم رئاسة دينية خاصة به .

ف رئيس الآسيويين هو بطريرك السريان ، ومن هؤلاء الآسيويين من اعترفوا برئاسة الكنيسة الكاثوليكية ، فقبلهم وان استمروا على رأيهم . ورئيس الأفريقيين هو بطريرك القبط المقيم بالقاهرة ، ويتبعه في هذه الرئاسة سكان الحبشة المسيحيون ، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية ، وهو يعين لهم أسقفا يسوسهم .

ومن الذين يعتقدون ان المسيح ذو طبيعة واحدة — ويتحدون مع الكنيسة القبطية في ذلك الاعتقاد ، ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس ، ولهم بطاركة يرأسونهم ، ولا يندمجون في كنيسة القبط ، ولا كنيسة السريان بآسيا — الأرمن .

المارونية :

١٠٥ — هم أتباع يوحنا مارون ، وقد اشتهر يوحنا هذا برأيه سنة ٦٦٧ ، ودعا ليه وشايعه بعض القسيسين فيه ، ومعهم بعض من مسيحي آسيا ، وهو ان المسيح ذو طبيعتين ، ولكنه ذو ارادة او مشيئة واحدة ، ومن اجل هذه النقطة الجديدة اجتمع المجمع العام السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ من بعد الميلاد ، وقرر حرمان مارون ، ولعنه وتكريم وكل من يذهب بمذهبه ، ويحتل نطقه ، وقد اشرنا الى ذلك المجمع ، ونقلنا لك قراره في المذهب ، فلا نعيد نطقه .

ويظهر ان المنتحلين لهذا الرأي لم يكونوا ذوي شوكة وقوة حتى يكونوا بمنجاة من الاذى والاضطهاد ، فقد نزلت بهم اضطهادات شديدة لم يكن لهم من يدفعهم عنهم الا الفرار ، فلم يجدوا لهم ملجأ يعتصمون به الا بعض البلاد في جبل لبنان ، فاعتصموا بها ، وقد استمروا على اعتصمهم وبعدهم ، حتى اذنتهم اليها الكنيسة الرومانية وقربتهم منها ، واعملت الحيلة والسياسة ، حتى اعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والاتحاد معها على ان يبقوا على رأيهم ، ولقد كان اتحادها مع الكنيسة الرومانية سنة ١١٨٢ بعد الميلاد ، وما زالت هذه الطائفة متوطنة بجبل لبنان ، ولها بطريرك خاص ، وان كانت تقر بالرئاسة لبطريرك روما .

الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية

أساس انقسام الكنيسة الى شرقية وغربية :

١٠٦ — كان فيما ذكرناه أعظم الانقسامات القديمة شأننا ،
وابعدها اثرا ، ان استثنينا الكنيسة القبطية ، انقسام الكنيسة الى
يونانية ولاتينية وما يتبع ذلك الانقسام من انشقاق في المسيحية كلها ،
وما تفرع عن الاولى من فروع وفرق ، وانا نكتفى بهذا القدر من القول في
الفرق القديمة التي ما زال منها بقايا الى ايامنا الحاضرة ، ونختتم القول
فيها بانقسام الكنيسة الى يونانية شرقية ولاتينية غربية ، وقد نوهنا الى
الانقسام عند الكلام في المجامع ، واشرنا الى اسبابه بالاجمال .

وقد تبين من هذا ان أساس الخلاف بين كنيسة القسطنطينية التي
ألت اليها رئاسة الكنيسة الشرقية اليونانية قاطبة ، وكنيسة رومة التي
ألت اليها رئاسة الكنيسة الغربية اللاتينية إمران :

أحدهما — يتعلق بالاعتقاد — وهو ان كنيسة القسطنطينية ومن
والاها من بعد اعتقدوا ان الروح القدس من الآب وحده ، لا من الآب
والابن ، وكنيسة روما ومن والاها قد اعتقدوا ان الروح القدس منبثق من
الآب والابن معا ، وعقد كل فريق مجمعا شايع اعتقاده وتابعه فيما اقتنع
به ، وكان المجمع المشايخ لرومة سنة ٨٦٩ ، والمشايخ للأخرى بعده بعشر
سلوات سنة ٨٧٩ .

ثانيهما — لا يتعلق بالاعتقاد — ولكن يتعلق بالرئاسة الكهنوتية ،
أهي لكنيسة القسطنطينية أم لكنيسة رومة ؟ لقد قرر المجمع الذي شايع
رومة ان تكون لرومة ، ورئيس كنيستها هو الحبر الأعظم والرئيس
الروحي للمجمع ، وقرر المجمع الذي شايع القسطنطينية رفض تلك
الرئاسة وعدم الاعتراف بها ، ويعتبرون رئيس القسطنطينية رئيسا عاما
للكنيسة .

ولقد تبع هذا الاختلاف في هاتين المسألتين الرئيسيتين خلاف في
مسائل أخرى أوجدها تتابع السنين واستمرار الشقاق ، فقد كثرت أوجه
الاختلاف في مسائل فرعية منها :

(م ١١ — محاضرات في النصرانية)

- ١ — استعمال الفطير في العشاء الرباني بدل الخبز ، فان ذلك أقرته الكنيسة الغربية ، ولم تعترف به الكنيسة الشرقية .
 - ٢ — اكل الدم والمخنوق ، فان الكنيسة الغربية أباحتها وهو مخالف لجمع الرسل في اورشليم الذي انعقد بعد مفارقة المسيح بنحو اثنين وعشرين سنة .
 - ٣ — اكل الرهبان دهن الخنزير ، فهو مباح عند الكاثوليك دون الكنيسة الشرقية .
 - ٤ — لبس الاساقفة الخواتم في أصابعهم وحلق الكهنة لحاهم .
- وجاء في حاشية لكتاب سوسنة سليمان ما نصه : « يوجد اختلافات غير هذه بين الروم واللاتين لم يصرح بها هؤلاء البطارقة . وربما كان ذلك لكونها ما كانت تحددت وقتئذ كتاعدة دينية في كنيسة رومة ، كالطرس الذي لم يثبت الا في مجمع فلورنسا المنعقد في سنة ١٤١٩ ، ثم أوجب قبوله على كل الكنائس الغربية المجمع التريدينتي في القرن السادس عشر .
- أما الفرق بينه وبين عقالات جهنم التي يقررها الروم ، فهو أن المظهر نار مطهرة يتخلص منها الخاطيء بعد أن يقاص فيها بمقدار جرم ذنوبه .
- أما عقالات الجحيم ، وهي نظير حبس يقيم فيه الخطاة الى يوم الدينونة الذي به ينالون القصاص الابدی في جهنم ، والصلوات التي يقدمونها لأجل الموتى ، يعتقدون أنها تطفئ نوعا أحوال هذا الحبس عليهم تلطفيا وقتيا فقط .
- وكذلك منع الشعب من الاشتراك في الكأس اذا لم تثبته كنيسة رومية الا في مجمع كنستانس سنة ١٤١٥ » .

تقديم الزمن يوسع الخلاف :

- ١٠٧ — كان كلما تقدم الزمن على النقطة التي ابتدأ منها الخلاف اتسعت فرجانه ، وكبرت زاوية الانفراج ، وكلتا الكنيسيتين ذات بأس وقوة ، وكانت في القديم لها دولة تجميها ، إذ كانت دولة الرومان منقسمة الى شرقية وغربية . فكان استقلال كل واحدة من الدولتين وانفصالها عن الأخرى مما أكد الفرقة وقوى الانقسام .

ولقد كان يأتي الفينة بعد الأخرى صوت يدعو إلى الوحدة والائتلاف بدل الاستمرار على الفرقة والانقسام ، فتعقد لأجل هذا مجامع ، وترسل الوفود . ولكن ما أن يتلاقى المتخاصمان ، حتى تعاد أسباب النزاع جذعه ، إذ كل واحدة ترغب في أن تنزل الأخرى عن رأيها ، فتلاحى كل واحدة مما تعتقد ، فيشتد الجدل ، ويحمى وطيس القول ، فتتفرقان ، وقد زادت القطيعة قوة واحتداما .

محاولة إزالة الخلاف :

حاول أحد بطارقة روما في منتصف القرن الحادي عشر أن يجمع الشتات ، ويلم الشبل ، وعرض مبادئ تكون أساسا للمصلحة ، رفضها بطريك القسطنطينية ، وأصدر الأول قرارا بحرمان الثاني ، فأصدر هذا قرارا بحرمان الوفد الذي عرض عليه الشروط .

وهكذا ازدادت الفرقة بسبب ذلك التلاقى ، وأغرى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، ويظهر أن السبب في ذلك ما تعتقده كل واحدة منها أن الأخرى خارجة على الدين ، ورغبة كل واحدة في أن تجتذب الأخرى إليها كما بينا .

انتقاد مسيحي للكنيسة الغربية :

ويقول في ذلك صاحب سوسنة سليمان : « ان الكنيسة الرومانية تدعى أن كل المذاهب المسيحية على وجه الإطلاق هي شيع هرطوقية خارجة منها ، ومنفصلة عن شركتها . وهذه الدعوى تصح لأية كنيسة لمكتها أن تبت لذاتها الأقدمية في الثبات على المعتقدات الصحيحة الأصلية . أما كنيسة رومة ، فليس لها في هذه الدعوى إلا الاستيلاء على إمانة صندوق التقليدات .

غير أن سلامة الذوق تقتضي بأنه كلما قلت التساليد في كنيسة من الكنائس دل على أقدميتها بالنسبة التي تزيد عليها فيما هو من هذا القبيل ، لأن التقاليد على ما يستبين من مجريات رومة قابلة للزيادة ، والزيادة أحداث ، والأحداث في الدين لا ريب في أنه بدعة ، والإبداع هو عين ما يسميه المسيحيون هرطقة » .

ونرى من هذا أن صاحب هذا الكتاب ينتقد الكنيسة الغربية بكثرة
وفعل السبب في ذلك النقد ليس مجرد الحق ، بل كونه ليس من مذهبها ،
والأكثر من كل ما نقوله مقدسا لا بدعة فيه .

١٠٨ — وقد بينا البلاد التي تتبع الكنيسة الغربية ، وكانت
فيها مضي كل أوروبا تقريبا ، وبعض طوائف في آسيا ،

بطارقة الكنيسة الشرقية :

أما البلاد التي تتبع الكنيسة الشرقية ، فأكثرها في الشرق كما أسلفنا
من القول ، ولها بطارقة .

أولهم بطريرك القسطنطينية ، وهو كبيرهم ويضيفون إلى لقبه وصفه
أنه البطريرك المسكوني ، ويقول صاحب سوسنة سليمان : « أنه ليس
إلا لقباً تشریفياً فقط ، فليس له تسلط على غيره من البطاركة أو الأساقفة
المستقلة بوجه قانوني أصلاً » .

ويليه في الرتبة والمكانة الدينية بطريرك الاسكندرية للأروام
الأرثوذكس ثم بطريرك انطاكية ، ثم بطريرك اورشليم ، ثم المجمع الروسي ،
ثم عدة مجامع لاستقليات مستقلة أخرى كاستقفية أثينا ، وأستقفية قبرص
وغيرها .

وقد ظهرت في روسيا التي كانت تسودها هذه الكنيسة شيع وفرقة
كثيرة بلغ عددها نحو مائتي نحلة ، وتعداد أصحاب هذه الفرق الجديدة
مجتمعة لا يزيد عن خمسة عشر مليوناً .

منهم فرقة لا ترى تعميد الأطفال ، ومنهم شيعية تحسن للنصراني
أن يقتل نفسه في حب المسيح ، ومنهم شيعية يحرقون أنفسهم لتعمدهم
النار ، فيظهروا بها ، ومنهم شيعية تنزح الختان باعتباره كان المسيحية
الأولى ، وفي التوراة التي تعتبر النصرانية مجددة لها ، وهكذا تختلف النحل
وتتباين ، وكل واحدة تعتقد أن رأيها هو محض الحق المبين .

الاسلام يظل الكنائس الشرقية بالحرية الدينية :

١٠٩ — ذكرنا أن العلاقة بين الكنيستين على أشد ما يكون خلاف ، كل تعد الأخرى قد خرجت عن نطاق الدين ، وقد كانت الحال من قبل كذلك بين كنيسة القبط بمصر والكنائس الأوربية . ونزل ببصر أشد البلاء ، ولم ينقذهم الا الفتح الاسلامى ، فمن وقت حكم المسلمين لمصر والشام الى الآن شعرا المصريون بحريتهم التى لم يستمتعوا بها من قبل ، حتى اهداها اليهم الاسلام السمع الكريم .

ولما اختلفت الكنيسة الغربية مع الكنيسة الشرقية كان من المنتظر أن تنزل اهداها بالأخرى أشد البلاء ، ولكن ذلك لم يتم أول الامر لانقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية ، واعتصام كل واحدة منهما بدولة ، لذلك لم تتمكن واحدة منهما من رقبة الأخرى . فلم تقبض على ناصيتها .

ولكن لما أخذت الدولة الشرقية فى الانحلال ، وخلفها المسلمون على بعض املاكها ، وأخذوا يقصونها من اطرافها . أخذت ترجح احدى الكنتين على الأخرى فقويت الغربية ، وصارت لها السيادة . واعترف بطريك القسطنطينية له بالتقدم عليه فى الجلسة ، وان لم يعترف بأنها على حق فيما يختلفان فيه ، وما اختلفا فيه من قبل ، والبلاد التى اقتطعها المسلمون كانت تنعم بالحرية الدينية كشأن المسلمين فى معاملتهم لغيرهم .

ولما جاءت الحروب الصليبية ، استولى الصليبيون على اورشليم التابعة كنيستها للكنيسة الشرقية وغيرها من المدن الاسلامية التى يعيش فى ربوعها المسيحيون آمنين مطمئنين ، لا يزعجهم اضطهاد ، ولا يرنق صفاءهم ضغط ، ثم ثنى أولئك الصليبيون اتباع الكنيسة الغربية ، فاستولوا على دولة الرومان الشرقية نفسها ، فأنزلوا باخوانهم من البلاء ما لم يكونوا يعزفون .

ولنترك الكلمة للمسيحى صاحب سوسنة سليمان ، فهو يقول :
« حرك البابا اتوسنت الثالث قواد الصليبيين لنزع المملكة الشرقية من يد اليونان ، فانتتحو القسطنطينية سنة ١٢٠٤ ، وداموا متسلطين عليها الى سنة ١٢٦١ م فاستعملوا ما امكهم من البربرية فى الاراضى التى

امتلكوها من بلاد سورية وفلسطين ، ليخضعوا بطارقة اورشليم ، وجميع
الاكليس اليونانى بواسطة الحبس واقفال الكنائس الى أن احوجهم أن
يفضلوا مودة العرب حكام البلاد الأصليين على موادتهم ويختاروا تسلط
شعب يرضى بجزية على أن يتسلط عليهم ملك روى طمعه وطمع تصاده .
« لا يشبعان » .

حينئذ احس اولئك المسيحيون بنعمة الاسلام عليهم ، ونعمة حكم
المسلمين لهم ، فقد سامتهم الكنيسة الغربية وملوكها الخسف والهوان ،
وثقبوا عن قلوبهم ، وبحثوا عما تكنه الصدور ، ولكن نعمة الاسلام كانت
تلاحقهم ، فلم ينقض زمن طويل ، حتى جاءهم الاسلام فى القسطنطينية
واعطاهم الأمن والدعة والقرار والاطمئنان ، حتى لقد قالوا كما حكى
صاحب السوسنة : « عمامة السلطان محمد الفاتح ، ولا تاج الباب
المظت » .

وهكذا كان الاسلام رحيما تسع رحبته المخالفين .

الفرقة الحبيثة « البروتستانت » (١)

او الاصلاح الدينى

حال الكنيسة قبل الاصلاح :

شدة الكنيسة على الناس والعلماء :

١١٠ - اشدت ضغط الكنيسة الكاثوليكية على المسيحيين ، وبالغت في فرض آرائها عليهم بمبالغة تجاوزت حد الفلو ، ولم تسلك في ذلك سبيل الموعظة الحسنة ، والدعوة الصالحة ، والارشاد القويم ، ومخاطبة الأرواح والنفوس ، وتمكينها من أن تتبعها ، وهى حرة مريدة مختارة ، بل سلكت سبيل العنف وركبت متن الشدة ، فجعلت كل رأى فى العلوم الكونية يخالف رأيها كفرا ، ولا تدعو معتنقيه الى الهداية ، وترشده الى الرشاد ، كما يليق برجال الدين مع من يرونه ضالا ، بل تكفر لأوهى الأسباب ، وتحرق أو تعذب من تراه كافرا بلا رفق ولا هوادة .

فهذا المجمع الثانى عشر من مجامع الكنيسة وهو المجمع المسمى باللاترانى الرابع المنعقد سنة ١٢١٥ يقرر استئصال الهرطقة ، ويعنون بذلك كل من يرى رأيا مخالفا للكنيسة ، ولو كان رأيا فى الكون أو طبائع الاشياء ، ولم تكف الكنيسة بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها ، بل أخذت تنقب على القلوب وتستكنه خبايا النفوس ، وتكشف عن سرائر الناس بما اسماه التاريخ محاكم التفتيش ، التى دنست تاريخ الاديان بما ارتكبت من آثام ، وما أزهقت من أرواح ، وما سفلت من جماء ، وما عذبت من احياء .

(١) سمى الذين اعتنقوا مبدا الاصلاح الكنى ، وخرجوا على الكنيسة الكاثوليكية بروتستنت ، لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجا يسمى بالانجليزية برتست ، فسمى الذين أمضوا القرار بروتستنت ، أى المحتجين .

وان جهر رجل من رجال الدين بالدعوة الى الاصلاح ، داعيا رجال الكنيسة الى اخذ الناس برفق ، وحاثا رجال الدين على الاخذ بهديه كان عقابه الحرمان والقتل .

حدث في اوائل القرن الخامس عشر ان احس اساتفة فرنسا بوجوب اصلاح حال البابوات ، فانعقد لذلك مجمع مؤلف من ١٥٠ أسقفا ، و ١٨٠٠ من رجال الدين ، ولكن هذا المجمع انتهى في قراراته بالامر باحراق يوحنا هوس مصلح كنيسة بوهيميا ورفيقه جيروم .

ولقد حرق وعذب في هذا السبيل علماء استشهدوا في سبيل العلم بسبب مظالم تلك الكنيسة ، وضيق صدر القوامين عليها .

ومما يذكر في هذا ان احد العلماء واسمه ابيلارد كان له رأى في تكفير المسيح عن خطيئة آدم خالف به رأى الكنيسة فقال : ليست حياة المسيح وصلبه وما لاقى في ذلك من تعذيب سبيلا لارضاء الله وانزال عفوه عن خطيئة الانسان ، فعفو الله ايسر من ذلك واقرب ، وانما لاقى المسيح ما لاقى اعلانا لما يكنه قلبه من حب الله ، وعسى أن يثير في الناس عاطفة الشكر وعرفان الجميل ، فيعيدهم الى طاعة الله . ولكنه ما أن قال ذلك القول حتى انعقد مجلس محاكمته ، فكان نصيب كتبه التحريق ، ونصيبه السجن الدائم ، حتى وافته منيته .

وجاليليو يرى رأيا في الكون فيسجن لذلك الرأى ، مع ان رأيه ليس من أمور الدين في شيء .

فرض سلطاتها على الملوك :

١١١ — بالغت الكنيسة في شدتها ، كما رأيت ، ولم يلج حتى الملوك من طغيانها ، فقد كان انقسام الدولة الرومانية الغربية الى ممالك مختلفة ، واعتبار كل مملكة وحدة سياسية لا تتصل بالأخرى الا اتصال محبة وسلام ، او حرب وخصام — كان ذلك سببا في ان صار البابا لا سلطان لأحد من ولاة الامر عليه ، وقد تقرر هذا من بعد كما صار تعيين البابوات باختيار المجمع ، لا بتعيين ملك أو أمير ، مهما تكن قوته وسطوته وصار البابوات بعد تعيينهم غير خاضعين بأي نوع من أنواع الخضوع لأي ملك من الملوك ، وعلى النقيض من ذلك لهم هم السلطان الذي لا يزد على

كل مسيحي ، مهما تكن مكانته ، يستوى في ذلك الأمير والخير ، والراعى والرعية ، فليس لاي ملك سلطان على البابا ، والبابا له سلطان على كل ملك ، لانه مسيحي ، وله السلطان الكامل على كل المسيحيين ، ولان البابا خليفة لبطرس الرسول وبطرس الرسول اقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده ، فالبابا على هذا الاساس خليفة للمسيح ينطق باسمه ، ويتكلم بخلافته ، وينفذ بسلطانه ، ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح ، وحارب دينه .

قرارات الحرمان تنال الملوك :

وبهذا المنطق فرضوا اوامرهم على الملوك ، كما فرضوها على سائر الناس ، ولذا لم ينج بعض الملوك من قرارات المجامع بحرمانهم ، وطردهم من حظيرة المسيحية ، ولعنهم ، فقد جاء في كتاب سوسنة سليمان : « المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من أعمال فرنسا سنة ١٢٤٥ بأمر البابا اينوسنت الرابع لأجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرمانه ، وهذا المجمع لم تسلم كنيسة فرنسا حتى الآن بصحته او بسلطانه مطلقا » .

لم ينج اذن الملوك من قرارات الحرمان والطرء ، وان لذلك اثره في نفوس شعوبهم ، كما انه يحفز الملوك على العمل من جانبهم على حماية أنفسهم ، وهم في ذلك لا يمتنعون عن ان يثيروا القتالة في رجال الكهنوت ، ويكبروا صفائهم ، ويروجوا عنهم ما يحط من قداستهم ، حتى ينفردوا بالاحترام ، ولا يكون سلطان لأحد غيرهم .

١١٢ — هذه هي الكنيسة في معاملتها للناس ، عنف وزجر وقسوة ، لا ارشاد وهداية واصلاح ، وهي تضرب كل من يعترض طريقها . لاتفرق بين سائس ومسوس ، وحاكم ومحكوم ، وراع ورعية .

وقد احتكمت لهذا بذوى السلطان ، فكان لابد من مغالبة بينهما . ولم يكن الأمر مقصورا على الاذى البدنى تنزله بمن يخالفها ، ولو فيها ليس عينه وبين الدين نسب ، ولا يتصل به بسبب . بل تجاوز ذلك الى ارهاق المسيحيين باتاوات مالية يفرضونها ، وضرائب كبيرة يأخذونها ، وعلى ذلك حصار المسيحيون قاطبة يتنون تحت نير ثقيل ، سواء في ذلك من خالف ومن وافق ، فالمخالف بالعذاب يهرأ به جسمه ، والموافق بالمال يثقل به ، وتفرض عليه ضرائب لأسباب غير معقولة وغير مقبولة احيانا وما يجمع

من اموال الفقراء والمحدودين التي حصلوا عليها بالكد والغلبة يتوزعها رجال الدين بينهم ، وينفقونه اسراما وبقارا في سبيل تحقيق رغباتهم ، وبذلك كانوا يجمعون المال من غير حله ، وينفقونه في غير حله أيضا ، وبذلك انغمسوا في شرماء في هذه الدنيا ، وتركوا لب الكرخ .

استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة :

١١٣ — ولقد احتجرت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة عندهم ، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس ، ولا معقب لها تقول في هذا التفسير ، أو في رأى تبديه ، أو أمر تعلنه ، وعلى الناس أن يثلثوا قولها بالقبول وافق العقل أو خالفه ، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولاً قالته أو مبداً دينياً أعلنته أن يروض عقله على قبوله ، فإن لم يستطع ، فعليه أن يشك في العقل ، ولا يشك في قول البابا . لأن البابا خليفة لسلسلة الخلافة التي بينها .

ولقد كانت تعلن أموراً ما جاء بها الكتاب المقدس عندهم ، وما تعرض له المسيحيون الأولون ، لا المجامع الأولى ، وهي أمور غريبة جد الغرابة ، بعيدة عن القبول في أحكام العقل جد البعد ، وتلزم المسيحيين بها ، وتفرضها عليهم فرضاً ، ومن قال كلمة فيها قالويل له ، ينزلونه به في الدنيا ولا ينتظرون حساب الدين في الآخرة .

ونذكر القارئ على سبيل المثال مسألتين كان لهما أثر في الفكر المسيحي ، وبسببها هما وغيرهما تقدم المصلحون في جراحة ، داعين إلى اصلاح الكنيسة بالحسنى أو بغير الحسنى . هاتان المسألتان هما مسألة الاستحالة ، ومسألة الففران .

مسألة الاستحالة والففران :

١١٤ — أما مسألة الاستحالة فالأساس فيها ما علمت في شرح الشعائر النضرائية ، من أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزاً ويشربون خمراً ، ويسمون ذلك العشاء الرباني ، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل إلى جسد المسيح ، وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه ، وذلك أمر غريب في العقل ، لا يستطيع أن يستسيغه أحد

ببسر وسهولة ، بل لا يستطيع أن يستسيغه قط . اذ كيف يتحول الخبرا
لخما ، وكيف يصير لحم شخص معين معروف . وكيف تتحول الخبر دما ،
وتصير دم شخص معين معروف ؟ ذلك غريب . بل مستحيل التصور والقبول
في العقل ، ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته ،
والأعرضوا للطرد والحرمان . وهل ورد هذا الأمر في الكتب المقدسة ،
حتى يجب الأخذ به من غير تفسير أو تأويل . انه أمر استقلت به الكنيسة
وأعلنته وأبدته في أحد مجامعها ، غير معتمدة في ذلك على نص صريح
من الكتب المقدسة عندهم .

ولقد خالفت في بعض شأنه الكنيسة الكاثوليكية غيرها من الكنائس ،
فالكنيسة الشرقية ترى أن العشاء الرباني لا يكون بالفطير ، بينما تراه
الكنيسة اللاتينية ، ووجد من أحرار الفكر من ينكرون هذه الاستحالة ،
ويعتقدون أنها غير ممكنة في العقل ولا سائغة في الفكر .

١١٥ — اما المسألة الثانية فهي مسألة امتلاك الكنيسة حق
الفقران للمسيح في الدنيا ، فقد قرره الكنيسة حقا لنفسها في المجمع الثاني
عشر أيضا .

وقد جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع في هذا الشأن :
« انتهى المجمع تعليقه فيما يتعلق بأمر الفقران فقال : « ان يسوع المسيح
بما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات . وقد استعملت الكنيسة
هذا السلطان الذي نالته من العلام منذ الأيام الاولى ، قد أعلم المجمع
المقدس ، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العلية الخلاصية
للشعب المسيحي ، المثبتة بسلطان المجمع » .

ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون ان الغفرانات غير مفيدة ،
أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها ، غير انه قد رغب في أن يستعمل
هذا السلطان باعتدال واحتراز حسب العادة المحفوظة قديما ، والمثبتة
في الكنيسة ، لئلا يمس التهذيب الكنسي تراخ بفرط التساهل .

افراط الكنيسة في استعمال حق الفقران :

هذا قرار المجمع ، وفيه تمكين للكنيسة من سلطان قوى جبار ،
وهو سلطان مسح الذنوب ، وغفرانها مهما يكن مقدارها ، ومهما تكن

قد دنست النفس ، وإركنت القلب ، ولكنه قد أوصى الكنيسة بالاعتدال والاحتراز ، حتى لا يؤدي الإفراط في منح الغفران الى ترك التمييز الدينى ، وهجر تعاليم الكنيسة ، والعبث بهدى الدين ، فهل أخذت الكنيسة بما اعطاها المجمع ، وراعت حق الرعاية ما أوصاها به من عدم الإفراط فى الاعطاء والمنح ؟ لقد أتى حين من الدهر من بعد أن أعطى رجال الدين أنفسهم ذلك الحق ، أن افراطوا فى اعطائه افراطا شديدا وأنشأوا له صكوكا تباع وتشترى ، فباعوها كأنها عرض من أمراض الدنيا ، ومتعة من متعتها ، وبذل العصاة فى سبيلها المال ، وما كان عليهم من حرج فى أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات ، وينالوا ما تهوى الأنفس من معاص . ما دام ذلك يفتدى بمال قل أو جل ، وهذا نص صك الغفران الذى يباع ببيع السلعة .

صورة من صك الغفران :

« ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ، ويحك باستحقاقات آلام الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى أحلك من جميع التصاصات ، والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لابينا الإقدس البابا ، والكرسى الرسولى ، وأمحو جميع أقدار المذنب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع التصاصات التى كنت تلتزم بمكابذتها فى المطهر وأردك حديثا الى الشركة فى إسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسين ، وأردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كننا عند معموديتك ، حتى انه فى ساعة الموت يفتح أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدي الى فردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس » .

هذه صورة من صور صك الغفران تذكر أنها تمحو الآثام ، وتغفر ذنوب المعاصى ما تقدم منها وما تأخر ، تفصله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ، ثم لا يصير قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ، ومهما ينغمس فى المعاصى . كان ذلك الصك جواز المرور الى النعيم المقيم ، لا يعوق حامله عائق ، ولا يردده عن الوصول خازن أو حارس .

هذا ما يدل عليه الصك ، وهذا ما كانت تحاول الكنيسة ان تلقيه في روع الناس تمكينا لسلطانها ، ورغبة في نقودهم التي يبذلونها للكنيسة . في سبيل الحصول على ذلك الصك الذي يكون سر الامان ، وطريق الوصول الى الغاية .

لقد ابتدأت الكنيسة صك الغفران بمسألة الاعتراف بالذنوب عند الموت والتوبة ، ثم تولى التسييس مسح هذه الذنوب والشخص لم يودع الدنيا . ثم انتقلت من ذلك الى ان جعلت لنفسها الحق في الغفران ، والشخص قوى يستقبل الحياة ، ولا يودعها ويتبل على متعبا ، ولا يدبر عنها ، وغالت فجعلت لنفسها غفران ما تقدم وما تاخر من الذنوب ، ثم افرقت في المغالاة ماتخذها رجال الدين بابا من ابواب الكسب للكنيسة . ثم انهم ينفقون ما يجمعون من مال فيها يحله الدين والاخلاق ، وما قد بحرمانه ، وبذلك طم السيل ، حتى جاوز الحزام الطبيين .

سلوك رجال الدين الشخصي :

١١٦ — وهل كان رجال الدين في سلوكهم الشخصي ، وفي استمساكهم بعروة الاخلاق ، وهدى الدين يستحقون ان يبذل الناس في طاعتهم ما يبذلون ويروضوا انفسهم على الخضوع لآرائهم ، وقبولها بقبول حسن ، متهمين العقول ان حاولت التمرد والعصيان ، لأن حال رجال الدين بعيدة عن الظنة ، منزهة عن الريبة ، قد سموا بانفسهم ، حتى ساموا في العلو القديسين والشهداء والصالحين ، وجعلوا انفسهم عنوان العفة ، وبخع النفس من الشر ، وافتدوا الفضيلة بانفسهم او عرضوا انفسهم للفداء كما كانوا يرون ان المسيح قد فعل من قبل ؟ لقد كانت حال رجال الدين تحوطها الريب من كل جانب ، وتأخذهم الأنظار المتعقبة من كل ناحية من نواحي الحياة . جرموا على انفسهم الزواج اذ ساءت الرهبانية . وسيطرت على نفوسهم ، فجعلوا زواجهم حراما ، لينصرفوا لخدمة كنيسة الرب ، ويقوموا على سدانتها ، ويرعوها حق رعيتها ، ولكن ما ان توردت عليهم الاموال ، وكثرت اناهم اسباب النعيم ، حتى فكها فيها مترفين . وانغمسوا في الملاذ يبيسطيون اطينها ، ويطلبون اثبدها ، ولما مكثوا لانفسهم من السلطان ، اندفع بعضهم في طلبها اندفاعا ، ومنهم من استهتر في سبيلها استهتارا ، وخرجت حال بعض اولئك المنغمسين في الخطايا من

السر الى الجهر ، ومن التستر الى التفتش ، ومن الخفية الى الاعلان ،
واتصل بعضهم بالنساء اتصال سفاح ، بعد ان حرموا على انفسهم النكاح ؟
ولم تتمنع النساء المتصلات بهم من ان يعلن ذلك ملاخرات به ، وجاء من
ذلك الاتصال الاثم اولاد لا آباء لهم ، ولكن لهم حظوة ، لان بعض رجال
الدين يعرفون آباءهم ، كما يعرفون أبناءهم ، فيمكنون لهم بسلطانهم الدينى
سلطانا دنيويا .

ولقد كانت تلك الحياة اللاهية العابثة الفاسدة ميزة اختص بها بعض
رجال الطبقة العالية الدينية انفسهم ، أما التحوط من رجال الدين منى
مقر مدقع ، وفي حياة همى اقرب الى الدين المسيحى من حياة كبرائهم ،
ونوى السلطان فيهم وفي الشعب .

ابتداء الإصلاح :

١١٧ — هذا سلطان الكنيسة ، وتلك حال رجالها ، يتدخلون
فى كل شىء ، يتقبون عن القلوب ، وقد سترها ملام الغيوب ، ويرهقون
من يتهمونهم بأقضى انواع المذاب ، ويفرضون سلطانهم على الراعى
والرعية ، حتى يتحمل من تحكمهم الملوك والأمراء ، وذوو الفكر من الشعوب
ويجبون الاتاوات ويفرضون الضرائب حتى كأنهم الجباسة العشارون
لا رجال الدين المذهبون ، ويعطون انفسهم حق مسح الخطايا بعد اعتراف
المذنب فى آخر أيامه فى الدنيا ، وأول أيامه فى الآخرة ، ثم يغالون ، فيمنحون
انفسهم حق غفران الذنوب السابقة واللاحقة للقوى الصحيح ، ويكتبون
فى ذلك صكوكا يبيعونها بثمن قليل أو كثير ، ثم يقضون أو بعضهم حياة
كلها لهو ، وحولهم الناس ينظرون ..

ولقد بلغ السيل الزبى فى العصر المشهور فى التاريخ الأوربى بعصر
النهضة ، وفيه نهضت الإرادة الانسانية ، والمثل الانسانى يفرضون
وجودهما ، وفيه استطاع الأوربيون أن يروا نور الله فى الاسلام ، والتدين
الحقيقى فيما يدعوا اليه هذا الدين ، اذا اتصل الشرق بالغرب فيما قبس
الغرب من دراسات يلقاها على أساتذة من المسلمين بشكل خاص ،
ومن الشرقيين بشكل عام ، وفيه علم أن لا سلطان لأحد من رجال الدين
على القلب ، وان لا وساطة بين الله والعبد ، وأن الله قريب ممن يدعوه ،
ويجيب دعوة الداعى اذا دعاه .

دعوة بعض رجال الدين الى الإصلاح :

حينئذ أخذت الأنظار المتربصة تحصى على رجال الدين ما يفعلون ، ووجد من بينهم من استنكروا حالهم ، وأخذوا يدعون زملاءهم الى اصلاح حالهم ، ليردوهم الى حكم دينهم قبل أن يفوت الوقت ، وقبل أن ينفذ الناس ، وقبل أن يحملهم العامة على الإصلاح .

ولقد جاهر بذلك جيروم وهوس ، ولكن كان نصيبها ان أعدها نهرقيا بالنيران ، وكان ذلك بقرار من مجمع كونستانس الذى انعقد من سنة ١٤١٤ الى سنة ١٤١٨ ، ولقد قرر ذلك المجمع قتل هذين العالمين حرقا بالنار ، لأنهما دعوا الكنيسة الى عدم الأخذ بها يسمى سر الاعتراف ، مبينين أن الكنيسة ليس لها سلطان فى محو الاثم أو تقريره ، وانما التوبة مع رحمة الله هى التى تحو الاثم ، وتطهر النفس من الخطايا ، ولقد تقدم الى المجمع يوحنا هوس ليدافع عن آرائه ، وهذا ما قاله كاتب متعصب للكاتوليك فى ذلك الدفاع :

« لدى دخوله أخذ يعلن غواياته قبل انتظاره حكم المجمع على تعليمه فقرر الراى على القاء القبض عليه ، وفوض المجمع الى بعض أعضائه أن يفحصوا مؤلفاته والحوار عليه أن يقلع عنها ، ولكنهم لم يستفيدوا شيئا ووجدوا فى مؤلفاته فصولا كثيرة تتضمن أضراليل ، وقد خولوه الحرية ليوضح أقواله فى كل منها ، وحرصوه على الخضوع لحكم المجمع ، وعرضوا عليه صورة الرجوع عن ضلاله ، فأبى أن يمضيها ، وبقي مصرا على غيه ، ولم يشأ المجمع أن يتوصل معه الى المضايقة الأخيرة ، بل حاول مرارا أن يرده عن عناده فحكموا أولا على كتبه بالتحريق رجاء أن يخيفوه بذلك ، لكنه لبث مصرا على عناده ، فحينئذ حطوه عن الدرجات المقدسة حطا احتقاليا ، وأسلموه لحكومته فحكمت عليه بالخرق حيا بمقتضى نوااميس المملكة ثم نال جيروم تلميذه وقرينه فى العناد هذا العقاب نفسه .

أما المجمع فلم يطلب قط هذا العقاب بل ترك للتضاء المذنى أن يعمل بموجب شرائع المملكة التى كانت تعطى الملك حقا فى أن يعاقب من يفسدون النظام المذنى بينهم بتعاليم سيئة تثقل راحة الجمهور .»

هذا ما يقوله الكتاب المدافعون من الكنيسة ، ومنها يكن قولهم في برامتها من دم أولئك الذين حاولوا من رجال الدين اصلاحا ، فمما لا شك فيه أنها لم تصغ الى اقوالهم ، بل عاقبتهم عليها بالحرمان ، فسلبتهم المنصب الدينى ، ثم عاونت بذلك على قتلهم امطع قتلة ، ان لم تكن هى الفاعلة .

ابتداء الاصلاح من غير رجال الدين :

١١٨ — كانت ارمصاصات الاصلاح تبدو الوقت بعد الآخر ، ويظهر به رجال استعدوا للعداء زمنا بعد زمن ، وكانت البلاد التى تظهر فيها آراء الاصلاح فى شمال اوربا وانجلترا ، وفرنسا ، لان فرنسا قد ذاق بعض ملوكها اذى الحرمان من الكنيسة ، وأحس الفرنسيون بشدتها ، وانجلترا رأت من سلطان البابا عليها تدخلا فى شئونها ، ولأن أهم شمال أوربية قد اقترنت حضارتها بالدين فكانت شديدة الغيرة عليه ، قوية الرغبة فى فهمه على وجهه ، جاعلين قبلتهم الكنيسة ورجالها ، فعثروا بما أوتوا من رغبة دينية وعقل فاحص على عيوبهم ، فأرادوا ان يصلحوها من غير ان يهدموها ، لذلك ظهرت حركات الاصلاح ووجدت آذانا مصغية فى تلك البقاع ، ولم ينبثق فجر القرن السادس عشر حتى انبثقت معه أصوات قوية جريئة تدعو الى اصلاح الكنيسة ، وتنقد حالها وتندد بأعمالها ، وتنشر عيوب القوامين عليها ، وعساهم يصلحون أمرهم ، ويعودون الى آداب الدين وتهذيبه .

الدعوة الهائلة :

وقد ظهر فى فجر القرن السادس فى ازمان متقاربة أصوات رجال مصلحين ، ومن أشدها ظهورا صوت أرزم ، وقد ظهر بالأراضى المنخفضة ، وعاش من سنة ١٤٦٥ الى سنة ١٥٣٦ . وقد أخذ يدعو الناس الى قراءة الكتاب المقدس عندهم ، والى تهذيب عقولهم ، وتنمية مداركهم ، ليستطيعوا فهمه ، والانتفاع به ، وادراك مراميهِ وغاياته ، وأخذ يدعو الى اصلاح الكنيسة ، وظهر أنه لم يوجه دعوته الى الشعب ، بل وجهها الى الحكام المستعثرين ، والى رجال الكنيسة أنفسهم ، فقد كان البابا ليون العاشر صديقه ، وكان ممن يقدرُون آراءه ، ويعجبون بتفكيره ويوافقون بالأولى على وجهة نظره ، وقد سار فى طريق ذلك الاصلاح السلمى مجتهدا الاجتهاد

كله في أن يحافظ على مركز البابا وقداسته ، حريصا على ألا ينال احد منهما ، والا يخلط دعاء الاصلاح بين اصلاح الكنيسة ومراكز رجالها ، وما يستحقون من اجلال وتقديس ، فهو يرى أن الاصلاح واجب على أن تقوم به الكنيسة في داخلها ، أو يغاونها الحكام على اصلاح نفسها ، ولذلك عندما رأى ثورة لوثر العنيفة ، وما أدت اليه من مس سلطان الكنيسة ونقص ما لها من قداسة ، نبذ آراءه ولم يعاونه .

وظهر كذلك في هذا الابان تومس مور من ١٤٧٨ الى ١٥٣٥ ، وقد ظهر بانجلترا ، ودعا الى اصلاح الكنيسة أيضا بالطريق السلمى ، ولذلك دعا بنفسه الى وجوب احترام سيادة البابا ، وأن يكون له السلطان الدينى على الجميع .

النقد العنيف :

١١٩ — ولكن دعوات أولئك السلمية لم تجد مائتها ، ولم تنتج ثمراتها ، وأن شئت فقل أن تحول الأفكار وانتقال الفكرة الى الشعوب ، واصطدام الكنيسة بالمفكرين وبعض الأمراء جعل نقد الكنيسة عنيفا ، وجعل خطوات الدعاء أسرع مما يريد أولئك السلميون .

واشد من ظهر من أولئك تأثيرا واقواهم نفوذا : مارتن لوثر ، وزونجلي ، وكلفن . ولنتكلم عن كل واحد من هؤلاء بكلمة موجزة .

لوثر :

أما مارتن لوثر ، فقد ولد سنة ١٤٨٢ من أبوين فقيرين ، ولكن أباه أجهد نفسه ، وأراد أن يصل به الى اقصى درجات الثقافة ، ويمكن له ليكون قانونيا ، فأرسله الى الجامعة ، ولكنه حيز عن اتمام دراسته القانونية ، وعكف على دراسة اللاهوت ، وانصرف إليها لأنه أحس بنزعة دينية قوية تدفعه الى الانقطاع لذلك ، وقد كان شديد التورع ، مبالغا في تقدير سيئاته ، قد سيطرت على مشاعره نفسه اللوامة ، حتى لقد قال بنفسه إنه إن ينجو من جذاب الجحيم الا برحمة الرب الرحيم ، وكان لهذا الاحساس الدينى الدقيق ، وذلك النزوع اللاهوتى موضع رعاية رجال الكنيسة ، حتى لقد أوصوا به خيرا أولى الأمر من رجال الدنيا ، فعين مدرسا للفلسفة ، وظل عاكفا على هذه الدراسة التى كان يشك (م ١٢ — محاضرات فى النصرانية)

في صلاحيتها ، اذ كان يدرس فلسفة أرسطو ، وما كان في نظره الا من عبدة الأوثان ، ويجب ان يلاحظ أن دراسة الفلسفة في ذلك العصر كانت تحت ظل الدين ، وفي خدمته ، ويقوم بها رجال الدين أنفسهم ، ولذلك لم تكن دراسته الفلسفية مبعدة له عن دراسته الدينية ، بل كانت تكميما لها .

ولقد دفعته نزعة الدينية الخالصة ، واجلاله للكنيسة ورجالها الى أن يحج الى روما ، ليتيمن بثناء رجال الدين ، ولكي تحل عليه بركات روما موطن المسيحية ومقر الكنيسة المقدسة ، ولكنه ما أن وطئت قدماه أرض روما حتى رأى ما صدم حسه ، وأزعج نفسه ، لقد توقع أن يرى النسك والعبادة والزهادة ، فوجد مدينة لاهية عابثة ، ووجد رجال الدين قد دنست بعضهم المفاصد ، وحاطت بهم الريب ، وظنت بهم الظنون ، وجد جراحة على الخطايا ، واستهانة بأحكام الدين . ووجد الذين تخيلهم قديسين صالحين ، وانهم ملائكة الله تسيير على الأرض ، قد انغمسوا في الرذيلة ، ورتعوا في حماها زاعمين أن سحائب الرضوان قد نزلت عليهم ، وغفر لهم سابق ذنوبهم ولاحتها ، وأن بيدهم مفاتيح الملكوت في السماوات والأرض وسر التوبة ، وأبواب الفجران ، يغفرون لمن شاعوا ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

رأى لوثر كل هذا وهو المرهف الحس الدينى ، ذو النفس اللوامة ، الذى يرى أن خطايا الانسان اكبر من أن يحوها هو ، وأنه لا سبيل لغفرانها الا ان تسعها رحمة الله .

لذلك شده من هول ما رأى ، وتحير بين ما تخيله في رجال الدين من زهادة ، والواقع المستقر الذى صدمه صدمة عنيفة ، ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى انتقل من الحيرة الى الاستنكار ، لذلك عاد الى ألمانيا حائقا مستنكرا بعد ان ذهب راضيا مقدسا .

ولقد أخذ يعلن من ذلك الأبان أن التبرك بالمقدسات ، والصح إليها وتكرار الصلاة لا يجدى العاصى ، ولا يغنيه عن توبة نصوح ، وقدم مطهر ، وزجاء رحمة الرحيم ، وأن أحدا من الخلق مهما تكن قدسيته لا يملك لاحد غفرانا ، ولا يستطيع أن يستر ذنبا قد ارتكب .

١٢٠ — كان لوثر بعد عودته مأخوذاً بهذه الافكار ، قد استولت على نفسه ، وسوغ له كل هذا انه قد عرا ثقته برجال الدين ضعف ، وان لم يعتزم الثورة عليهم او على آرائهم ، ولكن الحوادث كانت تدفعه الى ان يعلن استنكار آراء رجال الدين ، والجهر بذلك . وذلك لان البابا ليو اراد ان يعيد بناء كنيسة بطرس في روما ، وذلك يحتاج الى مقدار من المال غير يسير . فقرر ان يجمعه من صكوك الفجران ببيعها ، فذهب الراهب تنزل الى ألمانيا ، ومعه تلك الصكوك التي نقلنا لك نموذجاً منها فيها أسلفنا من القول ، واخذ يعلن من أمرها . ويبالغ في قدسها وسرها .

عندئذ ثار لوثر الذي لا يعرف ان شيئاً يستر الذنب الا الندم على ماكان ، والاقتلاع عنه فيها يكون ، ورجاء رحمة الديان ، والذي رأى في رجال الدين ما رأى ، ثار لوثر على تلك الصكوك وكتب في بطلاتها احتجاجاً علقه على باب الكنيسة .

ولقد كان لذلك اثره في العامة والخاصة ، ولم يكن من المعقول أن تقابل الكنيسة ذلك بالصمت أو الاغضاء ، فقد أرسلت اليه تدعوه الى الحضور لمحاكمته امام محكمة التفتيش التي كانت تدبراً اتخذته المجمع تريفة للقضاء على مخالفها .

ثورة لوثر على الكنيسة :

وهنا نجد بعض الامراء ، في سنة ١٥٢٠ ، في ألمانيا ، لا يحب طلبها ، فلم يلبأ بدا من أن يصدر قراراً بحرمانه ، ويعده زائفاً ، وهنا تأخذ الحمية لوثر ، ويشدد في دعوته ، ويجاهر بالاستهانة بأمر الحرمان ، حتى أنه ليحرق في وسط وتنبرج — والجموع حاشدة — حرمان البابا وقرار زيفه ، ولم يبق الا ان تنفذ السلطة المدنية قرار الحرمان ، فتحرمه من الحقوق القانونية والمدنية ، أثرا لقرار الحرمان الديني ، فاجتمع مجمع ورمز سنة ١٥٢١ لمحاكمته ، ولكنه طالب البابا بأن يقنعه بخطئه فيما ارتأى . فلم يجب الي ما طلب ، فانفض المجمع من غير نتيجة في هذا ، ولكن الامبراطور أعلن حرمانه من الحقوق المدنية الا ان أمير سكسونية حماه .

ومن هذا الوقت اخذت تخضع دعوة لوثر لحكم الاحداث السياسية ، فتجد سلماً من الدولة ، اذا كان الامبراطور مشغولاً بخرب ، ولا يريد

اثارة فتنة ، وتجد حربا اذا خلا الامبراطور لهم ، وفي كلتا الحالتين تزداد الدفوة خدة ، ويزداد اتباعها عددا ، ويشهد ساعدتهم بموالاة امراء امراء في التنصرة .

وفي سنة ١٥٢٩ حاول الامبراطور ان ينفذ قرار الحرمان الصادر سنة ١٥٢١ ولكن انصار لوثر يحتجون على ذلك ، ومن ذلك الحين سموا البروتستنت اي المحتجين ، ثم جرت الامور سلما فحربا متداولين ، حتى اذا مات لوثر ، وكان الامبراطور قدخلص من كل الحروب التي تشغله انزل بالبروتستنت اقسى العذاب واشده بلاء ، ثم يعقب ذلك صلح بين الفريقين .

لوثر لم يرد هدم الكنيسة :

١٢١ — لم يكن لوثر من الغلاة الذين يرمون الى هدم الكنيسة ، ولا الى محاربة سلطانها ، بوصف كونها مرشدة وواعظة ومبينة للناس شئون دينهم ، ولكنه كان يريد اصلاح حال الكنيسة ورجالها ، وحملهم على الجادة واعطاءهم من الحق ما اعطته الكتب المقدسة ، ووصاية رسلكم ، والمأثور عنهم ، وهو لم ينظر الى البابا على انه خليفة المسيح لا يخطيء ، ولا ياتي الباطل الى قوله ، بل نظر اليه على انه كبير المرشدين الواعظين .

ولما اراد لهم الصلاح — وكان يائسا من ان يقوموا هم بذلك — دعا الامراء الى ان يتدخلوا ، وقرر ان لهم عليهم سلطانا ، وان لهم الحق في عزل رجل الدين اذا لم يقم بما يامره به الدين ، ووجد ان جزءا من فساد رجال الدين يرجع الى عدم الزواج .

ورأى ان المنع منه لم يكن في المسيحية في عصورها الاولى ، فقرر حقهم في الزواج ، وتزوج هو فعلا مع انه من رجال الدين . وكان زواجه من راهبة .

ووجد ان الكنيسة تحتفظ لنفسها بحقهم الانجيلي ، وذلك من اسباب غلوها وفقدانها الرقيب ، فجعل لكل مسيحي مثقف الحق في فهمه ، واشتغل بترجيته الى الالمانية ليقرأه كل الماني .

وانكر ان المسيح يحل في بدن من ياكل العشاء الرباني . فقد انكر

استحالة الخبز الى عظام المسيح المكسورة . وانكر استحالة الخمر الى دم المسيح ، وجلولهما في جسم الأكل . واكتفى بكون العشاء الربانى تذكيرا لما قام به المسيح من فداء للخليقة في زعمهم . وأن يعتقد المسيحي أن المسيح معه بجسده عند تناول هذا العشاء .

هذا كله مع انكاره حق الكنيسة في الغفران ، ذلك الحق الذى كان عود الثقاب الذى أشعل ثورة لوثر ، وكانت منها تلك النيران التى لم تستطع الكنيسة لها اطفاء .

زونجلى وأعماله :

١٢٢ — وفي الوقت الذى كان يغالب فيه لوثر الكنيسة وأنصارها من ذوى السلطان ، كان في سويسرة صوت قوى آخر ينادى بما يقرب ما نادى به لوثر ، ذلك هو زونجلى (١٤٨٤ — ١٥٣١) فقد آلمته حال الكنيسة ودعا الى مثل ما دعا اليه لوثر في مسائل الدين . وقد ابتدأت ثورته بالثورة على صكوك الغفران كما ابتداء لوثر ، وقد مات أثناء صراع وقع بين أنصاره المعتنقين لمبادئه وأنصار الكاثوليك .

وآراؤه في الجملة تتقارب من آراء لوثر ، ولقد كان يرى أن العشاء الربانى مناولة تذكارية لموت المسيح وفدائه لخطيئة الخليقة في زعمهم ، وأن المسيح يحضر ذلك العشاء بروحه فقط . ويفسر مجاء خاصا بالعشاء الربانى في انجيل متى بمعناه المجازى . وهذا نص ما جاء في ذلك الانجيل في اصحاحه السادس والعشرين : وفيما ياكلون أخذ ييسوع الخبز وبارك . وكسر ، واعطى للتلاميذ ، وقال : « خذوا ، كلوا هذا هو جسدى » وأخذ الكأس وشكر ، واعطاهم قائلا : « اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . ودعوة زونجلى هذه ، وان كانت تتلانى في مبادئها في الجملة مع مبادئ

لوثر كانت منفصلة عنها ، فلم تتوحد الدعوتان ، بل كانت كلتاهما تعمل في محيط اقليمها ، بيد أن حركة لوثر كانت أوسع دائرة وأسرع انتشارا ، لبسعة الاقليم الذى نشأت فيه ، ولرعاية بعض الامراء لها ، بل لامتثالهم لمبادئها ، ولأن الأحوال السياسية في المانيا كانت تسمح لمثل هذه الدعوة بالذبيوع والانتشار .

اثارة فتنة ، وتجد حربا اذا خلا الامبراطور لهم ، وفي كلنا الحالتين تزداد الدعوة خدة ، ويزداد اتباعها عددا ، ويشدد ساعدتهم بموالاته امراء اعزاء في النفرة .

وفي سنة ١٥٢٩ حاول الامبراطور ان ينفذ قرار الحرمان الصادر سنة ١٥٢١ ولكن اتصار لوثر يحتجون على ذلك ، ومن ذلك الحين سموا البروتستنت اي المحتجين ، ثم جرت الامور سلما بحريا متداولين ، حتى اذا مات لوثر ، وكان الامبراطور قدخلص من كل الحروب التي تشغله انزل بالبروتستنت امسى العذاب واشده بلاء ، ثم يعقب ذلك صلح بين الفريقين .

لوثر لم يرد هدم الكنيسة :

١٢١ — لم يكن لوثر من الغلاة الذين يرمون الى هدم الكنيسة ، ولا الى محاربة سلطانها ، بوصف كونها مرشدة وواعظة ومبينة للناس شئون دينهم ، ولكنه كان يريد اصلاح حال الكنيسة ورجالها ، وحلهم على الجادة واعطاءهم من الحق ما اعطته الكتب المقدسة ، ووصاياهم ، والمأثور عنهم ، وهو لم ينظر الى البابا على انه خليفة المسيح لا يخطيء ، ولا ياتي الباطل الى قوله ، بل نظر اليه على انه كبير المرشدين الواعظين .

ولما اراد لهم الصلاح — وكان يائسا من ان يقوموا هم بذلك — دعا الامراء الى ان يتدخلوا ، وقرر ان لهم عليهم سلطانا ، وان لهم الحق في عزل رجل الدين اذا لم يتم بما يأمره به الدين ، ووجد ان جزءا من فساد رجال الدين يرجع الى عدم الزواج .

ورأى ان المنع منه لم يكن في المسيحية في عصورها الاولى ، فقرر حقهم في الزواج ، وتزوج هو فعلا مع انه من رجال الدين . وكان زواجه من راهبة .

ووجد ان الكنيسة تحتفظ لنفسها بحقهم الانجيلي ، وذلك من اسباب غلوها وتقدها الرقيب ، فجعل لكل مسيحي مثقب الحق في فهمه ، واشتغل بترجيته الى الالمانية ليقرأه كل الماني .

وانكر ان المسيح يحل في بدن من ياكل العشاء الرباني . فقد انكر

استحالة الخبز الى عظام المسيح المكسورة . وانكر استحالة الضر الى دم المسيح ، وجلولها في جسم الأكل . واكتفى بكون العشاء الربانى تذكرا لما قام به المسيح من فداء للخليقة في زعمهم . وأن يعتقد المسيحي أن المسيح معه بجسده عند تناول هذا العشاء .

هذا كله مع انكاره حق الكنيسة في الفجران ، ذلك الحق الذى كان عود الثقاب الذى أشعل ثورة لوثر ، وكانت منها تلك النيران التى لم تستطع الكنيسة لها اطفاء .

زونجلى واعماله :

١٢٢ — وفي الوقت الذى كان يغالب فيه لوثر الكنيسة وانصارها من ذوى السلطان ، كان في سويسرة صوت قوى آخر يتنادى بما يقارب ما نادى به لوثر ، ذلك هو زونجلى (١٤٨٤ — ١٥٣١) نقد آلمته حال الكنيسة ودعا الى مثل ما دعا اليه لوثر في مسائل الدين . وقد ابتدأت ثورته بالثورة على صكوك الفجران كما ابتدأ لوثر ، وقد مات أثناء صراع وقع بين انصاره المعتقدين لمبادئه وانصار الكاثوليك .

وآراؤه في الجملة تتقارب من آراء لوثر ، ولقد كان يرى أن العشاء الربانى مناولة تذكارية لموت المسيح وفدائه لخطيئة الخليقة في زعمهم ، وأن المسيح يحضر ذلك العشاء بروحه فقط . ويفسر ما جاء خاصا بالعشاء الربانى في انجيل متى بمعناه المجازى . وهذا نص ما جاء في ذلك الانجيل في اصحاحه السادس والعشرين : وفيما ياكلون أخذ يسوع الخبز وبارك . وكسر ، وأعطى للتلاميذ ، وقال : « خذوا ، كلوا هذا هو جسدى » وأخذ الكأس وشكر ، وأعطاهم قائلا : « اشربوا منها كلكم ، لان هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . ودعوة زونجلى هذه ، وان كانت تتلاقى في مبادئها في الجملة مع مبادئ

لوثر كانت منفصلة عنها ، فلم تتوحد الدموتان ، بل كانت كلتاها تعمل في محيط اقليمها ، بيد أن حركة لوثر كانت أوسع دائرة واسرع انتشارا ، لبسعة الاقليم الذى نشأت فيه ، ولرعاية بعض الامراء لها ، بل لاعتنائهم بمبادئها ، ولأن الأحوال السياسية في المانيا كانت تسمح لمثل هذه الدعوة بالذيع والانتشار .

كلفن وآثره في الإصلاح :

١٢٣ — في الوقت الذي كان فيه هذان الرجلان يعملان ويجاهدان كل بطريقته ، فلوثر بطريقته السلمية التي خالطها العنف ، وزنجلى بطريقته السراع والمنازلة ، حتى مات فيه .

في هذا الوقت كان رجل آخر ظهر في فرنسا وهو كلفن (١٥٠٩ — ١٥٦٤) قد ولد بفرنسا ، ونشأ بها ، وتثقف ثقافة قانونية ، ولكنه مال بعد تخرجه في القانون الى الدراسات الدينية ، وقد كانت حركة لوثر قد ذاعت وشاعت في ربوع أوروبا ، وما أن أعلن كلفن آراءه حتى اضطر الى الفرار بعقيدته الى جنيف في سويسرا ، وهناك ألف وكتب ، وأخذ يعمل على نشر مبادئ المذهب البروتستنتى ، وينظمها بعد موت لوثر ، فتتظيمها على الشكل الاخير يرجع الى كلفن أكثر مما يرجع الى أى رجل آخر ، وإن كان باذر البذرة سواء ، بل ان بذور ذلك المذهب قد كانت أقدم تاريخيا من لوثر نفسه ، وقد نوهنا الى بعض هذا الكلام في المجمع .

ويرى كلفن أن الكنيسة يجب أن تحكم نفسها بنفسها ، وعلى الحاكم المدني بمساعدتها ومعاونتها وحمایتها ، وذلك ليكون السلطان الدينى غير خاضع لحكم الحكام ، وهو يرى أن المسيح لا يحضر لا بشخصه ولا بروحه في العشاء الربانى ، ويعتبر تناول العناصر المادية رمزا للإيمان . ويقول كما يقرر صاحب كتاب الاصول والفروع في العشاء الربانى : « يشير العشاء الربانى أيضا الى مجيء المسيح ، كما يشير الى موته ، فيكون تذكارا للماضى والمستقبل ، فالعبرة في العشاء الربانى للذكرى ، لا حضور المسيح ماديا أو روحيا » .

انشاء كنائس للمصلحين :

١٢٤ — كانت جهود هؤلاء القادة وأتباعهم ، وحبوب الكنيسة ، وسوء حالها وحال القوامين عليها ، وشدة ضغطهم سببا في ذبوع الآراء التى تخالف رأى الكنيسة ، وقد ابتدأت الحركة بطلب اصلاح الكنيسة على أن يقوم بالاصلاح رجال الكنيسة أنفسهم ولكنهم أنفضوا رءوسهم ، وأصرروا واستكبروا استكبارا ، ورفضوا كل دعوة للإصلاح ، وقابلوا أصحابها بقرارات الحرمان أحيانا كثيرة ، والاهمال أحيانا قليلة . فلمسا :

استيأس مريدو الإصلاح من أن يقوم الكنسيون بإصلاح حالهم، وأن يرفعوا الديانة حق رعايتها اتجهوا إلى الحكام ملابئين أن يتدخلوا لإصلاح الكنيسة، كما حاول لوثر، فقد أعطى الحكام حق الهيمنة على الكنيسة ليصلحوها، ولكن الحكام تقاعسوا، ومنهم من لم يحاول إصلاح الكنيسة، بل حاول القضاء على طلاب إصلاحها، وأنزل بهم اضطهادات وبلايا وشدائد ومذابح، كما حدث لبروتستنت فرنسا، وكان ذلك أما تعصبا للكنيسة، وأما ماحيلة، وأما كراهة للمصلحين، لأن منهم من كانت لهم آراء إصلاح نظم الحكم بجوار آرائهم في إصلاح الكنيسة، وقد كان الحكم استبداديا مطلقا، بلا نظام يقيد الحاكم، ويلزم المحكوم.

فلما يش طلاب الإصلاح من الحكام وينسوا من رجال الكنيسة اتجهوا إلى أن يجعلوا لآرائهم جماعة، ووحدة دينية منفصلة عن الكنيسة وآرائها غير خاضعة للكنيسة. ورافضة كل ما لها من سلطان، وأنشأوا لهم كنائس ليست معترفة لروما بأى سلطان، وسلطة رجال الدين فيها محدودة، ولرجال الدين من الحقوق ماقرروا من مبادئ، وسميت كنائسهم كنائس انجيلية (١) أى أنها لاتخضع إلا لحكم الكتاب المقدس، ويتقيد بأحكامه رجل الدين أمام رجل الشعب، وجميعهم مسئول أمام ذلك الكتاب، وليس لرئيس الكنيسة خلافة تجعل كلامه مقدسا، مساويا لأحكام الكتاب المقدس في الرتبة والاعتبار.

وقد انتشر المذهب الجديد في ألمانيا والدانمرك والنرويج وهولندا وانجلترا وأمريكا الشمالية وسويسرا، وإن لم تصر كلها على المذهب.

أهم مبادئ الإصلاح :

١٢٥ — والآن نلخص المبادئ التى أتى بها ذلك المذهب الجديد، نكتفى بذكر أصولها التى يرجع إليها غيرها من الفروع، وأعظم تلك الأصول ثلثا :

(١) وتسمى الكنائس الأخرى التى تجعل لرئيس الكنيسة سلطانا يستتر نبيه خليفة المسيح الكنسى التقليدية وهى كنيسة الكاثوليك، والكنيسة الأرثوذكسية اليونانية والكنيسة الأرثوذكسية المرقسية، وهى كنيسة القبط وغير ذلك.

(١) جعل الخضوع التام الواجب على المسيحى لنصوص الكتاب المقدس وحدها (١) وجعله الحكم وحده الذى لا ترد حكومته ، ولا ترفض اوامره ، وقياس كل اولمى الكنيسة القديمة وقرارات المجامع على ما نص عليه فى ذلك الكتاب فما وافقه قبل على ان الكتاب قد ورد به ، وما خالفه رفض ، ولو كان قد صدر عن اكبر رجال الكنيسة شانا فى الماضى أو الحاضر .

ولذلك يقول صاحب كتاب سوسنة سليمان فى ذلك : « انهم جميعا مثبوتون فى المعتقدات على مجرد ما فى الكتاب المقدس فقط ، فلا يخضعون لشيء من التقاليد التى لا يوجد لها فيه رسم أصلا ، ولا الى اقوال أحد من الآباء او المجامع الا اذا كان موافقا لنصوصه لفظا ومعنى ، أما تفسير الآيات الغامضة والتى لم يوضحها الوحي الالهى ، فلا يمارون أحدا فيها الا اذا كان التفسير يناق ما كان معناه واضحا فى غيرها من تعاليم الكتاب » .
فهم لا يعترفون بسلطان لغير الكتاب وقد كان تحكيم الكتاب وحده سببا فى جعل رجل الدين غير مطاوع الا فيما ورد فى الكتاب .

(١) الكنيسة الكاثوليكية ، والكنيسة الشرقية وغيرهما من الكنائس التقليدية لا يعتبرون الكتاب المقدس وحده هو المصدر للدين المسيحى ، بل يعتبرون معه الرسائل غير المسطورة فى ذلك الكتاب وتعاليم المسيح التى نقلت الى البابوات خلفا عن سلف مصدرها أيضا . ويسمى هؤلاء المصادر التقليدية .

ويقول فى ذلك صاحب كتاب تاريخ الكنيسة الذى ترجمه يوسف البستاني فى ذكر قرارات المجمع الترنكىتى: « ان المجمع الترنكىتى المقدس الملتزم بتدبير الروح القدس والمصدر فيه صفات الكرسى الرسولى لاعتبارهم ان حقائق الايمان ورسوم الآب متضمنة فى الصحف المكتوبة وفى التقاليدات المكتوبة ، وهى المنقولة عن ميم يسوع بواسطة الرسل ، أو المنزلة على الرسل انفسهم بالروح القدس ، وقد اتصلت الينا تسليما اقتفاء بأثر الآباء الارثوذكسيين قد قبل جميع أسفار العهدين القديم والجديد ، ثم التقاليدات ايضا المتعلقة بالايمان والآداب بما انها بارزة من ميم يسوع المسيح ، أو ملقنة من الروح القدس ، ومحفوظة فى الكنيسة بالخلافة المتواصلة ويعتقدها بنفس الاحرام والاحترام الذى تعتق به الكتب المقدسة » .

وقد كان جعل سلطان الكتاب شاملا لرجل الدين ، ولرجل الشعب سببا في أن حق التفسير والفهم لم يعد مقصورا على رجال الدين ، أمازيل ذلك الحجاب الذى أقيم بين المسيح وبين كتابه . إذ أقامه رجال الدين ليحتجزوا حق تفسير الكتاب لأنفسهم . وبذلك يكون الدين ما تنطق به أمواهم وليس لأحد أن يعقب على قولهم ، لأن باب التفسير قد انقفل دون غيرهم فلا يستطيعون إزالة رتاجه ، ولا فتح أغلاقه ، فالقى المذهب الجديد ذلك الحجاب وفتح باب التفسير لكل مثقف ذى فهم ، وإذا كان ثمة نص لم يفهم توقفوا عن فهمه ، فمن أبدى رجل الدين رأيا في فهمه قبلوه إلا إذا خالف نصا ظاهرا لا مجال للتأويل فيه .

عدم الرياسة في الدين :

(ب) ليس لكنائسهم من يترأس عليها رياسة عامة ، بل لكل كنيسة رياسة خاصة بها ، والرياسة الكنسية التى تستند الخلافة من أحد الحواريين أو من المسيح نفسه لا وجود لها عندهم ، بل أن الكنيسة في كل مكان ليس لها إلا سلطان الوعظ والارشاد ، والقيام على تأدية الفروض والتكاليف الدينية وبيان الدين لمن لا يستطيع معرفته من تلقاء نفسه ، ولم يكن عنده من الثقافة ما يمكنه من ذلك .

ليس لرجل الدين الفقران :

(ج) وإذا كانت الكنيسة لها سلطان إلا البيان لمن لا يستطيع بيانا والارشاد لمن لا يستطيع معرفة أوامر الدين من تلقاء نفسه ، فليس لها سلطان في محو الذنب أو ستره . أو تلقى الاعتراف بالذنوب ومسحها سواء أكانت تلك هى المسحة الأخيرة عند الاحتضار . أم كانت قبل ذلك . فكل ذلك ليس لها فيه سلطان . لأنه من عمل الديان . وقد علمت أن صكوك الفقران وحق الكنيسة فيه كانت الثقاب الذى اندلعت منه الثورة على الكنيسة ، وتبعها تقصى عيوبها ، وتتبع نقائصها . وقد ذكرنا ببعض التفصيل ما كانت تشعله الكنيسة ، وبيننا أنها غالت فيها زعمته لنفسها في ذلك من حق ، والأساس في رفض الكنيسة في هذا : كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

وكما أن ذلك الأساس أدى الى سلب الكنيسة ما زعمته لنفسها من حقى الغفران أدى الى أمر آخر . وهو منع الصلاة لاجل الموتى ، واعتبار أن ذلك لا يفيدهم لأنه ليس للإنسان الا ما سعى . وأن سعيه سيحاسب عليه ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وأدى ايضا الى أن طلب شفاعة القديسين لا قيمة له ، لأنه لا يغير عمل الشخص من صالح الى طالح .

وفي الجملة انهم اعتبروا غفران الذنوب يرجع الى عمل الشخص وعفو الاله ، وتوبة العاصي وندمه على ما فات ولومه نفسه على ما كان وكل قول يجعل غفران الذنب أساسه غير ذلك رفضوه ، ولم يلتفتوا اليه .

عدم الصلاة بلغة غير مفهومة :

(د) ولقد كان ذلك المبدأ الذى يجعل الانسان يدين بعمله وحده ، ومبدأ أن لا سلطان للكنيسة على القلب والعبادة ، كان هذان المبدأان سببا في أن رفض أولئك المسيحيون الصلاة بلغة غير مفهومة للمتعبدين ، لأن الصلاة دعاء من العابد للمعبود وانصراف القلب اليه ، والقيام بالخضوع الكامل له ، والنطق بما يدل على الخضوع والالتجاء الى المعبود ، فوجب أن تكون بالفاظ يفهمها العابد ليردد معانيها ويقصد مراميها ، وقد كانت صلاة التأسيس بلغة لا يفهمها المصلون مقبولة لدى الكاثوليك . لأن أساس ذلك أن عبادة القسيس عبادة لمن هم تحت سلطانه .

رايهم في العشاء الربانى :

(هـ) انتهى البروتستنت بالنسبة للعشاء الربانى الى انه تذكار بفداء المسيح للخطيئة التى ارتكبها آدم ، وتحملت الخليقة من بعد وزرها ، وتذكار لمجيئه ليدين الناس ، فهو تذكار للماضى والمستقبل كما جاء فى بعض الرسائل ، وهم ينكرون أن يتحول الخبز الى جسد المسيح . والخمر الى دمه .

والكنيسة قد أصرت على ذلك اصرارا . وهذا قرارها فى الجميع الترنديتى فى ذلك الشأن ، فهى تقول بلسان أعضائه . « قد اعتقدت كنيسة الله دائما بأنه بعد التأسيس يوجد جسد ربنا الحقيقى ودمه الحقيقى مع نفسه ولا هوته تحت أعراض الخبز والخمر ، وأن كلام الشكلىين يحتوى ما يحتوى كلاهما ، لأن يسوع المسيح هو بكماله تحت شكل الخبز ، وتحت أصغر أجزاء هذا الشكل ، كما أنه هو كله أيضا تحت شكل الخمر وجميع أجزائه ،

وقد اعتقدت الكنيسة أيضا اعتقادا ثابتا بأنه بتقديس الخبز والخمر يستحيل كامل جوهر الخبز الى جوهر جسد ربنا . وكامل جوهر الخمر الى جوهر دمه تعالى ، وهذا التعبير قد دعى بكل صواب . فيلتزم اذن جميع المؤمنين بأن يعدوا هذا السر المقدس العبادة المستوجبة للاله الحقيقي . لاننا نعتقد بأنه يوجد فيه الله نفسه الذى عبدته الملائكة على امره تعالى . حينما أتى على العالم ، وهو نفسه الذى سجدت له المجوس خارين على اقدامه ، وله نفسه سجدت الرسل فى الجليل .

هذه عقيدة الكنيسة فى العشاء الربانى ، لم يستسغها لوثر وأشياعه ، وظفائره من بعده ، وانتهى امرهم الى أن رفضوا ذلك التحول الذى تفرضه الكنيسة ، وتلتزم به ، وأن كان بعيدا عن المعروف المألوف ، ويمد أن رفضوا ذلك قر قرارهم الأخير على اعتبار العشاء الربانى تذكرا بالفداء وتذكرا للمجىء وفى ذلك عظة واستبصار .

انكار الرهينة :

(و) انكر اولئك المصلحون لزوم الرهبة التى يأخذ رجال الدين أنفسهم بها ويعتبرونها شريعة لازمة . يفقد رجل الدين صفته الكهنوتية أن تظلى عنها ، ولقد راوا ما أدى اليه ذلك الحظر من كبت للجسد الانسانى ، وتعذيب له من غير ضرورة ، ولا نص من الكتب قديمها وجديدها يفيد ذلك ، بل لقد راوا ما أدى اليه ذلك الكبت من انفجار فريضة الانسان فى رجل الدين فانطلق يكرع اللذة من شفتها الحرام بعد أن حرم على نفسه الحلال ، وطفق يغترف من ورد معتكر بالآثام ، مرنق بالمفاسد ، وترك المنهل العذب الذى خلقه الشرائع ، ويتفق مع ناموس الاجتماع الانسانى .

عدم اتخاذ الصور والتماثيل :

(ز) منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس والسجود لها ، معتقدين أن ذلك قد نهى عنه فى التوراة ، فقد جاء فى سفر التثنية : « لا تصنع لك تماثلا منحوتا ، ولا صورة مما فى السماء من فوق ، وما فى الأرض من أسفل ، وما فى الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدن لائى أنا الرب الهك غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الابناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، واصنع احسانا الى الوف من محبى ، وحافظى وصاياى » .

ولا شك أن ما نهت عنه التوراة يجب الأخذ به ما دام الجميع يؤمنون بالتوراة ، وكتب العهد الجديد ، وما دام لم يرد عن المسيح أو عن الرسل ما يبطل ما جاء في التوراة .

ولقد أثبت الأستاذ أمين الخولى بالسند التاريخي أن ذلك التحريم قد قبسه النصارى المصلحون من نور الاسلام .

المسيحيون لم يسبروا في منطقتهم الى أقصى مداه :

١٢٦ — هذه اعظم المسائل التي خالف بها المصلحون في المسيحية ما عليه الكنيسة ، وهي لا شك خلع لسلطان الكنيسة على النفوس وقضاء على سلطان المجمع ، واذا كان للحوادث منطق تسير عليه ، فهل لنا أن نستنبط منطق تلك الحوادث ، وما كان عساه يكشف عنه لو سار في طريقته الى أقصى مداه ؟ لقد علمت في سياقتنا التاريخي الذي بيناه عن أدوار المسيحية أن ذلك السياق يعلن في عباراته وفي فحواها أن تلك الديانة كانت ديانة توحيد ، حتى جاءت المجمع ، فقررت الوهية غير الله ، وطردت من حظيرة المسيحية المستمسكين بعروة التوحيد الذين رفضوا دعوى الوهية المسيح ، وناصرتهم الشعوب المسيحية في الابان .

فإذا كان المصلحون قد قرروا أن يأخذوا مذهبهم الديني من الكتب الصحيحة ، وقرروا أن يرفضوا سلطان المجمع والكنيسة معا ، فإن المنطق الذي يسبرون عليه كان يوجب عليهم أن يرفضوا أقوال المجمع القديمة ، ومنها الوهية المسيح ، والوهية الروح القدس .

وقد كنا نود أن يدرسوا قرارات هذه المجمع ، وينظروا الى سندها وثقتها فإن لم يروا السند قويا رفضوا ذلك القرار ، ولكنهم لم يسبروا في منطقتهم الى أقصى مداه ، فرفضوا آراء الكنيسة في أمور ، اعظمها شأنًا ما بيناه ، ولم يتجهوا الى لب العقيدة ، وهو لم يتجاوز أنه قرار مجمع فيدرسوه من جديد على ضوء ما فتحوه لأنفسهم من نور مبصر ، وهو أن يكون لكل شخص له قدرة على فهم الكتاب حق في تفسيره ، واستخراج الاوامر والنواهي منه من غير أن يتخذوا الاحبار والتفسيريين وسائط في فهمه ، ويحكموا بذلك في ضمائرهم واعتقاداتهم .

عقول مسيحية تنكر الوهية المسيح :

١٢٧ — ولكننا وقد يئسنا من أن يسير البروتستانت في طريقهم الى اقصى مداه وجدنا العقول المسيحية قد تنبعت ، والدراسة العلمية والفلسفية قد سارت ونور الاسلام قد انبلج ، فوجدنا علماء كثيرين قد صرحوا في قوة بأن المسيح لم يكن الا رسولا ، وانه لم يكن اكثر من بشر ، قد قهسوا ذلك من الانجيل نفسها ، فهذا رينان قد جهر بذلك في قوة وجراة ولم يمنعه حرمان الكنيسة له من الاصرار على رايه والذود عنه ، وهذا تولستوى ينكر على المسيحيين الوهية المسيح ، وتنتهى نتائج بحثه الى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح ، بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للاعتقاد غموضا واخفاء .

ولنترك الآن الكلمة لذلك الفيلسوف ، فهو يقول : « انه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي ، كما كان يفهمه هو أن نبحث في تلك التفسير والشروح الطويلة التي شوهت وجه التعليم المسيحى ، حتى اخنته عن الابصار تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا الى أيام بولس الذى لم يفهم تعليم المسيح ، بل حملته على محمل آخر ، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين ، وتعاليم المعهد القديم ، وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأهم ، أو رسول الجدل والمنازعات الدينية ، وكان يميل الى المظاهر الخارجية الدينية ، كالختان وغيره فادخل امياله هذه على الدين المسيحى فأنسده ، ومن عهده ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس ، وأما تعليم المسيح الاصلى الحقيقى فحضر صفته الالهية الكمالية ، بل أصبح احدى حلقات سلسلة الوحي التى اولها منذ ابتداء العالم ، وآخرها فى عصرنا الحالى ، والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وان أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع الها دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون فى دعواهم على أثوال وردت فى خمسة أسفار : موسى ، والزبور ، وأعمال الرسل ، ورسائلهم ، وتاليف آباء الكنيسة ، مع أن تلك الأقوال لا تدل اقل دلالة على أن المسيح هو الله .

هو اذن ينكر الوهية المسيح ، وينكر الوهية روح القدس ، ويعتقد بأن الله واحد أحد فرد صمد ، وينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بالهام ،

ويعطن في جراءة انها حررت وعماها التغير والتبديل ، فيقول في صراحة المستمسك بالعروة الوثقى : « ان المسيحيين واليهود والمسلمين يعتقدون جميعهم بالوحى الالهى ، فالمسلمون يعتقدون بنبوّة موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بانه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانة النصرانية ، وهم يعتقدون بان محمدا خاتم الانبياء ، وانه قد اوضح في قرآنه تعاليم موسى وعيسى الحقيقية ، كما قالاما دون زيادة ولا نقص ، وان كل مسلم امامه القرآن يقرؤه ، ويتمسك به ويسير بموجب احكامه ، ولا يعترف بغيره من الكتب مهما اشتهر واسمعوها بالتقوى والصلاح ، ويسمى المسلمون ديانتهم بالمحمدية ، لان محمدا وضعها بخلاف الكنيسة المسيحية التى تسير الآن بموجب تأليف الابهاء الذين يدعون بان ما كتبوه هو من روح القدس ، فكان الأخرى بالمسيحيين ان يسموا كنيستهم بالروحانية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية » .

خاتمة

١٢٨ — قد ظهر اذن مسيحيون يدعون الى التوحيد ، وانك لترى بريق الاسلام يلمع بين السطور التى دونوها والاقتوال التى نشروها ، ولكن قد طردتهم المسيحية الحاضرة من حظيرتهم كما فعلت الجامع من قبل ، ولقد كان الامر لا يسترمى النظر لو كان مقصورا على العلماء . بل انك لترى المسيحيين الذين تجادلهم أو تخالطهم بالمودة — أن استثنيت رجال الدين منهم — يصرحون فى بهرة المجالس وفى جهر من غير أسرار بأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا المسيح الا رجلا عظيما رسولا من عند الله ، وليس هو الله ، ولا ابن الله وليس ذا صلة بالالوهية الا صلة الرسول بمن أرسله .

فهل لنا أن نعتقد أن شيوع هذا على السنة أولئك المثقفين يؤدى الى اصلاح كامل للعقيدة ، يكون شاملا للأصل ، ولا يكون مقتصرا على الفرع كما فعل الإصلاح السابق واقتصر عليه ؟ .

ان الأجدر لهذا أن يتجه أولئك المثقفون الى دراسة دينهم ، وأن يتجه الذين يحاولون ارشادهم — الى بيان الأدوار التاريخية التى مرت بدينهم ، وإلى ما أحدثته الجامع من أحداث ، وكل حدث فى الدين هو بدعة فيه ، فان دراسة تلك الأدوار تريهم الحقائق عارية ، وتكشفها لهم غير مستورة برسوم وطقوس كنسية أو غير كنسية ، وقد حاولنا فى أثناء بحثنا أن نبين أن الوهية المسيح والوهية الروح القدس فكرتان عرضتا على العقل المسيحى ، ولم تكونا فى المسيحية الأولى ، وذكرنا السند التاريخى فى ذلك وأنه لمسيحى خالص ، وأنه بهذه المحاولة نريد أن ندعو الذين يهملهم رد العالم المسيحى الى التوحيد — الى العناية بدراسة تاريخ المسيحية وإعلانه لأهلها ، ونريد أن ندعو الذين يريدون نشر الاسلام بين ربوع المسيحيين الى إعلان ذلك التاريخ ، فأنهم ان دخلوا فى التوحيد ، دخلوا فى الاسلام بأيسر مجهود ، لأن الخطوة التالية لا تحتاج الى أكثر من الاعلام ، والحمد لله رب العالمين .

(تم بحمد الله وثوفيقه)

ما يشتمل عليه الكتاب

- ٣ — افتتاحية الطبعة الثالثة ٦ — افتتاحية الطبعة الثانية
٨ — افتتاحية الطبعة الأولى ١٠ — تمهيد .

١٢ — المسيحية كما جاء بها المسيح عليه السلام

- ١٢ — المسيحية في القرآن الكريم ١٣ — دعوة المسيح ١٤ — مريم
والمسيح في القرآن الكريم ١٦ — الحمل بالمسيح وولادته ١٧ — الحكمة
في كون المسيح ولد من غير أب ١٨ — بعثة عيسى عليه السلام ومعجزاته
٢٠ — الحكمة في كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع ٢١ — ما نراه
حكمة صحيحة ٢٢ — هلقي اليهود لدعوته ٢٣ — مناوأة اليهود له
٢٤ — نهاية المسيح في الدنيا — المسيح بعد نجاته ٢٥ — موازنة
بين المسيح في القرآن الكريم والمسيح في المسيحية الحاضرة .

٢٩ — المسيحية بعد المسيح

- ٢٩ — ما نزل بالمسيحيين من اضطهاد ٣٢ — أثر الاضطهادات
في الديانة ٣٣ — الفلسفة الرومانية والمسيحية ٣٥ — الانلاطونية
الحديثة وأثرها في النصرانية .

٤٠ — مصادر المسيحية بعد عيسى عليه السلام

- ٤٠ — الإنجيل ٤٢ — الإنجيل لم يملأ بالمسيح ولم تنزل عليه
٤٣ — إنجيل متى ٤٣ — إنجيل متى كتب بالعبرية ولم يعرف الا باليونانية
وجعل المترجم ٤٥ — أثر جهل تاريخ التدوين والمترجم ٤٦ — إنجيل
مرقس — اللغة التي كتب بها إنجيل مرقس وتاريخ تدوينه
والاختلاف فيه وفي الكنائس ٤٧ — إنجيل لوقا ٤٨ — من كتب لهم
إنجيل لوقا ، ولغته ، واختلافهم حوله ٤٩ — إنجيل يوحنا
٥٢ — تاريخ تدوين هذا الإنجيل وسبب تدوينه ٥٣ — ما يستنبط
من سبب كتابته ٥٤ — هذه الإنجيل لم تنزل على عيسى عليه السلام
— إنجيل عيسى ٥٦ — أقوال علماء النصرانية في إنجيل عيسى
— إنجيل برنابا ٥٧ — برنابا ٥٩ — هل برنابا من الحواريين الاثنى

عشر ٦٠ — الكلام في صحة تسمية هذا الانجيل ٦٢ — ترجيع صدق التسمية في هذا الانجيل ٦٤ — قيمة انجيل برنابا من حيث ما اشتمل عليه — مخالفة انجيل برنابا لما عليه المسيحيون .

٦٨ — رسائل رسالهم

٦٨ — عدد الرسائل وكتابتوها ٧٠ — ترجمة يعقوب صاحب الرسالة — ترجمة يهوذا — ترجمة بولس ٧٤ — صفات بولس ٧٦ — كتب العهد القديم والانجيل والرسائل كتبت بالهام في اعتقادهم .

٧٧ — نظرة فاحصة في الكتب

٧٧ — ما يجب أن يكون في الكتاب الديني من صفات ليكون حجة ٧٨ — تطبيق هذه الشروط على كتب النصارى ٧٩ — مناقشة ادعاء الانبياء في سفر الأعمال ٨٠ — الرسل غير معروفين ٨١ — لوفا صاحب سفر الأعمال لم يكن ملها ٨٢ — دعوى الانبياء ليست محل اجماع المسيحيين ٨٣ — دعوى الانبياء باطلة ممن يدعيها ٨٤ — التضارب بين كتب العهد الجديد ٨٩ — التناقض بينها مبطل لادعاء الانبياء وبيان انصارهم لبعضها ثم اعترافهم به ٩٠ — انقطاع السند في نسبتها لكتبها ٩١ — موازنة قس بين احاديث الرسول وكتبهم من حيث الرواية ٩٢ — بيان ما في كلامه من زيف ٩٦ — نظرة في الوحي في الاسلام والوحي في المسيحية — معنى الوحي .

٩٩ — النصرانية كما هي عند النصارى وفي كتبهم

٩٩ — العقيدة ١٠٠ — عقيدة التثليث — التوراة والتثليث ١٠١ — الابن لا يعنى به الولادة البشرية في زعمهم ١٠٢ — الثالوث اشخاص متغايرة ، وان كان وجودها متلازما ١٠٣ — لماذا يحاولون الجمع بين الوجدانية والتثليث ١٠٦ — صلب المسيح فداء من الخليقة ١٠٩ — المسيح يدين ويحاسب ١١٠ — تقديس الصليب ومقامه في المسيحية ١١١ — مبادئهم ١١٤ — من شعار المسيحية — التعهيد والعشاء الرباني ١١٥ — من تنظيم الاسرة ١١٧ — منزلة شرائع التوراة في المسيحية ١١٩ — تحليل لحم الخنزير مع تحريمه في التوراة .

(م ١٣ — محاضرات في النصرانية)

١٢٠ — المجمع السبتي

تاريخها — واسبابها — وقراراتها
١٢٠ — كيف وجدت فكرة المجمع الجامع ١٢١ — المجمع العامة والمجمع الخاصة .

١٢٢ — مجمع نيقية : ٢٢٥

١٢٢ — سبب انعقاده العام ، الاختلاف بينهم في شخص المسيح
١٢٣ — الاختلاف الخاص الذي انعقد المجمع بعده — كلام أريوس —
انتشار رأى أريوس وطرق محاربته . ١٢٤ — تدخل قسطنطين وجمع
مجمع نيقية ١٢٥ — موقف قسطنطين من المتناظرين — انحيازه لرأى
تلاميذ المسيح مع أنهم ليسوا الكثرة — العقيدة التي فرضها المجمع
١٢٦ — قراءاته تؤيد رهبة السلطان — النقد الموجه الى المجمع
١٢٧ — الرغبة والرهبة من السلطان لهما دخل في القرارات — المجمع
فرض لنفسه سلطانا كهنوتيا على الناس — أمره بتحريق ما يخالفه
١٢٨ — قسطنطين يتدخل في ذلك التدخل وهو لم يتنصر ١٢٩ — تلقى
المنسحقين لقرارات المجمع — مجمع ضرور يرفض بالاجماع قرار مجمع
نيقية ١٣٠ — ما يستنبط من هذا — نشاط الموحدين .

١٢٢ — المجمع القسطنطيني الاول سنة ٣٨١

١٣٢ — سبب انعقاده — عدد المجمع والبطريرك في كونه عاما
١٣٣ — بطريرك الاسكندرية هو الذي يقرر الوهية روح القدس — قرار
المجمع بوافق رأى بطريرك الاسكندرية — نظرة خاصة .

١٣٥ — مجمع انفسس الاول سنة ٤٣١

١٣٥ — سبب انعقاده — النسطوريون ينكرون الوهية المسيح
١٣٦ — قرار المجمع والاحتجاج عليه — انتشار النسطورية في الشرق .

١٣٧ — مجمع خالكونية سنة ٤٥١

١٣٧ — كنيسته الاسكندرية تعلن أن المسيح اله قد اتحد فيه اللاهوت
بالبشريتين وبيان طبيعة واحدة — طلب انسحاب بطريرك الاسكندرية
ورفض الطلب ١٣٨ — الشعب في المجمع — قرار المجمع أن المسيح

له طبيعتان — الانشقاق ومداه ١٣٩ — عدم اعتراف المصريين بقرار
المجمع ١٤٠ — المصريون يرغبون تعيين بطريرك على غير مذهبهم —
يعقوب البراذعى ونسبة المذهب المصرى اليه ١٤١ — انفصال الكنيسة
المصرية نهائيا .

١٤٢ — المجمع الباقية

١٤٢ — المجمع السابقة تقرر المسيحية الحاضرة — المجمع
القسطنطينى الثانى وسبب انعقاده ١٤٣ — المارونية — مجمع
القسطنطينية الثالث ١٤٤ — مجمع تحريم اتخاذ الصور ١٤٥ — انفصال
الكنيسة الشرقية عن الغربية وسببه ١٤٦ — الكنيسة الغربية
أم الكنائس ١٤٧ — المجمع اللاحقة كلها غير مسكونية الا فى نظر
الكنيسة الغربية — محاولة تقريب بين الكنيستين .

١٤٩ — الفرق المسيحية

١٥٠ — الفرق التى ظهرت فى عصر التوحيد — فرقة اريوس
١٥١ — اصحاب بولس الشمشاطى ١٥٢ — دخول الوثنية على التوحيد
— اتباع مرقيون ١٥٣ — البربرانية — نحل آخر ١٥٤ — ضياع
التوحيد سبب تحريق الكتب .

١٥٦ — الفرق القديمة فى عهد التثليث

١٥٦ — فرقة مقدونيوس ١٥٧ — النسطوريون ١٥٩ —
اليعقوبيون ١٦٠ — المارونية .

١٦١ — الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية

١٦١ — اساس انقسام الكنيسة الى شرقية وغربية ١٦٢ — تقادم
الزمن يوسع الخلاف ١٦٣ — محاولة ازالة الخلاف — انتقاد مسيحي
للكنيسة الغربية ١٦٤ — بطاركة الكنيسة الشرقية — الاسلام يظل
الكنائس الشرقية بالحرية الدينية .

١٦٧ — الفرق الحديثة « البروتستانت »

أو الإصلاح التهنى

١٦٧ — حالة الكنيسة قبل الإصلاح .

- ١٦٧ — شدة الكنيسة على الناس والعلماء ١٦٨ — فرض
سلطانها على الملوك ١٦٩ — قرارات الحرمان تنال الملوك
١٧٠ — استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة — مسألنا الاستحالة
والغفران ١٧١ — افراط الكنيسة في استعمال حق الغفران
١٧٢ — صورة من صك الغفران ١٧٣ — سلوك رجال الدين الشخصى
١٧٤ — ابتداء الاصلاح ١٧٥ — دعوة بعض رجال الدين الى الاصلاح
١٧٦ — ابتداء الاصلاح من غير رجال الدين — الدعوة الهادئة
١٧٧ — النقد العنيف — لوثر ١٧٩ — ثورة لوثر على الكنيسة
١٨٠ — لوثر لم يرد هدم الكنيسة ١٨١ — زونجلي وأعماله
١٨٢ — كلن واثره في الاصلاح — انشاء كنائس للمصلحين ١٨٣ — أهم
مبادئ الاصلاح ١٨٥ — عدم الرياسة في الدين — ليس لرجل الدين
الغفران ١٨٦ — عدم الصلاة بلغة غير مفهومة — رأيهم في العشاء
الربانى ١٨٧ — انكار الرهبنة — عدم اتخاذ الصور والتماثيل
١٨٨ — المسيحيون لم يسيروا في منطقتهم الى اقصى مداه .

١٨٩ — عقول مسيحية تنكر الوهية المسيح .

١٩١ — خاتمة .

١٩٢ — ما يشتمل عليه الكتاب .

مؤلفات فضيلة الامام الشيخ

محمد ابو زهرة

- خاتم النبيين (٣ اجزاء) .
- المعجزة الكبرى — القرآن الكريم .
- تاريخ المذاهب الاسلامية — جزآن .
- العقوبة في الفقه الاسلامى .
- الجريمة في الفقه الاسلامى .
- الاحوال الشخصية .
- ابو حنيفة — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- مالك — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- الشافعى — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- ابن حنبل — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- الامام زيد — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- ابن تيمية — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- ابن حزم — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- الامام الصانق — حياته وعصره — آراؤه وفقهه .
- احكام التركات والموارث .
- علم اصول الفقه .
- محاضرات فى الوقف .
- محاضرات فى عقد الزواج وآثاره .
- المصموة الى الاسلام .

- مقارنات الأديان .
- محاضرات في النصرانية .
- تنظيم الإسلام للمجتمع .
- في المجتمع الإسلامي .
- الولاية على النفس .
- الملكية ونظرية العقد .
- الخطابة « أصولها . تاريخها في أزهر عصورها عند العرب » .
- تاريخ الجدل .
- تنظيم الأسرة وتنظيم النسل .
- شرح شانون الوصية .
- الوحدة الإسلامية .

وتطلب جميعها من ملتزم طبعها ونشرها وتوزيعها

دار الفكر العربي

١١ شارع جواد حسنى بالقاهرة

ومن فروع البيع :

ص . ب ١٣٠ ت ٧٦٠٥٢٣ — ٧٥٠١٦٧

- ١ — الفرع الرئيسي : ١٦ شارع جواد حسنى القاهرة ت ٧٥٠١٦٧
- ٢ — فرع الدقى : ٢٧ شارع عبد العظيم راشد متفرع من شارع شاهين — الدقى ت ٧١٧٤٩٨ .
- ٣ — فرع مدينة نصر : ٩٤ شارع عباس العقاد المنطقة السادسة مدينة نصر .



رقم الايحاء ٨٧/٨٧٥١

مطبعة عقل

٣. شارع المطار - خبار -
٩٤٥٠٨١

تطلب جميع منشوراتنا من فروعا

الفرع الرئيسي

٦-١ شارع موارد حسنى - القاهرة

ت : ٧٥٠١٦٧

فرع مدينة نصر

٩٤ شارع عباس العقاد - المنطقة السابعة

فرع الدقى

٢٧ شارع عبدالعظيم راشد - متفرع من

شارع الريفاتيين - بالعجيزة

ت : ٧١٧٤٩٨

مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطباعة والنشر والتوزيع

الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير

بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضى

ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤

Bibliotheca Alexandrina



0396329